كـلـمة

ما أسرع أن تمرّ الأيام ! فمنذ عشرين عاماً بالضبط برزت (الفصول الأربعة) إلى قرائها. صدر العدد الأول منها في مثل هذا الشهر ، في مثل هذا الفصل ، يحدوها الأمل العريض في المستقبل وتدفعها الحماسة إلى أن تقدم نفسها بكتابها ومحرريها إلى جملة القارئين في وطننا وعلى مستوى الوطن العربي الكبير . ودعني أذكرك بالكلمات الأولى التي افتتحت به صدروها يومذاك . وكان السؤال : لماذا (الفصول الأربعة) ؟ وكان الجواب يقول: "سؤال مهم ، أرجو أن تجد الإجابة عنه في ما يلي من الصفحات . نحن نعرف واقعنا . وهذه هي البداية الحقيقية للعمل الصحيح . نعرف إمكانياتنا وقدراتنا ، وهذا منطلق جيد لتحديد نوعية الحركة .نعرف ما الذي يمكن عمله وما يستحيل ، في المرحلة الحاضرة على الأقل ... وهذا ما يحدد كيفية الإنطلاق .

(الفصول الأربعة) مجلة فصلية ، تصدر كل ثلاثة أشهر . ماذا يعني هذا ؟ إنه ببساطة يعني السير بخطوات متأنية ، لكنها واثقة تماماً ... جعلناها موسمية على مدار السنة ، أربع مرات تصدر ، لأننا لانبغي أن تموت في المهد كما يحدث لكثير من المجلات .. لأننا -بكل التواضع الواجب- نعرف إمكانياتنا وقدراتنا ، ولاينبغي ، أبداً لاينبغي ، أن تكون المسألة مجرد هبة أو (طهقة) ، ثم يتراخى كل شيء . نريد أن نمضي على مهل ، بهدوء ، نثبت دعائم المعرفة ونسهم ، بقدر الجهد ، في توسيع دائرة الثقافة وتأصيل الفكر" .

يومها "منذ عشرين عاماً .. كان السؤال : "ماهي المجلة" ؟ .

وكان الجواب :

إنها مجال تُعرض فيه المعرفة المنوعة ، تتجلى فيه أو تُجْلى . هكذا نودُّ أن تكون (الفصول الاربعة) ، مجالاً للأقلام الجادة الواعية المدركة الراغبة في تقديم ما لديها للجماهير العريضة ، فتجد موقعاً تخاطب فيه هذه الجماهير ، وتنشر معارفها لتبلغ الجميع . وكما هي للأقلام الراسخة هي أيضاً موقع للأقلام الجديدة الواعدة المبشرة بالخير ، في أي مجال كان ، فيه فرصتها ، إن أثبتت وجودها وبرهنت على صلابة عودها .. رغم الجدّة .

يومها .. منذ عشرين عاماً كان الوعد :

هنا لامقياس سوى (الجودة) .. ولاشئ غيرها . و (الفصول الأربعة) مجلة ليبية ، فهي مجلة عربية إذَنْ ، نبغي أن يطل كتابنا من خلال صفحاتها على إخوتهم العرب ونود أن يرى الأخوة العرب كتابنا خلال هذه الصفحات .. ملتقى للجميع على درب الكلمة الطيبة . على مدار السنة ، شتاءً وربيعاً وصيفاً وخريفاً ، تخرج هذه المجلة بإذن الله ، فصلاً بعد فصل ، وفي كل فصل فصول ، لها من جمهرة الكتاب والأدباء ما يعينها على الصمود والاستمرار ولها من قرائها ما يسندها لتؤدي واجبها في حمل رسالة الكلمة الهادفة .

يومها .. منذ عشرين عاماً .. قلنا :

كلمة أخيرة ، نحن نعرف واقعنا وأرجو أن تعرفه أنت . وأعسر الأمر بدايته ، وكم في البداية من عثرات . واليوم ، في فصل الغيث هذا ، نغرس نبتةً معاً ، نبتة صغيرة ، نتعهدها بالري والرعاية ، نحميها بقلوبنا ونسقيها بقطرات العرق .. معاً . وسوف تزهر غداً وتأتي بالثمار . دعواتك الصالحات ! .

عقدان من الزمان مرّا و الفصول الاربعة) تواصل سيرها ، تجتاز العقبات والأشواك ، وتتجاوز صعوبات الطريق الوعر ، قد تعثر أو تتعثر لكنها لا تلبث أن تنهض من جديد لتبلّغ رسالتها وتبلُغ غايتها التي انشئت من اجلها .

كم من الأقلام الجديدة ، يوماً ، وجدت صفحاتها مفتوحة أمامها لتخط عليها كلماتها النيّرات ، وكم من نتاج أدبي وفكري وثقافي وفني نشرت هذه المجلة . وحين نتصفح أعدادها الماضيات قد يأخذنا الزهو المشروع لان هذا (المشروع الحضاري) لم يتوقف عن العطاء والتبشير بكل ما هو حق وخيّر وجميل ، ولأن كتاب ليبيا وأدباءها ، وشعراءها وقصاصيها ، روائييها وباحثيها ومفكريها ، لم يَضِنّوا عليها بشئ ولم يتنكروا لمجلتهم في يوم من الأيام ، ولأن إخوتهم الأدباء العرب وجدوا فيها فسحة للتواصل ومجالاً رحباً للقاء :

هل يمكن - ونحن نحتفل بالعيد العشرين لـ (الفصول الاربعة) إلا أن نذكر أولئك الذين حملوا عبء تحريرها على مدى السنين الماضيات ،أولئك الذين تحملوا عناء المسيرة وقدموا كل جهد كيلا تتوقف عن الصدور ؟ نذكر الأخوة الكرام الأساتذة : الأمين مازن ، محمد أحمد الزوي ، المرحوم نجم الدين الكيب ، تيسير بن موسى ، كامل عراب ، يوسف الشريف .

وكل الأقلام الراعفة بالكلم الطيب ،والأفئدة العامرة بالحب لهذا الوطن العزيز ، والأنفس المليئة بالخير.

عشرون عاماً مضت ، وكانت الأمنية أن يحتفل معنا أخ عزيز طالما أسهم بجهده في تحرير (الفصول الأربعة) والكتابة فيها ومتابعة طبعها وصدورها . غير أن نجم الدين غالب الكيب غاب عنا جسداً وان لم يغب روحاً .. رحمه ا لله .

وهذه مجلتك - أيها القارئ - عادت لتعانقك ، تضع يدها في يدك ، لنمضي معاً نشق الطريق إلى المستقبل الأفضل والأجمل والأكمل .

ومرة أخرى : دعواتك الصالحات !



الوزن الشعري في القرآن الكريم

د. محمد أحمد وريث

لا ينظر القرآن الكريم الى الاشياء - مهما كانت ضئيلة - نظرة - ظاهرية مسطحة ، وانما هو يغوص الى الاعماق متلمسا الجوهر ، داعيا الى استعمال العقل والتفكر .

ووفق هذا المفهوم واليه دعا هو نفسه ، فقال تعالى : أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " [1].

ومن هنا فليس يمنعنا عدم استدلالنا على الاتجاه المؤدي الى القبلة من اداء الصلاة اذ يقول تعالى: "... فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم " [2].

ونظرة القرآن الى الشعر لم تكن خارجة عن هذا السياق، فاعتد بمعانيه واغراضه ولم يلتفت الى بنائه واشكاله ، ونفى الله عن القرآن ان يكون من هذا القبيل "وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون" [3] إنما هو نفي للمرامى والاهداف التي قد يحتويها الشعر وتتنافى مع روح الاسلام ، ومن اجل ذلك قال : "والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون" [4] ، ثم استثنى فقال : "الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" [5] . وقد نعت ابن رشيق القيرواني في منتصف القرن الخامس اولئك الذين عمموا النص القرآني وخصوا به جميع الشعراء بأنهم " لا يفهمون وجه الكلام وبسؤ التأول " وبأن احتجاجهم به "غلط" [6] ذلك لان المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالهجاء ومسوه بالاذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شئ من ذلك" [7] .

وهذه مسألة قديمة ونقاشها تقادم معها . ولكن وبقليل من التعقل ، هل يصح ان

يقول الرسول الكريم "لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين" [8] ، ويجئ القرآن فيحرمهم هذا الشعر الذي يتعلقون به ويستحيل ان يتخلوا عنه ؟؟ لدرجة انه ادخله في باب الحرام او المكروه ؟ ! .

وقد ذكر ابن عبد ربه الأندلسي ان انس بن مالك قال : قدم علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما في الانصار بيت الا وهو يقول الشعر ، قيل له : وانت يا أبا حمزة ؟ قال : وانا [9] .

وليس هذا فحسب ، فقد قال الرسول – عليه السلام – : "إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه" [10] وقال كذلك : "إنما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب" [11] .

وهذا لا يتناقض مع القرآن الكريم بأي حال من الاحوال .

ويروي القرطبي بأسانيده [12] "أن كعب بن مالك قال : يارسول الله ماذا ترى في الشعر ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه".

وعن ابن سلام يروي القرطبي كذلك ان الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال لكعب بن مالك [13] : أترى الله – عز وجل – شكر لك قولك :

زعمت سخينة ان ستغلب ربها
فليغلبن مغالب الغلاب [14]

وهذا يدلنا – في الوقت نفسه – على ان الرسول لم يكن يتحرج في الاستشهاد بأبيات كاملة من الشعر وبصورة تحافظ على وزنه ، لا كما يروى عنه انه – دائما – كان يرويه بافقاده ذلك الوزن بتغيير ترتيب كلماته او يجعل اوله آخره واخره اوله كما ذكرت عائشة عنه وهى التى قالت ان الشعر كان ابغض الحديث اليه [15] ثم قالت : "غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس" [16] تقصد (طرفة بن العبد) في بيته المشهور :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهل
ويأتيك بالاخبار من لم تزود [17]

وان ذكر الهمداني انه "كان ينشد نصف بيت طرفة ثابتا ونصفه مقلوبا فيقول :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك من لم تزود بالاخبار [18]

فلماذا لم يقلب شطره الاول ، وكان بامكانه ان يقدم كلمة ويؤخر التي قبلها فيقول : (ستبدي الايام لك ما كنت جاهلا) ليصبح الكلام غير متزن ؟؟ .

ربما بالغوا في "تأليف" المواقف التي تظهر الرسول الكريم بمظهر غير المهتم بالشعر ، او غير الحافظ له قياسا على النفي الالهي العام عنه في قوله تعالى : "وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذن لارتاب المبطلون" [19] .

ناهيك من القضية " المعضلة " الاخرى

المتمثلة في قوله تعالى "وما علمناه الشعر وما ينبغي له ... " [20] .

ولقد نزل القرآن الكريم "بلسان عربي مبين" [21] هو لسان القوم الذين أرسل فيهم رسول منهم "وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ... " [22] ، ولكن هذا القرآن الذي جاءهم بلغتهم بهرهم ببلاغته التي لم يعهدوها - قبل - في أي لون من ألوان بيانهم ، شعرا أو نثرا ، حكمة أو مثلا ، فوقفوا أمامه مبهوتين حائرين فكما أنه أعجز الشعراء وليس بشعر ، كذلك أعجز الخطباء وليس بخطبة ، والمترسلين وليس بترسل" [23] ، وعندما تقولوا فيه الاقاويل وامتروا تحداهم : "قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" [24] ، ثم جزأ التحدي "... قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ..." [25] حين ادعوا أن الرسول إنما افتراه عليهم ، ثم ضاءل لهم من التحدي "... فأتوا بسورة من مثله ....."[26] ، ولكنهم اخفقوا وما استطاعوا ذلك ابدا .

وإذن فحري بهذا القرآن ، وهذا حالهم معه من العجز والاخفاق ان يكون محتويا على خصوصية من خصوصيات احد فنونهم هي الوزن الملازم للشعر دون ان يقدروا على الاتيان بشئ مما فيه من خصوصيات وهي كثيرة.

تلك قمة الاعجاز التي تفرد بها القرآن وتمتنع على كائن من كان !

وهو تحد آخر ان تأتي كثير من آياته موافقة لكثير من اوزان شعرهم على الرغم من ان الرسول قال : "إن من الشعر لحكمة ، فإذا ألبس عليك شئ من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه عربي" [27] .

وهذا إعجاز الاعجاز :

فشعر لغته تفسر لغة القرآن وتشرح معانيها وتحل معضلاتها ، ولكن الذين يرسلونه ليسوا بقادرين على محاكاة ذلك القرآن ولو بما يماثل اقصر آية من آياته ، وهو احتوى ميزان ذلك الشعر من جهة دون ان يكون شعرا من جهة آخرى؟! .

وهو في فواصله ووقفاته واعاريض آياته واضربها مشابه لاشطار ابياتهم ومصاريعها وقوافيها بل هو سبقهم في لزوم ما لا يلزم فيها ، ومن قبل ان يحاوله ابو العلاء المعري في شعره فيما بعد بعدة قرون ، هذا ان لم يكن القرآن قد اوحي اليه او ألهمه ذلك ؟ !.

وحسبنا انه مثلما يأخذ الشعر بألباب العرب ويملك عليهم أحاسيسهم ومشاعرهم أن يفعل القرآن بهم كذلك إذ ما أن يقف المرء تجاه القرآن حتى تأخذه الروعة منه ، وتستبد بمشاعره هذه القوى الروحية السارية فيه ، فإذا هو شاعر ، يتملى من هذا الجمال ، ويسبح بحمد هذا الجلال ، ان لم تستقم بحور الشعر وقوافيه على لسانه فانها قد تخلقت واستقامت في مشاعره ووجدانه"[28] .

وحسب اللغة العامة للتعبير الشعري التي اصطنعها الشعراء في اشعارهم لتصبح على أيديهم لغة تختلف اختلافا بينا عن لغة التخاطب اليومية على الرغم من استبدادها من جميع اللهجات وفهم العرب لها في كل مكان ولتكون فيما بعد أم العربية الفصحى التي جعلها الاسلام بالقرآن لغة عالمية [29] منذ القرن الاول ، حسبها انها تفردت بفن يرتكز على خصيصة يشترك بها مع القرآن في احدى خصائصه وهي الوزن ، او لنقل حسبها ان يكون القرآن مشتملا على خصيصتها الفنية الشعرية تلك ، على الرغم من ان أي شاعر لن يستطيع الاتيان باي خصيصة قرآنية وان تشابه معها فيما يقوله .

وهذه مجموعة من الايات المبثوثة في العديد من سور القرآن ، تطابقت مع اوزان الشعر ، وهي تبتدئ بالاية الاولى من سورة الفاتحة " الحمد لله رب العالمين" على مسلك من رأى ان البسملة : "بسم الله الرحمن الرحيم" ليست من هذه السورة وانما هي جزء من الآية الثلاثين من سورة "النمل" : "إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم" [30] ، أي بالآية الاولى من القرآن كله لا باعتبار نزولها ، ولكن لأن الرسول الكريم سماها فاتحة الكتاب وأمر بأن تكون أول القرآن " [31] .

وقد وجدت في اوزان بعض ما استخرجته من آيات-كما نرى فيما بعد -الاوزان الثلاثة "المضارع والمقتضب والمجتث" التي قال ابوالعلاء المعري انها قل ما توجد في اشعار المتقدمين [32] ثم استطرد فقال عن "المضارع والمقتضب" خاصة انهما مفقودان في شعر العرب [33] .

وقد راعيت في اثبات الايات المذكورة ما يلي :

1- ترتيبها بحسب التسلسل العددي للسور من سورة الفاتحة ، أولا فالبقرة ثانيا فما بعدهما فصاعدا ، وكذلك ترتيبها وفق أولية موقعها في السورة التى تنتمي اليها ، وليس بحسب الاوزان التي توافقت معها ، حتى يظهر التعدد الوزني والتنوع الايقاعي في كل سورة توصلت فيها الى ذلك .

2- النظر الى الآية من أولها واخضاعها للتقطيع الوزني ، وليس لى وسطها أو آخرها أو ما بينهما ، ولم ألتفت الى أي اجتزاء خلاف هذا وان شكل كلاما مفيدا.

3- إخضاع الاجتزاء تام المعنى من بداية الآية للوزن بحيث يستوفي المتزن منها كلاما مفيدا ، وتكون نهاية الوزن والمعنى متلازمتين ، ذلك لان تجزئة الكلام حتى في غير القرآن دون تقييده بمعناه سيؤدي حتما الى توافق وزني ما دمنا نقابل الساكن بالساكن والمتحرك بالمتحرك ، لاننا اذا اخضعنا ابسط تركيب لفظي باضافة حرف الى حرف آخر فقط للوزن مثل (من) و (لك) نجد أنهما يشكلان مقطعين عروضيين (سببا خفيفا وسببا ثقيلا) من تفعيلة من التفاعيل

ولكنهما يظلان دون معنى مالم ينضم اليهما كلام متمم لهما . و(فعولن) في المتقارب حين "تبتر" تصبح "فع" والبتر علة نقص تتكون من الحذف والقطع [34] .

4- استقلال الاجتزاء بذاته في معناه دون ارتباطه ببقية الآية ، وهو ما انكر ابن العربي عكسه أي أخذ الجزء من الآية على محمل التضمين الشعري [35] .

5- اهمال الاجتزاء المستوفي للمعنى المتوافق مع الوزن اذا كان مخلا بما ترمي اليه الآية في معناها العام او الاجمالي ، كما في قوله تعالى "لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ... " [36] فإن المقطع "لا تدركه الابصار" بالوقوف على السكون في "الابصار" يتزن مع التفاعيل : "فعلن فعلن فعلان " ولكن تمام المعنى المتراكب مع المقطع الآخر "وهو يدرك الابصار" لا يتحقق بعدئذ.

6- عدم الاتفاق او موافقة ابن العربي في اشتراطه ان يكون المراد اخضاعه من القرآن للوزن متمما لتفاعيل بين كامل ذي شطرين من الشعر لا يزيد عنهما ولا ينقص [37] ،ذلك لان الهدف هو اثبات اتزان القرآن وتساوقه الايقاعي في اكثر من موضع فيه ، وليس تحقيق احتوائه للشعر بالمعنى الحرفي كأن يكون محتويا على أبيات كاملة ظاهرة للعيان بشكلها وهيئتها المتعارف عليها على الرغم من أن ابن العربي يقول في الوقت نفسه [38] :

"ولا ينكر احد ان يكون بعض آية على مثال قول الشعر كقوله تعالى : "... ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ..." [39] فهذا على نصف بيت من الرجز.

7- في حالة تطابق آية بكاملها مع الوزن يتغاضى عن ارتباط معناها بما قبلها او بعدها من آيات.

8- عدم اللجوء الى ضرورات ليست جائزة حتى في الشعر مثل الوقوف على السكون داخل الكلام دون مبرر وكان المعول عليه هو التقيد بالاعراب .

9- أن يكون استيفاء التقطيع العروضي ملازما لاستيفاء الكلام معنى ولفظا .

10- قد يتفق جزء من أول آية مع تفعيلتين ويستوفي الوزن بذلك ، ولكن قد نصادف جزءا من كلمة يتساوى مع التقطيع فيما تكون بقيتها خارجة عنه ، ولا تستوعبها تفعيلة ثالثة مماثلة صحيحة أو مزاحفة ، فاذا اكملنا الكلمة ليتم المعنى بتوقفنا عندها اختل السياق الوزني ، واذا اضفنا اليها مما بعدها من كلام اختل الوزن وفقد مجراه كذلك ، ومن هنا كان اهمال امثال هذا ضروريا.

11- الاعتداد كان دائما بما يتوافق وزنه مع تفعيلتين فما فوقهما فحسب ، وليس ثم عدد محدد للتفاعيل بعدئذ.

12- الاخضاع لوزن مبني على القراءة المعتادة للآيات ، ووفق القواعد النحوية - الاعرابية الصحيحة فحسب ولا شئ سوى ذلك من انشاد شعر أو ترنم به او تجويد قرآن أو ترتيله .

13- نظرت في الآيات التي وردت فيها كلمات : "شعر - شاعر - شعراء " واخضعتها للمعايير السابقة جميعا فوجدت ما يلي :

أ - "وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين" يس "36" الاية 69 لا وزن بها .

ب - "بل قالوا اضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون"الانبياء"21" الآية 5 لاوزن بها

ت - "ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون" الصافات"37" الآية 36 لا وزن بها ، على الرغم من خضوع "ويقولون آئنا لتفعيلتين من "الرمل" : "فعلاتن فعلاتن " " بعد الخبن" وهو اسقاط الثاني الساكن من "فاعلاتن" .

ث - "أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون " الطور "52" الآية 30 لا وزن بها بالرغم من خضوع "أم يقولون شاعر نتربص" مع وجوب الوقف عند "نتربص" ساكنة الصاد لتفاعيل شطر "الخفيف" : "فاعلاتن متفعلن فعلاتن".

جـ-"وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون"الحاقة "69" الآية 41 لاوزن بها .

حـ - "والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" الشعراء "26" الآيات 224-225-226-227. لاوزن بها على الرغم من خضوع "الا الذين آمنوا" لتفعيلتي الرجز "مستفعلن متفعلن".

وهذه هـ الآيات الموزونة :

1- سورة الفاتحة "1" الآية الاولى "بعد البسملة" "الحمد لله رب العالمين" وتقبل الوزن على المجتث : (مستفعلن فاعلاتن فاعلان) مقصورا : "فاعلاتن = فاعلات ثم فاعلان" أو على البسيط "المجزوء المذال أو المذيل" :(مستفعلن فاعلن مستفعلان)

2- سورة البقرة "2" الآية 280 "وأن كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون" من المضارع على النحو التالي : وان كان ذو عسرة فنظرة (مفاعيل مستفعلن مستفعلن) الى ميسرة وان تصدقوا (مفاعيل متفعلن متفعلن) وأما تكملتها :"خير لكم إن كنتم تعلمون" [40] فهي من البسيط "المجزوء المذال أو المذيل " (مستفعلن فعلن مستفعلان)

3- سورة طه "20" الآية 9 "وهل أتاك حديث موسى" من مخلع البسيط (متفعلن فعلن فعولن) الآية 21 "قال خذها ولا تخف .... "

من المقتضب :(فاعلاتن متفعلن) أو من مجزوء الخفيف : (فاعلاتن متفع لن = متفعلن) الآية 28 "يفقهوا قولي" من المتدارك (فاعلن فعلن) " مع تشعيث أو قطع فاعلن الثانية : فالن او فاعل = فعلن" "بسكون العين" . الآية 30

"هارون أخي "
من الخبب : (المتدارك أصلا مع تبادل تفاعيله التشعيث أو القطع والخبن) (فعلن فعلن) الآية 49 "قال فمن ربكما يا موسى؟ "
الرجز مع القطع : "مستفعل = مفعولن" (مفتعلن متفعلن مستفعل = مفعولن) الآية 51 "قال فما بال القرون الأولى؟" الرجز مع القطع :(مفتعلن مستفعلن مستفعل = مفعولن) الآية 95 "قال فما خطبك يا سامري" من السريع "اذا وقفنا على ياء (سامري) بالسكون وطرحنا شدتها:(مفتلعن مفتعلن فاعلن = سامري) الآية 110"يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ... "من البسيط : (مفتعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)
4- سورة الشعراء "26" الآية 2 "تلك آيات الكتاب المبين" من المديد : (لاعلاتن فاعلن فاعلاتن) أو منه مقصورا (فاعلاتن فاعلن فاعلان) اذا وقفنا على النون في آخر الآية بالسكون. الآية 11 "قوم فرعون ألا يتقون" من المديد : (فاعلاتن فعلن فاعلاتن) أو منه مقصورا (فاعلاتن فعلن فاعلان) اذا وقفنا على النون في آخر الآية بالسكون. الآية 58 "وكنوز ومقام كريم" من الرمل : (فعلاتن فعلاتن فاعلاتن) أو منه مقصورا (فعلاتن فعلاتن فاعلان) اذا وقفنا على الميم في آخر الآية بالسكون. الآية 98 "ان نسويكم برب العالمين" من الرمل : (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) أو منه مقصورا (فاعلاتن فاعلاتن فاعلان) اذا وقفنا على النون في آخر الآية بالسكون. الآية 100 "فمالنا من شافعين" من مجزوء الرجز مذالا أو مذيلا (متفعلن مستفعلان) مع الوقوف على النون في آخر الآية بالسكون الآية 101 "ولا صديق حميم" من المجتث : (متفعن فاعلاتن) الآية 114 "وما أنا بطارد المؤمنين" من السريع الموقوف المطوي : (متفعلن متفعلن فاعلان) مع الوقوف على النون في آخر الآية بالسكون. وأصل تفاعليه : (مستفعلن مستفعلن مفعولات) . والوقف : علة يدخل السكون بها على آخر الوتد المفروق : مفعولات والطي : زحاف مفرد يسقط الرابع الساكن: مفعلات = فاعلان الآية 115 "إن أنا الا نذير مبين" من المديد : (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) الآية 117 "قال رب إن قومي كذبون" من الرمل : (فاعلات فاعلاتن فاعلاتن) الآية 195 "بلسان عربي مبين " من المديد : (فعلاتن فعلن فاعلاتن) . الآية 214 "وأنذر عشيرتك الأقربين" من المتقارب : (فعولن فعول فعولن فعولن) الآية 217 "وتوكل على العزيز الرحيم" من الخفيف : (فعلاتن متفعلن او متفع لن فاعلاتن) الآية 223 "يلقون السمع وأكثرهم كاذبون" من المتدارك "فاعلن" الذي تتبادل تفاعيله التشعيث أو القطع "فعلن" والخبن "فعلن" والتذييل في "فاعلن" الاخيرة "فاعلان" للوقوف على آخر الآية بالسكون:

(فعلن فعلن فعلن فعلن فاعلان) وهو ما يطلق عليه اسم "الخبب" كذلك .

5- سورة الرحمن "55" : الآية الاولى "الرحمن" من المتدارك "الخبب" : (فعلن فعلن) الآية 2 "علم القرآن" من "منهوك المديد" : (فاعلاتن علن) الآية 3 "خلق الانسان" من "منهوك المديد" كذلك : (فعلاتن فعلن) الآية 4 "علمه البيان" من "منهوك الرجز" مع القطع والخبن : مستفعلن = فعولن : (مفتعلن فعولن) الآية 8 "الا تطغوا في الميزان" من المتدارك "الخبب" : (فعلن فعلن فعلن فعلن) الآية 19 "مرج البحرين يلتقيان" من المديد : (فعلاتن فاعلن فعلاتن) الآية 20 "بينهما برزخ لا يبغيان" من البسيط المجزوء المرفل : مستفعلن = مستفعلاتن (مفتعلن فاعلن مستفعلاتن) واذا وقفنا على آخرها بالسكون تصبح من مجزوئه المذيل أو المذال : مستفعلن = مستفعلان . الآية 53 "فيهما من كل فاكهة زوجان" من المديد غير المجزوء (بحسب وروده في دائرته النظرية الافتراضية) : (فاعلاتن فاعلن فعلاتن فعلن) الآية 60 "هل جزاء الاحسان الا الاحسان" من المتدارك : (فاعلن فعلن فاعلن فعلن) الآية 66 "فيهما عينان نضاختان" من المديد : (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) الآية 70 "فيهن خيرات حسان" من منهوك الرجز المرفل : (مستفعلن مستفعلاتن) واذا وقفنا على آخرها بالسكون تصبح من منهوكه المذيل أو المذال (مستفعلن مستفعلان) .

6- سورة النازعات "79" الآيات : 1-2-3-4. "والنازعات غرقا" "والناشطات نشطا" "والسابحات سبحا" "فالسابقات سبقا" كلها من منهوك الرجز المقطوع المخبون : مستفعلن = متفعل = فعولن (مستفعلن فعولن) الآية 11 "أئذا كنا عظاما نخره" من الرمل المحذوف المخبون : فاعلاتن = فاعلن = فعلن : (فعلاتن فاعلاتن فعلن) مع الوقوف على آخرها بالسكون

7- سورة عبس "80" الآية 10 "فأنت عنه تلهى" من المضارع "المجزوء" : (مفاعلن فعلاتن) أو فع لاتن) مع القبض في (مفاعيلن = مفاعلن) . واذا أشبعنا هاء الضمير في (عنه) تكون (فاعلاتن = فاع لاتن) دون خبن. الآيتان 13-14 "في صحف مكرمة" "مرفوعة مطهرة" من منهوك الرجز :(مستفعلن متفعلن) مع الوقف على آخر كل منهما بالسكون.

8- سورة الانشقاق "84" الآية 12 "ويصلى سعيرا" من المتقارب :(فعولن فعولن)

9- سورة البروج "85" الآية 14 "وهو الغفور الودود" من المجتث : (مستفعلن فاعلاتن) الآية 20 "والله من ورائهم محيط" من الرجز "المقطوع المخبون" : مستفعلن = مستفعل = متفعل = فعولن. أو من السريع (المشطور المكسوف المخبون : مفعولات = مفعولا = مفعولن = معولن = فعولن) مستفعلن مستفعلن مفعولات = مستفعلن مستفعلن

فعولن (مستفعلن متفعلن فعولن) الآية 21 "بل هو قرآن مجيد" من منهوك الرجز المرفل : (مفتعلن مستفعلاتن) واذا وقفنا على آخرها بالسكون تصبح من منهوكه المذيل أو المذال : (مفتعلن مستفعلان)

10- سورة الطارق "86" الآية 9 "يوم تبلى السرائر" من الخفيف "المجزوء" (فاعلاتن متفعلن) أو متفع لن)

11- سورة البلد "90" الآية 3 "ووالد وما ولد" من الرجز "المنهوك" (متفعلن متفعلن) = (مفاعلن مفاعلن) مع الوقوف على آخرها بالسكون.

12- سورة الشرح "94" الآية 4 "ورفعنا لك ذكرك" من الرمل : (فعلاتن فعلاتن) مع الوقوف على آخرها بالسكون. الآية 8 "والى ربك فارغب" من الرمل : (فعلاتن فعلاتن)

13- سورة العلق "96" الآية 15 "كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية" من الرجز : (مستفعلن مستفعلن متفعلن مستفعلن) مع الوقوف على آخرها بالسكون.

هوامش الاحالات والتعليقات

(1) سورة محمد . الآية 24.

(2) سورة البقرة . من الآية 115 .

(3) سورة الحاقة . الآية 41.

(4) سورة الشعراء . الآيات 224-225-226.

(5) نفسها . الآية 227.

(6) - (7) ابن رشيق القيرواني . العمدة 1 : 31.

(8) نفسه وكذلك الجزء . ص 30.

(9) ابن عبد ربه الاندلسي . العقد الفريد 5 :283.

(10) - (11) العمدة 1 :27.

(12) القرطبي (ابن عبدالبر) . الاستيعاب في اسماء الاصحاب . على هامش الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، 3 : 274.

(13) ويورد رواية عن ابن هشام أن كعب بن مالك لما قال :(جاءت سخينة كي تغالب ربها فليغلبن مغالب الغلاب) "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا" وينسب ابن عبد ربه الاندلسي البيت ومناسبته الى حسان بن ثابت. راجع العقد ، 5 :278 ومعادا ص 290.

(14) "سخينة" هو تعبير لقريش لأنها - كما ذكروا - تكثر من أكل السخينة وهي طعام حار وقيل طعام يتخذ من دقيق وسمن أو من دقيق وتمر . أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة. راجع : ابن منظور . لسان العرب "سخن" 13 : 206 ، وفيه البيت شاهدا بروايته "زعمت

سخينة ... " وينسبه الى كعب بن مالك . وكعب هذا أحد الشعراء الثلاثة الذين كانوا يدافعون بشعرهم عن الدعوة والرسول مع حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة ، وكذلك هو أحد "المخلفين الثلاثة" مع "هلال بن أمية" و "مرارة بن الربيع" عن المشاركة في "غزوة تبوك" سنة 9 ب .ه، وقد عاقبهم الرسول على هروبهم من الجهاد فأمر الا يكلمهم احد من المسلمين حتى نزل العفو عنهم في قوله تعالى : "وعلى الثلاثة الذين خلوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم" سورة التوبة – الآية 118. وانظر لهذا : الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، 2 : 374.

(15) الطبري . جامع البيان في تفسير القرآن ، 23 : 19.

(16) نفسه والجزء والصفحة كذلك . ونعته طرفة بن العبد بأخي بني قيس هو نسبه الى جده الاعلى قيس بن ثعلبة الذي يرقى الى بكر بن وائل.

(17) انظر كذلك : المرزباني . معجم الشعراء ، ص 6.

وكذلك : د. ناصر الدين الاسد . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية.ص 212.

(18) الهمداني "لسان اليمن" القصيدة الدامغة وشرحها . ص 323.

(19) سورة العنكبوت . الآية 48.

(20) سورة يس . من الآية 69.

(21) سورة الشعراء . الآية 155.

(22) سورة ابراهيم . من الآية 4.

(23) السيوطي . المزهر ، 2 : 472.

(24) سورة الاسراء . الآية 88.

(25) سورة هود . من الآية 13.

(26) سورة البقرة . من الآية 23.

(27) ابن منظور . لسان العرب "سعر" ، 4 : 410.

(28) د. محيى الدين رمضان . وجوه من الاعجاز الموسيقي في القرآن . ص 12.

(29) كارل بروكلمان . تاريخ الشعوب الاسلامية . ص 30 "بتصرف" .

(30) ابوبكر ابن العربي . أحكام القرآن ، 1 : 2 ، وأورد كذلك ما ذكر مالك وأبو حنيفة من انها "ليست في اوائل السور بآية وانما هي استفتاح ليعلم بها مبتدؤها" .

(31) محمد الطاهر ابن عاشور . تفسير التحرير والتنوير ، 1 : 136.

(32) – (33) أبو العلاء المعري . الفصول والغايات . ص 132.

(34) وذلك في حالة "المتقارب" من العروض التام والضرب الأبتر :

(خليلي عوجا على رسم دار
خلت من سليمى ومن ميه
فعولن فعولن فعولن فعولن
فعولن فعولن فعولن فع .
راجع : ابن عبد ربه الاندلسي . العقد ، 5 : 476 و 494 . وابن السراج الشنتريتي . المعيار في اوزان الاشعار . ص 107. والخطيب التبريزي . الوافي في العروض والقوافي . ص 187.

(35) أبوبكر ابن العربي . أحكام القرآن ، 4 : 1613.

(36) سورة الانعام . من الآية 103 . وتكملتها : وهو اللطيف الخبير.

(37) أحكام القرآن ، 4 : 1610.

(38) نفسه وكذلك القسم ص 1613 ، ومع هذا فهو يصر على ان بعض آية وجزءا من كلام لا يكون شعرا" ؟! .

(39) سورة الانفال . من الآية 38.

(40) ودون تزيد او تمحل في الاستدلال أو مغالاة في تحميل القرآن مالا يحتمل اذكر بأن كثيرا من رواد الشعر الحر "شعر التاعيل" حاولوا كتابة قصائد تتوزع الواحدة منها بين عدة ابحر ، أو عدة تفاعيل من أبحر مختلفة على الرغم من ميلهم دائما الى استعمال تفاعيل سباعية فقط ، أو خماسية دون مزج بين النوعين مما نجده في أبحر كالطويل أو المديد أو البسيط . وفي هذا المجال أي فيما يخص الشعر والنظم القرآني لست من الداعين أو القائلين : "ان القياس مع الفارق" تغطية لتزيدهم وتمحلهم ؟! . وعلى كل حال فان الشعر حين يتحول الى تكلف متعمد في ابنيته وأشكاله يبعد عن كونه فنا عفويا إلهاميا ويصبح صناعة وتصنعا .

المراجع

مرتبة حسب أولية ورودها :

1- ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني (تـ 456 هـ) وقيل (463 هـ) . العمدة "في محاسن الشعر وآدابه ونقده" . تحقيق : محمد محي ادين عبدالحميد - (ط) بيروت - دار الجيل - 1981 ف.

2- أحمد بن محمد بن عبدربه الاندلسي (تـ 327 هـ أو 328 هـ). العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين . القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- 1949 - 1965ف.

3- أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (تـ 852 هـ) . الاصابة في تمييز الصحابة ، بيروت - دار الكتاب العربي - (د.ت).
4- جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الانصاري (تـ 711هـ) ، لسان العرب . بيروت - دار صادر (د.ت) .
5- ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (تـ 310 هـ) ، أ - تاريخ الأمم والملوك (ط 4) . بيروت - مؤسسة الاعلمي - 1983 ، ب - تفسير الطبرى "جامع البيان في تفسيرالقرآن" . 1980 عن طبعة بولاق - مصر - 1328 هـ - 1910 .
6- أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (تـ 384 هـ) ، معجم الشعراء . تحقيق عبدالستار احمد فراج ، مصر - (؟؟) - (؟؟) .
7- د. ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية (ط6) . مصر - دار المعارف - 1982.
8- أبو محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (لسان اليمن) (تـ 360 هـ) ، القصيدة الدامغة ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي . القاهرة - مطبعة السنة المحمدية - 1978.
9- جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي (تـ 907 - أو 911هـ) . "المزهر في علوم اللغة وانواعها" ، تحقيق : محمد جاد المولى وآخرين . بيروت - دار الفكر - (د.ت) "طبعة مصورة".
10- د. محيي الدين رمضان ، وجوه من الاعجاز الموسيقى في القرآن ، عمان "الأردن" - دار الفرقان - 1982.
11- كارك بروكلمان (تـ 1956) ، تاريخ الشعوب الاسلامية . ترجمة : نبيه أمين فارس - منير البعلبكي (ط.6) . بيروت - دار العلم للملايين - 1974.
12- ابوبكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري الاشبيلي (تـ 543 هـ) ، أحكام القرآن ، تحقيق : علي محمد البجاوي . بيروت - دار المعرفة - (د.ن).
13- محمد الطاهر بن عاشور (تـ 1973) ، تفسير "التحرير والتنوير" . تونس - الدار التونسية للنشر - 1984.
14- أبو العلاء احمد بن عبدالله المعري (تـ 449 هـ) ، الفصول والغايات ، تحقيق: محمد حسن زناتي . بيروت - دار الآفاق الجديدة - (د.ت).
15- أبوبكر محمد بن عبدالملك بن السراج الشفتريني الأندلسي (تـ بين نحو 545/ 550 هـ) ، المعيار في اوزان الاشعار ، تحقيق وشرح : د. محمد رضوان الداية (ط3) ، دمشق - دار الملاح للطباعة والنشر - 1979 .

الأمن الثقافي

بقلم / د. محمد مصطفى بن الحاج

من المفاهيم الحديثة والمصطلحات المعاصرة التى كثر تداولها مع نهاية هذا القرن الافرنجى العشرين ، مفهوم أو مصطلح "الأمن الثقافى" أسوة بشقائقه الأخر : الامن الصناعى ، والأمن الغذائى ، والأمن العسكرى . وهى ألوان من الأمن التى فرضت نفسها بحكم طبيعة العصر والصراع واستراتيجيات التخطيط ومجابهة مستجدات الأحداث الطبيعية والسياسية والاقتصادية والأمنية ، ومايترتب عنها على مستوى التكتلات الدولية والمصالح القطرية .

ولئن كانت هذه التسمية " الأمن الثقافى" معاصرة ، وقد شاعت فى كتابات العقدين الآخيرين من هذا القرن بخاصة ، فإن مدلولها ظل هاجس معظم - إن لم نقل كل - الدول منذ أزمان بعيدة ، وإن اختلفت درجته ونوعيته من زمان إلى آخر ، ومن مكان إلى آخر .

إن الأمن الثقافى هو أحد الشواغل الأساسية التى تؤرق الساسة والمفكرين فى مختلف دول العالم بعامة ، وفى العالم المتقدم بخاصة . وماصراع الإديولوجيات الفكرية والسياسية المتنوعة إلا مظهر من مظاهر ذلك . أجل تختلف الدول فى أساليب حماية مواطنيها وتحصينهم من الأفكار الوافدة ، وذلك بتكثيف برامج غسل الأدمغة وانتقاد الآخرين من جهة ، ومحاولة حجب الفكر الآخر ومصادرته بكل الوسائل . ومن هنا ضربت الصين - مثلا - على شعبها سورا ثقافيا إديولوجيا أشد وأحكم من سورها الحجرى العظيم ، وكذلك حاول الاتحاد السوفياتى فى أوان قوته ، فضرب سورا حديديا ، وامتدت العدوى إلى سائر الأنظمة الشيوعية فى العالم ، فحظرت على شعوبها كل فكر وافد ، وأغلقت نوافذ المعرفة الأجنبية . أما الدول الغربية فكانت - ومازالت - تمارس أساليب أكثر دهاء وأشد تأثيرا . فقد كثفت جهودها العلمية والسياسية لانتقاد الآخرين وتعرية عيوبهم عن طريق وسائل الاعلام المتنوعة ، وفتحت من جهة أخرى صدرها للرأى الآخر ، كما فتحت نوافذها لثقافات العالم وأفكاره المختلفة ، وسمحت بالنقد والتحليل وإبداء الكلمة الصريحة الحرة والتعبير العلنى المنظم .

ولقد صمدت وسائل التصدى والدفاع عن الثقافة الوطنية عدة عقود من هذا القرن فى هذا الصراع المخيف ، غير أنه مع نهاية هذا القرن الإفرنجى ، تغيرت ، وماتزال تتغير خرائط تلك الصراعات ، وكان أن انهار نظام السوفيات وانكشفت مثالبه ، فأعطى هذا الحدث دروسا مهمة لكثير من الدول ، الأمر الذى دفع إلى تغيير سياساتها الدفاعية الثقافية . وازداد الأمر تعقيدا بانتشار عشرات الأقمار الاصطناعية حول كوكبنا الأرضى ، وتحول العالم إلى قرية صغيرة بفضل مئات القنوات الفضائية ، وبفضل الشبكات الحديثة لنظم المعلومات وتقدم نظم الحواسيب المذهلة .

إن مآل إليه الوضع العلمى والتقنى اليوم ، لم يعد تجدى معه الأسوار الفكرية والسياسية الحديدية ولا الفولاذية . فقد صار فى إمكان أى مواطن تتوافر لديه الوسيلة فى أى قرية نائية أن يتابع أخبار العالم وثقافاته وألوان حياة الشعوب وتقدمها أو تأخرها ، بكل يسر من خلال عشرات بل مئات من القنوات المرئية الفضائية الملونة الرائعة . وإذن فما تردده أى صحافة أو إذاعات محلية ، لن يجدى فى غسل أدمغة الجماهير ، ولا فى التمويه والتزييف عليها ، لأن كل شئ ، كل الحقائق ماثلة أمامها بالبث المباشر .

من هنا فقد تعقد الموقف ، وصارت قضية الأمن الثقافى معضلة تؤرق فعلا ، وتحتاج إلى تدبير علمى موضوعى هادئ ، وليس إلى مقترحات عاطفية وحلول عشوائية ، ووسائل مستهلكة أثبتت فشلها الذريع .

أبعاد القضية وطبيعتها :

قبل أن نتناول موقفنا العربى من هذه القضية ، علينا أن نتلمس حجمها وأبعادها ، بل علينا أن نقارنها بمثيلاتها من القضايا الأمنية المادية بأنواعها . ذلك حتى يدرك القارئ أهمية الأمن الثقافى وحساسيته فى دنيا الصراع العالمى المعاصر .

إن الأمن الثقافى فى فهم الأمم الواعية ركن أساسى فى وجودها ، واستقلال إرادتها ، وتميز شخصيتها . ولقد تمر هذه الأمم بظروف تطول أو تقصر ، تؤثر فى أمنها الغذائى أو الصحى أو الأمنى أو العسكرى مثلا ، فلا تتزعزع بنيتها ، ولا يتخلخل كيانها ، ولاتخشى على حاضرها ولامستقبلها . لماذا ؟ لأن أمنها الثقافى المتمثل فى منظومة لقيم والمعايير والمقومات الأساسية فى بناء المواطن هى فى أمان . أما إذا داهم الخطر ثقافة المجتمع وتهدد أمن تلك المنظومة التى تشكل شخصية المواطن ، فإن الأمر يستدعى استنفار كل الإمكانات وكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة أحيانا . ومن هنا فإن الأمم الواعية والمجربة لا تنتظر متى تمتحن فى أمنها الثقافى ، فتكون هدفا تصوب إليه الأسلحة المادية والمعنوية ، فإذا بها "حرب باردة" متعددة الجبهات ومتنوعة

الأقنعة . وإدراكا من الأمم الواعية للحكمة القائلة إن خير سلاح للدفاع هو أسلوب الهجوم ، فإنها تتنافس فيما بينها للدفاع عن أمنها الثقافى ، وذلك بالمبادرة فى غزو الجانب الآخر بمختلف الأساليب العصرية لإشاعة لغتها وفرض ثقافتها وأنماط سلوكها عن طريق الكتب والمجلات والصحف والأشرطة والمصنوعات وأنواع "الموضة" بل عن طريق أسرع وأجدى وهى القنوات الفضائية.

لقد شهدت السنوات الاخيرة من هذا القرن الإفرنجى تكتلات اقتصادية كبرى حرصا على المستقبل أو بالأحرى الامن الاقتصادى ، لكونه المحرك الأول ، كما أنه الضامن الأول للأمن السياسى ، وتكونت عدة جمعيات ومراكز ونواد علمية استراتيجية ، - لعل أشهرها "نادى روما" المعروف ، تتابع التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لشعوب العالم ، ويلتقى أعضاؤها فيحللون ويتناقشون ويخرجون بالنتائج والتوصيات العملية التى تأخذ طريقها إلى التنفيذ المباشر عبر المؤسسات المتخصصة ، على عكس نتائج المؤتمرات والندوات العربية وتوصياتها التى اعتادت أن تظل حبرا على الورق

ذلك هو مايجرى فى مجال الاقتصاد والسياسة ، أما فى دنيا الصراع الثقافى ، فقد شهد هذا القرن الإفرنجى حروبا حقيقية نشبت بين مراكز الإنتاج الثقافى فى كل من أمريكا واليابان وفرنسا وألمانيا وبريطانيا ، وهى حروب ثقافية ذات أبعاد عالمية للسيطرة والاحتكار ، لكنها محكومة بعلاقات التحالف السياسى والاقتصادى فى مواجهة الدول الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفياتى والصين [1] . وعندما اطمأن الغرب إلى أن الاشتراكية العلمية قد سقطت قلاعها بانهيار الاتحاد السوفياتى ، برزت دعوى جديدة هى مقولة النظام العالمى الجديد التى تعنى تفرد أمريكا بالسيطرة والتحكم فى العالم ، مستهدفة فيما يخص العرب أغراضا استراتيجية فى مقدمتها أمران : الأول : تمكين اليهود من تنفيذ المشروع الإمبريالى الصهيونى ، واخضاع الانظمة العربية للتطبيع معه علنيا أو سريا ، والثانى : تنفيذ برنامج غير مباشر للقضاء على الحركات النهضوية الإسلامية فى العالم بطرق ذكية متنوعة [2] .

كان ذلك على المستوى العالمى ، أما على المستوى العربى ، فقد كان وطننا العربى هدفا لتيارات فكرية ، من أخطرها التحزّب والماركسية والتخريب الثقافى الصهيونى عن طريق الإعلام الغربى . احتضنت بريطانيا بذرة التحزّب ثم زرعتها فى منطقة مايسمى سابقا بالهلال الخصيب "العراق وسوريا" ثم غذى هذا الزرع بالانشقاق والخلاف الحادين ، فصار الحزب حزبين، وانهمكا فى خلافات ذات تأثيرات وأبعاد منظورة وخفية ، أوقعت أعدادا من

شباب أمتنا فى متاهات كان لها – ومايزال – الأثار الوخيمة على وحدة الأمة وعقيدتها ومواقفها الإقليمية والدولية ، وأوضاعها السياسية والاقتصادية الراهنة والمستقبلة . أما الماركسية فقد استطاعت إغراء قطاعات واسعة من شبابنا العربى عقب الحرب العالمية الثانية نتيجة عدة عوامل ، فتكونت أحزاب كثيرة فى السودان والمغرب واليمن الجنوبى ، وتبنى هذا الفكر كثير من الأساتذة والكتاب والمفكرين والأدباء فى العراق وسوريا ومصر وتونس وفلسطين وغيرها متطلعين إلى مازينته لهم مبادئ الشيوعية من أحلام وردية وأمان مغرية لفردوس أرضى موعود . ولقد أثبتت التجارب الواقعية فى كوبا ويوغسلافيا وكوريا الشمالية وجنوب اليمن سراب الشعارات الماركسية وفشلها فى بناء الإنسان وخدمة المجتمع ونهضة الاقتصاد وتحقيق الرخاء والأمان والرفاهية المرعودة .

إن غياب الحصانة الثقافية بسبب عوامل كثيرة خلال عقود هذا القرن هو ماأدى إلى وقوع تلك القطاعات من الشباب فى حبائل تلك الاديولوجيات الوافدة ، وهو مامكن لبعضهم من الاستيلاء على مقاليد الأمور وقيادة الامة إلى ماوصلت إليه من أزمات وأوضاع مترديبة ، حطمت الإنسان ، واستنزفت الموارد ، وأخرت الركب العربى عن العصر تأخيرا مخيفا.

أما ثالثة الأثافى ، وهى الصهيونية ، فقد جاء فى إحدى طبعات كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) الذى ترجمه الأستاذ محمد خليفة التونسى ، تعليق للأستاذ الكبير/العقاد ، يقول فيه : أخطر كتابين صدرا فى القرن العشرين هما هذا الكتاب (البروتوكولات) وكتاب (قطع على رقعة الشطرنج) لمؤلفه (وليم غاى كار) وترجمه سعيد جزائرلى . ولقد دعم هذا الرأى عشرات من الكتب والأبحاث والمقولات التى تناولت قضية هذين الكتابين وهى تخطيط اليهود منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر الإفرنجى لاحتواء العالم فكريا واقتصاديا والسيطرة عليه عن طريق وسائل شتى فى مقدمتها الغزو الثقافى والتسرب الخفى لتمزيق القيم والأخلاق وهدم الأديان والأعراف . هذا الأخطبوط الصهيونى الرهيب الذى يضرب بزعانفه فى مختلف بقاع العالم ، ظهرت آثاره المدمرة ، وشكلت ظواهر خطيرة ، أثارت الأقلام حتى فى البلدان الرأسمالية ، فصدرت كتب ومقالات ، وماتزال تصدر ، تعبر عن انزعاجها وعن توقعاتها السوداء لما سيكون عليه المجتمع الغربى من أمراض وكوارث نفسية واجتماعية بسبب مازرعته الصهيونية من مخدرات وانحلال وعنف وإرهاب وجرائم وشذوذ [3] .

ولعل دنيا السياحة بإغراءاتها المختلفة هى من أهم أدوات أو مسارب الغزو الصهيونى المسموم ، وأذكر أن

صحيفة (الهلال) الإيرانية التى تصدر فى كندا باللغة الإنجليزية كتبت فى أحد أعدادها فى أول الثمانينيات عن عدة مشروعات سياحية تديرها شركات صهيونية بتمويل عربى ، فى بعض الأقطار البحرسطية . ووقفة أمام المكتبة العربية فى موضوع الحركة المأسونية - إحدى أدوات الصهيونية العالمية - كفيلة بإعطائنا الصورة الواقعية لما عليه هذه الحركة وأنشطتها فى الوطن العربى ، وتفشيها فى الأوساط السياسية والإعلامية والأدبية والفنية بصورة عامة .

وهكذا ندرك أن وطننا العربى مع نهاية هذا القرن الافرنجي مهدد فى أمنه الثقافى بغزو عالمى هو الغزو الصهيونى من خلال الثقافة الغربية ، وأن التحزب والماركسية قد أفلسا واتضحا على حقيقتهما أمام المثقف العربى اليوم .

مسالك الغزو الثقافى : يمكننا تحديد مسالك الغزو الثقافى الغربى التى ابتدأت منذ أوائل القرن الماضى ، وتعددت الآن وتعقدت ، فى الوسائل والطرق الآتية :

1- وسائل الاعلام المعاصر بأنواعها : الإذاعات المسموعة والقنوات الفضائية المرئية ، وشبكات المعلومات ، والكتب والمجلات والصحف ووكالات الأنباء ، وأنواع الأشرطة المسموعة والمرئية .

2- المؤسسات التعليمية والترفيهية ومافى حكمها ، ويعود تاريخ بعضها إلى منتصف القرن التاسع عشر ، ومنها :[4]

أ- مدارس الإرساليات التبشرية

ب- الجامعات الأمريكية فى بيروت والقاهرة .

جـ- مؤسسة فرانكلين الأمريكية وروكفلر الصهيونية .

د- عقد المعاهدات وتوفير المنح الدراسية .

هـ- جمعيات الصداقة وبيوت الشباب العربية الأوربية .

و- نوادى الروتارى واللوين وغيرهما من المحافل الماسونية.

ز- المراكز الثقافية ومدارس اللغات بأنواعها .

حـ- المشروعات والبرامج السياحية وأماكن اللهو والترفيه المتنوعة.

3- تشكيل العقليات والمفاهيم العلمية والاجتماعية للدارسين والمتدربين فى المؤسسات العلمية من معاهد وجامعة أجنبية ، فإذا عادوا إلى أرض الوطن صاروا دعاة متعصبين للمنهجية والمفاهيم الغربية وللذوق الأجنبى ، دون انتقاء أو تمحيص ، ودونما مراعاة للأصول العربية ومنظومة القيم العربية وذوقها المميز .

4- المؤثرات الدولية والإقليمية عن قضايا المرأة وعن الحريات الجنسية والعلاقات الاجتماعية ، وأقرب مثال لذلك مؤتمر بكين المعروف ومأأثاره

من قضايا حساسة وأفكار شاذة حركت حتى الكنيسة العالمية . كذلك هناك المهرجانات الدولية للخيالة والمسرح والسياحة . فهذه الملتقيات وأمثالها هى من أهم وسائل التغريب والتخريب غير المباشر ، تحت شعارات براقة مثل التقدم والتطور والتحرر ، ومثل حرية الرأى وحوار الشمال جنوب ، وعالمية الفكر والفن.

5- البضائع الاستهلاكية المتنوعة كالأجهزة والألبسة التى تواكب أحدث (صيحات الموضة) كما يقولون - للإناث وللذكور ، والتى تتناقض مع تقاليدنا العربية وقيمنا الاسلامية وأذواقنا الشرقية .

وواضح مما تقدم أن أخطر هذه الوسائل وأسرعها تأثيرا هى وسائل الإعلام . ولو قمنا بمقارنة سريعة بين وسائل إعلامنا العربى ، والوسائل الإعلامية الأجنبية ، لوقفنا على مظاهر لا تحصى من الاستلاب الثقافى ، والتبارى فى الفرنجة بصورة تجاوزت ما عليه القنوات الأجنبية .

إن محطات تلفزيونية فضائية عربية معروفة تمارس غزوا داخليا ، بقصد أو عن غير قصد (ونرجو أن يكون كذلك) ، لاتمارسه المحطات الفضائية الغربية الرسمية نفسها . ولعل ظاهرة مايسمى (بالفيديوكلب) الذى قتل أجمل مافى فن الغناء وكل فن وهو عنصر التجريد ، وذلك بتجسيد الأغنية فى مناظر مفتعلة وأحيانا ساقطة مبتذلة .. لعلها خير مثال على مانقول . ولقد بلغ الغزو الثقافى درجة جعلت بعض المحطات العربية الخليجية والمصرية ، لايروقها أن تكتب أسماءها باللغة العربية ، وإنما ساقها الافتتان بلغة الثقافة الغازية فجعلت أسماءها مختصرة بالأحراف اللاتينية ، ليس هذا فحسب ، بل صار الاعلام العربى عامة يردد تعبيرات الإعلام الغربى وأحكامه القيمية . فمصطلح الإرهاب مثلا هو فى أساسه قانونى إجرائى deroit penal ، وقد ركزت وسائل الإعلام الغربى مثل محطات (VP - AP - AFP) الأمريكية على استخدامه لوصف حركات التحرر بأنواعها كالمقاومة الفلسطينية بالإرهاب ، وأنتجت لتشويه قضايا فلسطين والعروبة والاسلام آلاف الأفلام التسجيلية وعشرات الآلاف من التقارير [5] . والمؤسف أن معظم اجهزة الإعلام والثقافة العربية تلصق هذا الوصف (الإرهاب والإجرام) ، بقصد ، أو بدون قصد، فينعكس ذلك على فهم المتلقى العربى العام ، وعلى تحديد موقفه السياسى والعاطفى من الأحداث .

لقد زالت الحواجز والخصائص الجغرافية إلى حد كبير أمام وسائل الإعلام المعاصر بتقنياتها المتطورة ، وبات الزمن الإعلامى من حيث السرعة والتداخل والتأثير، زمن الضوء بلتعبير الفيزيائى ، فهو منطلق سريع ولامتناه ، ولايمكن ضبطه فى حدود ضيقة

ومحصورة [6] . ومقتضى هذه الحقيقة أن على الشعوب التى تغار على شخصيتها القومية، وتحرص على وقاية المواطن فى قيمه ومفاهيمه وثقته بنفسه وأرضه وماضيه وحاضره ، عليها أن تعمل كل مافى وسعها لصد ذلك الغزو الإعلامى الجذاب ، وبتعبير آخر لابد لها من توفير حصانة قوية ومناعة ثقافية فعالة .

الوضع الراهن للثقافة العربية :

إذا بحثنا عما لدى شعوبنا العربية بعامة من حصانة إعلامية ومناعة ثقافية ، وقفنا على حقائق تبعث على القلق الشديد ، وربما تدعو إلى القنوط - أحيانا - حيال حاضر الغزو الثقافى وأبعاده فى حياتنا المعاصرة والقادمة . وأهم هذه الحقائق هى :

1- الولاءات الفكرية والمذهبية للآخر [7] ، من ماركسية ، وليبرالية ووجودية وعبثية وبراجماتية . وتتمثل هذه الولاءات فى طبقة المثقفين وأساتذة الجامعات المفترض فيهم أن يكونوا هم الواجهة القادرة على حماية الثقافة القومية وتمثيلها والتعبير عنها أمام الثقافات الأجنبية . وواضح أن سبب هذا الانجراف المسرف والتشبع الشديد والتسليم المطلق لتلك النظريات والمناهج إنما هو ضعف أو سوء التنشئة الاجتماعية ، وفشل برامج التربية والتعليم والثقافة الوطنية فى تكوين الحصانة المطلوبة والمناعة الثقافية الواقية .

2- الانهماك فى خلافات فكرية وعقيدية (دينية وسياسية وطائفية أحيانا) نتيجة تلك الولاءات للخارج ، ونتيجة غياب روح الموضوعية والنزاهة والسماحة وسعة الأفق فى المجادلة والحوار وقبول الرأى الآخر . والواقع أن هذه الظواهر على ماهى عليه الآن هى من أهم عوامل الفرقة وتبديد الجهود وتمزيق الصف وتمكين الأجنبى من زرع ثقافته وتنفيذ برامجه لاحتواء شعوبنا بكل سهولة والسيطرة عليها من الداخل .

3- الانبهار الشديد بما عليه الأجنبى من تقدم واستقرار ورفاهية وأمان ، وماينظم حياته من مؤسسات وقوانين ومنابر للرأى ، وفى المقابل سيطرة الشعور بخيبة الأمل فى جدوى البرامج والمشروعات العربية المطروحة ، وذلك من خلال الواقع المعيش فيه فعلا [8] .

4- انعدام الثقة فى وسائل الاعلام العربى ، بسبب سياساته وأهدافه ووسائله . فقد قام سور نفسى سميك بين المواطن العربى الواعى وإعلامه ، بما يحاصره به من برامج وشعارات، وغسل للأدمغة ، بدلا من أن يكون وسيلة حيادية للتثقيف والتوعية والنقد والتوجيه والبناء.

5- وجود عقدة نقص فى أعماق المواطن العربى نتيجة الشعور بالخيبة واليأس وانعدام الثقة ، ونتيجة عامل المقارنة الدائم بين مايشاهده فى قنوات العالم الفضائية ومايقرأه عن الشعوب ، وبين مايعيشه في واقعه اليومى . وأخطر ما فى الأمر أن تقع عقدة النقص هذه فى التعبير فتزدرى كل عربى ، وترفض كل وطنى وكل قومى ، حتى القيم والفضائل والجوانب المشرقة والإيجابية فى الحياة العربية .

6- غياب الفلسفة التربوية المتكاملة والرؤية الواضحة لما عليه المجتمع العربى من مشكلات وأدواء ، وذلك بسبب تغيب دور العلماء ذوى الإخلاص والصراحة فى مجال التخطيط والتنفيذ ، وسيطرة الأصوات المنافقة والمتسلقة فى أوساط الاساتذة والمثقفين، وهى نماذج تضلل أولى الأمر من جهة ، ومن جهة أخرى تحجب الأصوات الصريحة المخلصة ذات الولاء الحقيقى للوطن والمبادئ وليس للأشخاص والكراسى .

7- تهميش دور البحث العلمى الجاد ، والتضييق على الكفاءات والخبرات العلمية فى ضرورات الحياة ومتطلبات البحث وفرص التواصل مع الخارج ، وأحيانا بقفل نوافذ الثقافة ومصادرة المطبوعات ، وأحيانا أخرى بمنع تدريس اللغات الأجنبية ، وبالانقطاع عن مسيرة العلم ومايصدر فى العالم من ثمار المطابع ومبتكرات العلم الحديث .

8- تخبط معظم الأنظمة التربوية والتعليمية العربية ، وسيطرة المفاهيم والآليات التقليدية فى التلقين والإملاء وحشو أدمغة الطلاب وإخضاعهم للامتحانات المرعبة ، إضافة إلى انتشار ظواهر الغش والعنف والترحيل ، وغياب السياسات الحكيمة فى التخطيط والتوجيه إلى تخصصات التعليم المتوسط والعالى ، ومراعاة أولويات البحث وحاجات المجتمع الحقيقية [9] .

9- محاربة الطبقية نظريا ، وتأكيدها عمليا بإيجاد نوع من الطبقية عن طريق إعلاء الاكثر ولاء وقرابة ونفاقا وخدمات ، وإهمال أو ظلم الأكثر عفة ووطنية وإخلاصا فى خدمة المجتمع والوطن .

10- جهل الغالبية من المواطنين انعرب بحقيقة الحياة الغربية ومايتخللها من أمراض وعيوب وبذور للانهيار ، وهو ماحرك الأصوات الجزيئة والأقلام الصريحة للحديث عن سقوط الحضارة (شبنجلر) وفلسفة الحضارة (اشفيتسر) واللامنتمى (كولن ولسون) وغيرها من مئات الدراسات والمقالات فى نقد الحياة الغربية .

11- الجهل بقيم الذات العربية وإيجابياتها وماتمتلكه من مزايا وفضائل وأصالة وتقاليد صالحة ، وذلك بسبب سيطرة المعايير والمفاهيم المستوردة والمتسللة إلينا ، ولعل أوضح مثال على ذلك مايثار عادة فى قضية مايسمى بتحرير المرأة .

12- تعطيل - أو على الأقل عرقلة - وسائل التثقيف والإرشاد الصحيح ، أو إسنادها لغير أهلها ، أو توجيهها وتجميد النقد الحر ، وحظر الرأى الآخر ، ومصادرة الفكر المخالف .

13- القابلية للاستعمار - كما سماها المرحوم الاستاذ مالك بن نبى ، وهى الاستعداد لقبول الاجنبى ، ليس فى ثقافته ونظمه وأذواقه فقط ، بل فى قبوله غازيا مسيطرا من جديد ، وذلك نتيجة لما آلت إليه أوضاع الإنسان العربى فى كثير من دياره الآن.

14- وجود مايعرف بالتباين الإثنى فى بنية الثقافة العربية مثل الفنيقية فى لبنان والفرعونية فى مصر والأمازيغية فى المغرب العربى التى تشهد مرحلة انتعاش خطيرة الآن بدعم أجنبى من سياسة فرنسا الفرانكفونية .

15- شيوع النظرة العلمانية فى المناهج التربوية والتعليمية والتنظيمات السياسية . وقد انتجت تلك المناهج أجيالا صارت بيدها مقاليد الأمور تنظيرا وتنفيذا ، وهى تعانى اساسا من مشكلة الانفصام وازدواجية النظرة والتفكير .

16- اعتماد وسائل الاعلام العربى على الوكالات الأجنبية للمعلومات والأخبار ، وافتقاد التعاون الوثيق الدائم فى التعريف بأجزاء الوطن العربى وتغطية أخبار شعوبه ، وكل ذلك يدعو إلى إيجاد وكالة قومية للأنباء تخدم قضايا الثقافة العربية بخاصة ، وقضايا المواطن الأخرى بعامة .

17- تشتت جهود كثير من العلماء المتخصصين والكتاب الموهوبين وضياعها فى اهتمامات هامشية وقضايا غير جادة ، أو اقتصارها على النقل والتجميع والتكرار لجهود الآخرين . وقد أدى هذا الأمر إلى الانصراف عن القضايا المصيرية فى الثقافة والتربية والتعليم والسياسة والاقتصاد والتخطيط والنقد والتوجيه والدفاع عن الحريات ، كما أدى ذلك إلى التفريط فى تفاعل الثقافة العربية مع ثقافات العالم بالتعريب والترجمة من لغتنا وإليها بما يواكب سرعة تطور الحياة وتقدم العلوم والمعارف .

18- هروب نسبة كبيرة من خيرة أبناء الامة النابخين من ذوى الشهادات العالية والخبرات، والتجاؤهم إلى الدول الأجنبية ، والغربية على

وجه الخصوص ،حيث يسهمون فى مسيرة العلم ، ويشاركون فى نهضة تلك البلدان وسيادتها على حساب الوطن الأم [10] . وهذه الظاهرة هى أكبر دليل على الأوضاع المزرية التى تحيط بخناق الثقافة العربية الراهنة .

هذه العوامل والظواهر المتعددة والمتداخلة هى بعض أسباب ضعف المناعة الثقافية والحصانة الفكرية لدينا . وهى ذاتها مظاهر الأزمة الراهنة التى دفعت المهتمين إلى عقد عدد كبير من الملتقيات الفكرية على امتداد الربع الأخير من هذا القرن ، وإنجاز عشرات الكتب ومئات الدراسات والمقالات ، وإعداد عدة برامج ثقافية فى القنوات العربية المسموعة منها والمرئية .

إن أزمة الانسان العربى المعاصر هى فى جوهرها أزمة تربية وتعليم ، ولقد أثبتت تجارب عدة أمم ناجحة مثل اليابان وكوريا الجنوبية وألمانيا أن التربية والتعليم وتقديس العلماء وإتاحة الحريات واعتماد النظام والمحافظة على استقرار المؤسسات والنظم هى الطريق الوحيد الذى مكن هذه الأمم من النهوض من نكساتها والارتفاع إلى مصاف دول العالم الأولى . ولقد تناول هذه القضية كتاب كثيرون يحضرنى أحدهم الآن ، وهو شاكر النابلسى فى كتابه المهم (الطائر الخشبى) ، الذى جاء شاهدا عصريا صادقا على أوضاع التربية والتعليم العربية وتأثير ذلك فيما عليه أزمتنا الثقافية بعامة . إن هذا الكتاب الذى ينطلق من مجموعة من الشهادات الواقعية والحقائق الميدانية المدعومة بكثير من الآراء التربوية هو من أصدق المحاولات لتشخيص أوضاعنا الثقافية بشكل عام ، وهو مبادرة قيمة كان ينبغى أن تتخذ ورقة عمل فى كل البلدان العربية لبحث معضلة التعليم والثقافة التى هى سبب تأخرنا عن ركب التقدم المعاصر .

الجهود العربية لحماية الثقافة القومية :

لاشك فى أن قضية الأمن الثقافى تمثل هاجسا لدى بعض المسؤولين المخلصين ولدى كثير من المفكرين والأساتذة والكتاب والأدباء والفنانين ، الذين يتحرقون بصدق ويتطلعون إلى علاج شامل لما عليه أزمتنا الثقافية العربية الآن . لكن الأمانى وحدها والكلمات بمفردها لاتحقق واقعا ، ولاتغير شيئا ، ومالم ترتفع السياسات العربية إلى مستوى العصر والأحداث ، وتتمثل بما استطاعت أن تحققه أوربا من وحدة وتلاحم اقتصادى وأمنى وسياحى وتنظيمى فى مرحلة كهولتها ونضجها الآن ، بعد أن ودعت مرحلة المراهقة والشباب والتفاخر بالقوميات وماانتج عنها من حربين عالميتين ، مالم يتم هذا فلن يخرج العرب من أزماتهم الحالية ولن يحققوا الوحدة السياسية التى يتغنون

بها ويداعبون بها أحلام شعوبهم لتثبيت كراسيهم . فالوحدة الحقيقية هى وحدة الشعوب فى مؤسساتها وعلاقاتها الاجتماعية ورفع أيدى السلطات الحاكمة عن الحدود . الوحدة الصحيحة هى ابتعاد الساسة والسياسة عن الجماهير ، وفتح السبيل أمامها لتتواصل فى جميع مجالات الحياة . إذا تحقق هذا ، وهو جد بعيد وعزيز ، فإن الجهود ستتكامل ، والحريات ستنتعش ، والقرارات ستنفذ ، والتوصيات ستتحقق ، وعندئذ فقط تسترد الثقافة القومية عافيتها ، وتتنشط أجهزتها ، وتنجح برامجها ومشروعاتها ، وتنشأ أجيال جديدة ذات مناعة وحصانة وسيادة ، تمتلك الثقة والصراحة والأمل والطموح ، والحرية الحقيقية التى تمكنها من تغيير خرائط العالم الثقافية والسياسية أيضا .

أما عن الجهود العربية الرسمية ، فإن مجلس جامعة الدول العربية أقر فى (مايو/ الماء) 1964 ، فى دورة انعقاده (41) مشروع ميثاق الوحدة الثقافية ، وأعلن عن قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وبعد أن استكملت هذه المنظمة مقوماتها التنظيمية ، شرعت فى وضع التصور الشامل الذى يمتد حتى نهاية هذا القرن الإفرنجى فى كل مجالات اختصاصاتها . وقد تبلورت من خلال ذلك المقومات الفكرية للأمن الثقافى العربى ، وتكونت مجموعة من المؤسسات القومية هى [11] :

- معهد المخطوطات العربية .
- معهد البحوث والدراسات العربية .
- مكتب تنسيق التعريب .
- المركز العربى للتقنيات التربوية .
- معهد الخرطوم الدولى للغة العربية لغير الناطقين بها .
- الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار .
- المكتب الإقليمى لشرق أفريقيا .
- صندوق تنمية الثقافة العربية فى الخارج .
- المركز العربى لبحوث التعليم العالى.
- عدة مشروعات مهمة أخرى منها : مشروع (مؤسسة الموسوعة العربية) ، ومشروع المكتبة المركزية ، ومشروعات الخطة القومية للترجمة ، والمؤسسة العربية للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، والمعهد العالى للترجمة .

هذه الجهود وغيرها ذات الطابع الرسمى ، مظهر طيب للوحدة الثقافية العربية ، لكنها شأن كل الجهود الرسمية ، لايتعدى مفعولها الموقف أو المناسبة التى أجريت فيه ، لتتحول توصياتها ومقترحاتها – إلا فيما ندر – إلى محفوظات مطوية فى الأدراج أو بين الأرفف والأضابير . وكثيرا ما تتقاعس بعض الدول الأعضاء عن دفع حصتها فى ميزانية هذه المنظمة ، ونتيجة لمثل هذا الموقف انتهى مصير معهد الخرطوم الدولى للغة العربية – مثلا – إلى الفشل والتوقف عن كل نشاط فى العقد الأخير من هذا القرن ، كما أن

مشروعا حيويا واستراتيجيا وهو مشروع المكتبة القومية المركزية لم يتحقق حتى الآن .

ولقد دأب أمناء (وزراء) الثقافة والإعلام العرب على الاجتماع العام ، فانعقدت مؤتمرات رسمية فى مختلف العواصم العربية كان أولها فى عمان (1976) ، ولكنها لم تتجاوز الشكليات الرسمية ، وليس لها من جدوى تذكر فى أغلب الأحيان . ويمكننا رصد الملاحظات الآتية على هذه الملتقيات الرسمية :

1- اعتمادها غالبا فيما تطرحه من قضايا على الفروض النظرية والورقات الإنشائية المتسمة - غالبا - بالاتساع والتعميم والمجاملات الرسمية ، بدلا من الاعتماد على الدراسات الميدانية بأنواعها والتقارير الواقعية والإحصاءات الصحيحة والموضوعية الصريحة فى التشخيص والتوصيات .

2- عدم جدية كثير من الأنظمة السياسية فى اهتمامها بالمنظمة وما يلزمها من ميزانيات مالية ، ومايصدر عنها من توصيات وبرامج تنفيذية . وهذه الحقيقة تفسر ماعليه أوضاع الثقافة ومؤسساتها ، وماعليه بالذات بعض اللجان الوطنية المحلية للتربية والثقافة والعلوم من تسيب وازدراء .

3- انقطاع كثير من النظم والمناهج التربوية والبرامج الثقافية العربية المحلية عما تقرره المنظمة من قرارات وماتطرحه من توصيات .

4- اعتمادها - غالبا - على شخصيات مكررة بحكم العلاقات الشخصية وبحكم المواقع السياسية ، وهو مايضر بطبيعة عمل المنظمة وبقضايا الثقافة العربية ومايتصل بها من مشكلات وشؤون .

5- تجاهل وسائل الإعلام المحلية لنشاطات هذه المنظمة واجتماعاتها ، عدا مايذاع عنها من أخبار مبتسرة موجزة فى النشرات الرسمية للدول المضيفة عادة وليس أكثر . ويتحسر الإنسان حين يقارن هذا الموقف بما توليه وسائل الاعلام من اهتمامات متعددة ومبالغ فيها بمباريات كرة القدم ومناسبات الدورات الأولمبية فى العالم .

6- جهل المواطن المثقف ، بله المواطن العادى ، بكل مايتصل بهذه المنظمة من أخبار ونشاطات ، نتيجة ذلك التجاهل المؤسف .

ونتيجة لكل هذه المواقف السلبية ، فإن الثقافة العربية تعيش واقعا شائكا ومجزأ ومهددا بكثير من الأخطار الخارجية والداخلية .

سبل الخروج من الأزمة :

إن الخروج من أزمتنا الثقافية يحتاج إلى عدة إجراءات جادة تتضمن :

1- إدراك المسؤولين العرب لروح العصر وطبيعة الصراع الثقافى العالمي فى القرن الحادى

والعشرين الإفرنجى ، وهذا يقتضى مراجعة شاملة ودقيقة وصريحة للماضى ، لمعرفة السلبيات وعلاج القصور انطلاقا نحو المستقبل .

2- تخليص أجهزة الاعلام والثقافة القطرية مما يقيدها من سياسات وأهداف محلية وأساليب تقليدية فى التعامل مع المواطن ، وتطويرها بما يناسب العصر ويحولها إلى أجهزة توعية وتثقيف وبناء ، وهذا معناه تحريرها من التوجيه الرسمى وخدمة النظام القائم .

3- إيجاد وكالة عربية للأخبار ، ورابطة للإذاعات العربية المسموعة والمرئية ، تتعاون فى خدمة الثقافة العربية وربطها بالثقافات العالمية بما يناسب روح العصر .

4- استثمار جهود العلماء والكتاب اللامعين لتقديم برامج ثقافية تشدُّ المستمعين والمشاهدين وتعالج قضاياهم وتعيد الثقة فيهم وتكشف لهم عن حقيقة الثقافات الأجنبية والأخطار الموجهة إليهم .

5- دراسة أساليب التسرب والغزو الثقافى الأجنبى ، ووضع البرامج العلمية الموضوعية لصدها عن طريق أجهزة التربية والتعليم والاعلام والثقافة .

6- دعم اللجان الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم وتمكينها من أداء رسالتها بكل الإمكانات والوسائل المطلوبة .

7- إيجاد لجنة متابعة على مستوى عال مسؤول تتولى متابعة تنفيذ قرارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وتوصياتها بصورة جادة ومستمرة ، وفى مقدمة ذلك التزام الدول العربية الأعضاء بتسديد إسهاماتها المالية .

8- استثمار (اليونيسكو الدولية) بمختلف أجهزتها فى خبراتها وبرامجها بما يخدم الثقافة العربية ويطورها ويقدمها إلى العالم فى الصورة المشرفة ، وبالمقابل يمكن من الإفادة والتفتح على ثقافات العالم المتعددة ومواكبتها باستمرار.

9- ضرورة الاهتمام الشديد بالمنظمة العربية وسائر المؤسسات الثقافية العربية وربط المواطن بها باستمرار عن طريق تكثيف المتابعة الجاد عن طريق وسائل الإعلام المختلفة .

10- الحرص على ربط المواطن العربى بتيار الثقافة فى كل الأقطار العربية أولا ، وبالثقافة العالمية ثانيا ، وذلك بفتح النوافذ ورفع الحظر عن المطبوعات بأنواعها ، وتوفير كل ثمار المطابع وبكل اللغات الحية.

هذه بعض المقترحات العجلى التى يمكن أن تعالج أوضاعنا الثقافية الراهنة ، وتعمل على إيجاد مناعة ثقافية فعالة ، تحقق لنا الأمن الثقافى المطلوب الذى هو الأساس الأول لبناء مستقبل متكامل عصرى حر .

الهوامش

1- أنظر د. مسعود ضاهر : **مجابهة الغزو الثقافى الإمبريالى الصهيونى للمشرق العربى** - منشورات المجلس القومى للثقافة العربية بيروت 1989 ص 29 .

2- أنظر على حرب : **غزو ثقافى أم فتوحات فكرية** ، مجلة الفكر العربى ، العدد (74) خريف 1993 ، ص8-12 .

3- أنظر مثلا : شيرب سبردوفتش فى كتابه المهم : **حكومة العالم الخفية** ، ترجمة مأمون سعيد - منشورات دار النفائس - بيروت .

4- أنظر مثلا : د. محمد محمد حسين : **حصونها مهددة من داخلها** - دار الإرشاد - بيروت .

5- أنظر : بسام ضو : قوة الإعلام : **الغزو المقنع** - مجلة الفكر العربى - معهد الإنماء العربى - العدد (74) خريف 1993 ، ص25 .

6- بسام ضو : **المرجع نفسه** ص 21-22.

7- أنظر بولس الخورى : **التراث والحداثة** - منشورات معهد الإنماء العربى - بيروت 1983 ص 209 -211 ، و222-223 و 230-238 ، و 247-252 وغيرها.

8- أنظر بسام ضو : مرجع سابق ص33-34 .

9- أنظر شاكر النابلسى : **الطائر الخشبى** - دار الشرق للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن.

10- أنظر على سبيل المثال : د. إلياس زين : **هجرة الأدمغة العربية** - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت .

11- أنظر د. محى الدين صابر : **قضايا الثقافة العربية المعاصرة** - الدار العربية للكتاب - تونس - 1983 ص 29-71 .



"كل صوت مسّ حجرا ، صمت سماوات مرصاومة" (كوازيمودو)

بقلم الاستاذ فؤاد الكعبازي

توطئة

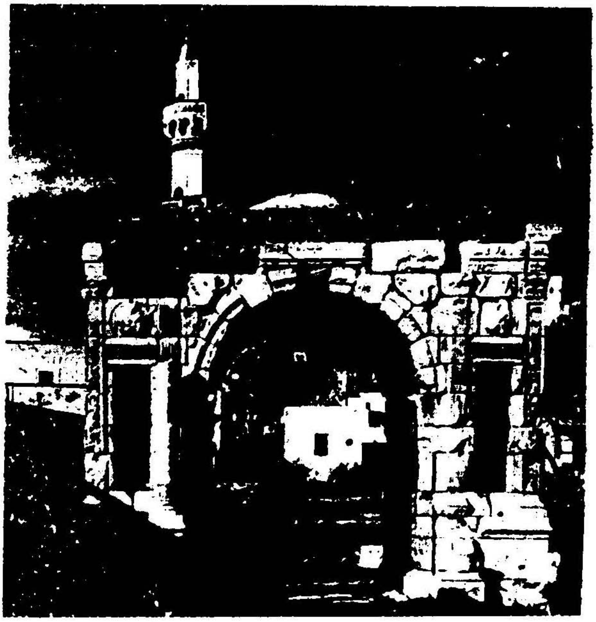
الكاتب المسرحى المعروف الأستاذ (منصور بوشناف) هـو أحـد العـارفين المغمورين باللغة الايطالية فى ليبيا ، أعجب يوما بقصائد لى كتبتها بتلـك اللغـة ومنشـورة فـى مـدة تقرب من الربع قرن مابين الأربعينات والستينات فى الجرائد المحلية والأجنبية . وجدها فى قصاصات كان أحد قرائى القدامى يحتفـظ بهـا ، فـأخذ يـترجم منهـا بـين الفينـة والفينـة وقد مضى أكثر من عام على مبادرته هذه ولكننى لم أحظ حتى الآن بـالاطلاع علـى أى نموذج من ترجمته للنظر فى أمر الدفع بانتاجى هذا الى الوجود عـن طريقـه ، لأننـى أكـره

ترجمة قصائدى بنفسى ولأنى كلما حاولت ذلك فى الماضى ، أتيت بخلق جديد توحيه أفكارى الإيطالية وجماليات التعبير الذى تتيحه لغة الضاد وترعى الجو الجديد الذى أعيش فيه تجربة قديمة لايمكن أن تعود إليها القريحة فى جو حياتى المخالف وبعد تراكم التجارب الجارية مع السنين .

ولإعطاء فكرة عن هذه الاشكالية ، أتقدم إلى مجلتنا العزيزة "الفصول الأربعة" بمحاولة قمت بها منذ ثلاثين سنة وقبل الاحجام بتاتا عن أمثالها ، كى يتمكن القارئ اليوم من إجراء مقابلة للنصين عندما يقوم الأستاذ بوشناف بترجمتها كأخ وليس كمبدع . وربما كان فضولى هنا يفوق فضول القارئ لأنها من أصعب مانظمت فى لغة دانتى ولأنها كانت من العناصر المزكية للجنة التحكيم التى منحتنى سنة 1981م حائزة مدينة "ريجيو كالايربيا" للشعراء الذين يكتبون للشعراء بالإيطالية من غير الايطاليين .

ولما أسميتها "أعزوفة من حجر" راق لأحد كبار النقاد الإيطاليين فى حفل ساهر أقامه فى بيته احتفاء بى ، راق له أن يسميها "سينفونية من كلم" .

فى تلك الليلة خيل للحاضرين أنى من المشيدين بالعهد الرومانى ، ظنا منهم أن آثار لبدة العظمى من مخلفات أجدادهم ، فانتهزت الفرصة للتنبيه على أن الرومان لم يشيدوا شيئا مرموقا من عندهم فى ليبيا لأنهم لم يستعمروا المدن الثلاث بالمعنى الفاشى ولم يستوطنوا مثلهم بل قاموا ببسط الحماية العسكرية مع جباية الضرائب ومص دماء الأهالى لأن الضريبة كانت ثابتة والمحاصيل متباينة بين عام وآخر . ثم أتيت بدليل على كلامى وهو قوس (ماركوس أوريلوس) الذى يعتقدونه من صنع روما فى حين أنه رمز لتملق مواطن ليبى لامبراطور اللحظة شيده من ماله الخاص أو قل مال الشعب لأنه كان "يعصر" كمتعهد ضرائب إخوانه الليبيين لتوفير مبلغ أكبر من الذى ضمنه لصندوق الامبراطورية!!



قوس
ماركوس أورليوس

لذلك فإن قصيدتى كانت وطنية وأملى أن تقول شيئا للذى لايعرف كم كنا عظاما وأننا فقنا اللاتين -تلاميذ اليونان- فى العمارة وتخطيط المدن والفنون القائمة على الرخام.

حجر منثور كفلذات من صلب الخلود ، حيث التوافق الموسيقى تشبث الروح الغارقة بصخر النجاة ، خوفا من رحى الزمن الذى لايرحم ، حجر ديار خاوية فيها حياة أبدع من حياة العمار ..

حجر أصبح ياستنشاق الهواء كالاسفنج النابض الذى يحبس فى فجاجه نسيم البحر الطرى كل فجر احتياطا لقيظ القيلولة اللافح .

سنفونيا صامتة ، فى طبوع من وراء الطبيعة لاتتلاشى أصداؤها كآصاء عزف البشر بل تفتأ عالقة فى حنايا الكتل كالسحر المبهم ..

سنفونيا جامدة يفنى خالقها وتبقى امتدادا لروح المبدع تتحدى الزمن ، وترجيعا رائعا لصفة العبقرى الملهم ، لينبئ بوجود سبيل للخلود أفضل ، هو الذى ينيره الفن بنبراس الجمال ..

تلك هى لبدة وأكثر لمن أمعن النظر فى آثارها ، ولمن عرف مدى العظمة فى فتاتها الماثلة كلبد الزمان الذى توقت إلى الابد اشفاقا عليها من التغيير ، يالبدة العظيمة ..

يأتيك فى ورع أبناؤك الجدد فصائل الجيل المتلهف إلى المجد التليد ..

إلى مفاخرك المكتوبة على صفحة الرمل الشبيهة بسجلات الذهب ..

يأتيك الفتى ناهلا من منبع عذب تركه الأجداد ليرضى شغفه المضئ يالسؤدد والاعتزاز ويتيم بطهر جمالك الباهر المائل فى الرخام الأبيض المنثور كالزنابق حول عروس يوم الزفاف ..

ويأتيك باحثا على الغار القديم الذى يجب أن يكلل به مآثره القادمة على الدرب المصيرى الجديد ..

يالبدتى الغراء
أنت بأعتاب البيد
خلقة عصماء
كالقصيد ..
فى أحجارك الصماء
الصمت يبدو كترديد
أصداء
من بعيد ..

أعزوفة فى نوتات خارج السلم لاحراك فيها ، تزف ألحان الغيوب ..

إن الروح فيك تنزع للتقمص تلك الدمى لجمال طلعتها الراسخة كالخلائق التى امتحق دم الوجنتين منها لطول مثوها فى شمس رحابك العارية ، كأنها تنتظر معجزة الزمن ..

يالبدة أنت جنة الصمت الملئ بالعبر .. صمت كهداة الفاه البليغ الذى ناشد الكون حديثه فلم ينبس ببنت شفة ، رب خوف من شدة القيظ الذى جفف حتى دموع النجوم..

حبى لسرك البديع رمانى
حيث العجب

بعد أن أذهل آلهة الرومان
أخذ أرواح البشر
وملك جنانى
أنا ابن العرب
وسحر ..

ياواحة من رخام ، حيث الأعمدة الباسقة لم تعد بعد ركائز الأقواس ، بل أصابع مرفوعة تومى الى السماء التى فيها أسباب فنائها ..

أعمدة منظومة كرتل العذارى المصعوقات الى الأبد فى مسيرتها وراء جثمان عزيز أو أحد الأسياد الغابرين ، والآن تلفحها رياح الصحارى فتطلق موسيقى سجية خافتة كأنها أوتار آلات الموسيقا القديمة ..

سطور وسطور مؤلفة لرواية قصة عز وروائع وأحلام القرون ، فيها البارز المنحوت ، المظفور كجمل من النثرَ الفنى ، أو أبيات من الشعر البصرى ، قصة لم تنته بعد .. رخام كعظام جموع اضمحلت فى الهواء ، فيها ربوب وغيد وهمج ..

الظل تحت أنقاض القدم
له زرقة السموات
كبلور مهشم
هل قبة الفردوس قد هوت
على سطح الفلاة
من ثقل المجد أم
سخطا على جناة
فى أمة قد علت
كل الأمم ؟؟
هكذا القدر قد أراد
يالبدة ليبيا العظيمة ،
ولن يبكيك نيرون
كروما ،
فغطتك القرون
وغاص فى البِيداء

ماضيك ..
وأصبح فى أرضى رمادا
فمهلا حتى يأتيك
جيلنا الصاعد ليقيم
صرحك وصرحه الى العلياء
وبعد ..
مجدا قديما :
فكل آت
ليس على الانسان بعيدا
فأنظرينا فيما تنظرين ،
يالبدتى الغراء ،
ودعى الحجارة تردد آمين !

فؤاد الكعبازى

وماذا عن الإبداع ؟

كامل حسن المقهور

هاقد حان وقت مناقشة مسألة الإبداع . فقد عادة مجلة "لا" للظهور ، وتهيأت مجلة "الفصول الأربعة" لتنتظم فى الصدور ، والفرض أنها مجلة المبدعين ، وقبل هذه وتلك، هناك مجلات متخصصة ، وبعض الاصدارات التى تتصل بشأن من الشئون الثقافية، تقارب الإبداع أو تجاوره .

هناك أيضا الإذاعتان المسموعة والمرئية ، وهناك فرق للمسرح ، وشركة للخيالة، ومكتبة قومية ، ومكتبات عامة ، ووسائل للنشر ، صحافة ، وشركتان ، وتشاركيات ، وأفراد ناشرون ، وفرع مهم من فروع أمانة الاعلام والثقافة والتوعية ، يعنى بجوانب العمل الثقافى بوجه عام ، وجانب الإبداع بوجه خاص . فإلى جانب جوائز التقدير والتشجيع ، هناك صندوق تنمية الإبداع الثقافى ، ولجنة حماية حقوق المؤلف ، ورابطة الأدباء ، ونقابة الفنانين ، ثم هناك الجامعات والمعاهد .

ولكن أين هو الإبداع ؟

لقد أجبرتنى ظروف على أن أكون بعيدا عن أرض الوطن من جهة ، وأجبرتنى ظروف أخرى على أن أكون بعيدا عن الوسط الثقافى بصفة عامة ، وعن الإبداع مشاركا أو متلقيا بصفة خاصة ، ولكن هذه الظروف جميعا لم تبعدنى عن أن أراقب ، ولو عن بعد ، حركة الإبداع فى أنحاء هذا الوطن ، وكنت ، حينها ، أتلمس نمو حركة الإبداع منذ أن تركت إلى أن عدت ، ولقد بقى المبرزون على حالهم ، يتابعون بهمة ، وبرز آخرون يتلمسون الطريق ، ولعل بعضا منهم قد شق طريقه على نحو أو آخر .

كان خليفة التليسى يواصل مشواره ، بذات الجدية والعمق التى بدأ بها ،

متطورا من شاعر مبتدئ وكاتب مقال ، إلى أن يكون صاحب كتب فى التاريخ ، والنقد ، والترجمة ، ثم شاعرا ، يسفر عن روحه الشاعرة العميقة والجميلة .

وكان على مصطفى المصراتى يتعاطى كل أنواع الإبداع ، غير هياب ولاوجل ، لايتأخر على أن يثرى المكتبة الليبية والعربية ، بما رأى أنه مفيد ، حتى طرح نفسه قصاصا، تتجاوز مجموعاته ما أدرجه القصاصون فى مسيرة حياتهم القصصية .

واستلم لطفى عبداللطيف بعد على الرقيعى ، وحسن صالح ، شعلة الشعر ، ومضى يطور نفسه ، لغة ونصا ، حتى استوى على عوده ، يقف إلى جانب على صدقى عبدالقادر ، وهو ينتقل من شكل إلى آخر ، عله يستقر على نوع جديد ، هو الشعر عنده دون غيره من الشعراء ، سابقين أو معاصرين أو لاحقين .

وكان هناك راشد الزبير ، والفاخرى ، وعلى فهمى خشيم ، وأمين مازن ومحمد أحمد الزوى ، بينهم يتألق بصمت وكبرياء ، يوسف الشريف ، لايرى من الدنيا إلا القصص والأطفال ، وإنه لعاشق للإبداع . وينأى بجمرته الدناع ، يناجيها ، ويصدرها بعديد من الأشكال .

كان هناك عبدالمنعم بن ناجى ، والطاهر المغربى ، ثم جاء على العبانى ، ثما جاء ... و.. جاء آخرون ، ثم طلع علينا على الزويك ، وطعمه يشفى ، ويشقى حتى الذين ينظرون فقط دون أن يتذوقوا .

وكان هناك السراج ، والأمير ، وشرف الدين ، والقبلاوى ، ومن فى زمرتهم ، لحقهم بعد ذلك خالد خشيم ، الساحلى ، والخمسى ، والزليطنى ، ومن فى صفهم ، حتى خرج علينا عبدالله الزروق ، والطاهر القبائلى ، ومحمد العلاقى ، وعلى الفلاح وخالد الشيخى ، وداوود الحوتى . كان هناك المرابط ، وقنيص والجمل ، وسليم ، إلى جوار كاظم ، ثم عريبى ، وقدرى ، وأضرابهم ، حتى صار لدينا من يؤدى لنا ، ويسمع من غيرنا ،، وكم هزنى الإستماع إلى أبناء عمى محمد حقيق ، يبدون رأيا ، أو يحركون وترا .

برز آخرون ، وكان القبس مفعما بذات الروح التى حملت ، وحمت النطفة حتى صارت علقة ، ثم مضغة ، وكان علينا أن نكسوها لحما .

كان هناك عبدالله القويرى ، وأحمد العنيزى ، وطالب الرويعى ، ومفتاح السيد الشريف ، جاء بعدهم أحمد يوسف عقيلة ، ورضوان أبوشويشة ، وعمر الككلى ، وسالم الأوجلى ، فى القصة ، وخرج العمارى ، والمحجوب ، والكدى ، والفقيه صالح ، شعرا ، والدنقلى ، والشحومى . وكان الدنقلى يصدر الكلمات الدارجة على حالها ، لتصبح نغمة صادرة عن قلبه ، لتسكن قلب غيره . وكتب كشلاف ، والفيتورى فى النقد .

وكانت النساء محجبات ، يتداولين بالتطريز ، وتحفظ بعض منهن القرآن شفاهة ، ويتداولن بعض القصص ، حتى

برزت منهن زعيمة البارونى ، وخديجة الجهمى ، وسعاد الحداد ، إلى أن وصلن إلى نادرة عويتى ، وشريفة القيادى ، فوزية شلابى ، وخديجة الصادق ، وأم السعد الفارسى ، ثم إلى خدوجة صبرى ، وهدى عبداللطيف ، وغيرهن ، قليلات ربما ، إذ أننى لا أعرفهن ، وإن طرق سمعى بعض من أسمائهن ، وقرأت وشاهدت إبداعات لهن ، بعضها جرئ وبعضها خجول .

هؤلاء وغيرهم ممن نسيت أو غفلت ، كانوا حماة النطفة ، تتردد بينهم أصداء على الرقيعى ، وعبدالقادر أبوهروس وخليفة التكبالى ، وصادق النيهوم ، يذكروننا بأن جذوة الإبداع ، مثل مشعل الأولمب ، تنتقل من جيل إلى آخر ، ومن مكان إلى غيره ، إلا أنها باقية ، والبقاء لله وحده .وهم بعض من رأيت أنه يمكنهم أن يكونوا مثلا لجيل تكون فى فترة ، انفتح فيها الوطن على ثقافة الانسان ، وصار يعلم أكثر مما علمنا ، ويرى أكثر مما رأينا ، ويسمع بأذنين مفتوحتين على الدنيا بأسرها ، ويندس بين الناس ، يمارس معهم الحياة ، أكثر مما كان فى مكنتنا أن نمارسه .

ثم صارت لنا الوسيلة ، وكان لنا بعض من القادرين على تسييرها ، ولكن حركة الإبداع لم تتقدم كثيرا ، وبقى الصمت حولنا ، أشق علينا من صمت القبور . وعلى الرغم مما سبق أن قلت من تمجيد لحركة الإبداع سابقها وحاضرها ، فما زالت فى القلب غصة ، ولازالت هناك عظام لابد أن تتمو ، لكى يكون الإبداع شيئا آخر سويا .

فما الأمر ياترى ؟

لنمهل الخطى ، ثم نقف ، فالأمر بقدر ماهو محير ، بقدر ماهو مؤلم ، وتجاوز حقيقته ، يؤدى بنا إلى أن نرضى بأن نقف حيث كنا أو حيث أصبحنا .. إن مشكلنا الحقيقى نابع منا وبنا ، وعندما أقول منا وبنا ، فليس القصد توجيه اللوم إلى المبدعين ، فقد سبق لى فيما مضى من قول ، أن أعطيت المبدعين حقا ، ربما كان فيه بعض التجاوز عن مراعاة أصول الكشف عن مواطن من الضعف والوهن ، تشوب الإبداع ، وتتجاوز عن أخطاء بعض من المبدعين .

وليس القصد إلقاء المسئولية على الأجهزة ، فقد عصفت بى موجة من حسن النية ، يمكنها أن تشي ، بأننى أشيد بتلك "الإنجازات" التى بذلها المجتمع ، لتهيئة الوسائل للمبدعين ليقوموا بالإبداع . الا أن الامر الذى لازال يحير ، هو أنه متى توافر قدر معين من المبدعين ، وعدد كاف من الأدوات ، فكيف لايزدهر الإبداع ؟ كيف لا يمكننا أن نشير إلى مبدع قديم تطور ، أو مبدع جديد بزغ ؟ أين هو ذلك المبدع الذى يمكننا أن نضاهى به الآخرين ، وهم يدعون أنهم يقودون ثقافتنا العربية والمحلية ، ويتبادلونها يوما بعد يوم ، ويقسمون النتاج ، يوزعون الألقاب ، يمنحون الجوائز ،

ويقيمون المهرجانات ، كأننا ما كنا ، ومالنا من وجود ! مما أضطر بعض منا إلى استجداء التعريف به ، والنشر له ، ومنحه جوائز ، حتى لو كانت جوائز متأخرة لهواة ، تقيمها مجلات وصحف . إن الأمر لايعدو ، فى نظرى ، إلا أن يكون تقصيرا من الأجهزة ، أو قصورا فيها ، وسأعود إلى ذلك ، أو أن يكون سببا آخر غفلنا عنه ، وغفلت عنه الأجهزة ، هذا الأمر يتعلق بالمتلقى ، ذاك الذى يوقد الجذوة ، يجعلها نارا ، يشعل الشمعة ، تصبح مصباحا منيرا . فأين هو ذلك الخفى الظاهر ، الموجود غير المرئى ، الصاخب غير المسموع ، السائد المسود ، المحب المخيف ، الحنون القاسى ، القادر على أن يقف دون مجاملة ، يقيم المبدعين ، يقومهم ، وهو مع ذلك ، بعيد عن معاناة الابداع ، غير مدرك ، ولامهتم ، بما تتطلبه الأجهزة من إنفاق وإدارة .

ربما حان الوقت ، بعد هذا السرد ، أن أروى لحظات واجهت فيها هذا المخيف المحب ، المتكبر الحيى ، وجها لوجه . كنت ذات يوم فى "سوكنة" ، أتعاطى مهنة لاعلاقة لها بالإبداع فى صورته التقليدية ، وكنت أجوس بين النخيل ، ساعة الغسق ، أشفى حنينا ظامئا منها ، وكان هناك طفل يتتبعنى أينما سرت ، تداعى وسألنى ، وكان سؤاله أن أرسل إليه مجموعتى القصصية ، فقد سمع عنها ، كان يافعا ، وكان ذلك منذ نصف قرن، وآخر ماتفضل به على ، أن أهديته كتابى الأخير ، تلقاه ، وهو ضابط كبير بالجمارك ، بذات البسمة التى رأيتها على وجهه اليافع ، وأنا أعده بإرسال مجموعتى الأولى ، ولا أدرى إن كنت أرسلتها . ومرة وأنا أجوب "طرابلس" ، توقفت على صاحب مخبز ، تعودت عليه ، فأسر إلى بأن والدته ، وهى تقاربنى عمرا ، لاتقرأ ، سمعت من الأستاذ محمد كشلاف بعضا مما كتبت عن حيها ، فطلبت منه أن يشترى الكتاب ليقرأه لها حفيدها مرة بعد أخرى. وقرأت لبلقاسم المزداوى ، أن أستاذه سلمه لأول مرة فى "مزدة" ، كتابا ، طلب منه أن يقرأه ، وكان الكتاب مجموعة قصصية ، لاهى شرقية ولاغربية ، ولكنها ليبية ، ولن أدعى المعرفة إذا قلت أن الشقة ، يوميذ ، وكذا المسافة بين 'طرابلس" و "مزدة " و"سوكنة" ، تجعل حتى وصول الأخبار يتلكؤ ، وهى تسير عبر الطرق غير المرصوفة ، تشق صحراء بائسة ، تملؤها الأخطار .

واجهنى ، حينذاك ، كما يواجهنى ، اليوم ، هذا الخفى ظاهرا ، فأسعدنى وأشقانى ، وكان يقف أمامى كلما حاونت أن أسطر قولا ، ولازلت أخاف أن يواجهنى غدا عند ربى ، وقد علمت أن إحدى قصصى ضمها كتاب للقراءة فى أحد صفوف الشهادة الاعدادية ، وبالمناسبة فقد نسبت القصة لشخص لاأعرفه وإن شابه اسمه اسمى ، وكلما

عنّ لى أن أنشر ماكتبت ، تصورت أننى يوما ملاقيه ، فى أرجاء الصحراء ، أو عند ربات البيوت ، أو بين هذه البراعم التى تنمو يوما بعد آخر .

لقد خلق "المبدعون" فى المشارق والمغارب ، متلقين بوسائل مختلفة ، بعضها يصل إلى درجة التدليس ، والاحتيال ، فكم من شاعر ألصق إعلانات عن شعره ، على صدور النساء وسيقانهن ، وآخر نصبوه رائدا ، وخليفة ، وحامل لواء ، وصاحب مدرسة ، و.. و.. الخ ، ولم يجد بعضهم غير أن يرفض كل شئ حتى التراث . وكم من قاص تزعم وماهو بزعيم ، وكم من دفع ، وكم من قبض ، وكم من استجدى الأجهزة ، ولصق بوسائل الرأى ، وكم من شحاذ أصبح يستجدى ، وفارغ يملأ الآخرين ، وناسخ يصبح صاحب نص ، وشبه متلق يدعى الإبداع ، والجميع يتسللون عبر وسائل معروفة لهم ، ليصلوا إلى وسائل أخرى ، ليستقروا عند المتلقى ، فلا يجد إلى غيرهم سبيل. وكم ساعدت الأجهزة هؤلاء ، وأولئك ، حتى أصبحوا هم المبدعون ، وكان غيرهم قد كمن فى الظل ، يتراكم عليه التراب ، إذ لم يكن مدلسا ، أو منحرفا ، أو متملقا ، أو صاحب حظوة أو مال . وهم على دين واحد ، الانتشار ، والجوائز ، والبريق . فأنت تقرأ من المشرق أسوأ مايمكن أن تنتجه القريحة العربية ، ومن المغرب أضعف مايعبر عن عبقرية المكان ، وإنك لتنسى أن لك تراثا ، شعراء ، ورواة ، وكتابا ، لم يكن همهم هذا الانتشار ، وتلك الجوائز، بل كان شاغلهم المتلقى ، إذ لم يكن المتنبى يستبق النشر ، بل كان يفخر بأن الأعمى نظر إلى أدبه ، وأن الأطرش قد سمعه ، وكان الجاحظ يدور بين الوراقين ، لايطارد الجوائز ، وكان هناك جرير ، وأبوتمام ، والبحترى ، وابن خلدون ، وبشار وابن المقفع .. وغيرهم ممن لم يجد إلى سبيلا ، ولم يجد إلى المتلقى طريقا سويا ، وكان لهم أتباع ، وحلقات ، ومريدون ، وتلاميذ ، أو بمعنى آخر متلقون ، ويحمل تأليفهم من قطر إلى قطر ، وينقل نتاجهم سماعا ، أو على ظهور الجمال ، من صقع إلى غيره ، يقضى فى نسخه عديد السنوات ، يوزعونه على الوراقين ، وألسنة الرواة ، يقرؤه الناس بأعينهم ، وآذانهم ، فى المساجد ، والبيوت ، والحوانيت ، حتى يصل إلى من رغب ، أو أبى وبعدها ، قد تصل بعض الهبات ، شحيحة كانت ، أو مجزية . كانت لهم بصمة تشي بهم ، ولم يكونوا تبعا ، ولاقارنوا ماوصلوا إليه بغيرهم ، ولم يفخروا يوما بأن نعتا قد ألصقه "الآخر" بهم ، أو أنه اعترف بهم ، أو منحهم الحق فى الوجود ، وبالاختصار كانوا مبدعين لمتلقين ، يتوجهون إليهم دون غيرهم ، ولك الحق ، إن لم يكن لى ، أن تقارن ذلك بهذا اليوم البائس ، الذى يكون منح شهادة النقاء فيه ، لمن ترجم له، أو نوه عنه فى عمود فى صحيفة

تصدر بلغة ما ، فى جهة ما ، أو وعد بالترشيح لجائزة ، ولو كانت شحيحة ، أو أشار إليه مركز ثقافى ، أو نوهت به جمعية للطلاب ، أو المرتزقة، فى مكان مهجور ، أو منسى ، أو استقبله ملحق ثقافى وقدم له دعوة ، أو بشره بوسام . وللتذكير ، فإن جان بول سارتر رفض قبول جائزة نوبل التى نعتبرها إجازة كونية إلى جنان الخلود .

هذا ماكان فى المشرق بوجه خاص ، وفى المغرب على وجه أقل ، إلا أن المشرق والمغرب فوجئوا بأن الطريق الأسهل ، أن تكون أداتك فى القول ، أو مذهبك فى السرد ، أو ديدنك فى الرسم ، والنحت ، أو التشخيص ، لغة غير لغتك الأم ، ومذهبا تطور فى غير مكانك ، وشكلا وصله غيرك بالتواصل بين مبدع ومتلق غيرك وغير متلقيك ، وطرق سمعك وسمعى أن الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية ، على وجه الخصوص ، والرسم على طريقة "دالى" ، أو "بيكاسو" ، والعرض فى أماكن العرض الغربية ، والظهور لبرهة على شاشة صغيرة أو كبيرة ، هو الأمل ، وهو الإبداع ، وماسمع الناس ماقال هؤلاء الذين يكتبون بغير لغتهم ، ومارأوا ماعرض أولئك ، ولااتخذوا من تلك المذاهب شيئا فى شئون حياتهم ، وحين يلمحون وجها على شاشة ، وهذا نادر ، ينبهرون ، ولايهتز لهم وتر . لقد وجد أولئك المبدعون متلقيهم فى الآخر ، فالتفوا حوله، حتى حولوا إنتاجهم إلى دليل للسياحة ، وفكاهة للتسلى ، وفى بعض الأحيان ، كانت وجوههم مثالا للبشاعة وسبة للمواطن . وقد هجر هؤلاء ، ليس الإبداع فقد ، بل هجروا الأرض ، والناس ، قبل اللغة ، وتبرؤوا حتى من التراث ، بل من قضايا الراهن ، وشقاء الإنسان كأنه ، مرة أخرى ، لم يكن .

مرة أخرى ، ذلك ماكان من أمر المشرق ، وقليل من أمر المغرب ، ولقد تألفت على مر العقود ، قافلة تسير بالإبداع ، إلى هاوية ، يعلم الله مستقرها ، ولربما كانت الكارثة مشابهة للنازلة التى منينا بها فى الحرب والسلم ، عسكرا وسياسيين .

وأما ماكان من شأننا ، فأمر يشبه العجب ، بل هو العجب كله . ذلك ، وقد منّ الله علينا بحفنة من المبدعين ، سبق أن أشرت إلى بعض منهم ، إلا أن الحمى أصابتنا ، وشبح القافلة ، الحاثة السير ، استهوى بعضا منا ، وعازنا الصبر ، وبدا لنا أن محط القافلة يكون واحة ، جنة غربية ، بها ثمار تختلف عن التمر ، والعنب ، والرمان ، وعصيرها ترياق ، ولذة للشاربين . وصار الأمل ، أن يكون فى مكنة أى منا ، أن يضمه ذاك الطابور من القافلين ، يشار إليه ، ينشر له ، ينعت ، يترجم له ، ويكون له موضع ليس بيننا ، ولكن خارجنا ، وأما الذين أنفوا أن يركبوا السهل ، أو ينضموا إلى الركب ، أو تجاهلهم رؤساء القوافل ، فقد انكمشوا على أنفسهم ، وشكلوا خوارج ،

يرفضون الجميع ، بما فى ذلك المتلقين ، الذين ينظرون إليهم عن بعد ، ويشتاقون إليهم . حصنوا أنفسهم ، وإننى لمن بينهم . وهكذا وجدنا أنفسنا نتبادل الإنتاج ، والمديح ، وأحيانا التملق ، ونصنع مجمعا ثقافيا ، قوامه عشرتين أو ثلاث ، نلتقى لننفض . وفى محاولة لإظهار هذا التميز ، أو القعود ، استهلكنا أنفسنا ، وكافة وقودنا ، فى مظاهرة لإظهار المعارف ، والقراءات ، نتبادلها ، وكأننا فى مسابقة لمن يجيد الترداد .. الصدى ! دفنا أنفسنا فى ترجمات سيئة ، نستعرضها كلما وجدنا الفرصة ، ولم نلتفت إلى أننا مبدعون ، وأن من ينقصنا هو المتلقى ، ولم تجر أية محاولة جادة ، على ماأعرف ، للبحث عن هذا المارد ، أو حتى صنعه إن لم يكن موجودا ، جل ماكان منا أننا تلهينا ، وشكونا ، واتكأنا على الأجهزة ، وانتظرنا أن تأتينا معجزة ، أو يمن علينا أحد بمائدة ترضينا ، وتشبعنا ، وتروى ظمأنا . ولقد كونت هذه القوقعة على ماسمعت ، أقوالا وغير ود ، وأخذا دون عطاء ، وتهافتا ماكان أحد منا فى حاجة إليه ، وبالجملة فرغنا أنفسنا لكثير من الأشياء إلا الإبداع ، والبحث عن المتلقى ، وصار كثير من المبدعين "نظارا" يمسكون العصا ، يقرع أحدهم الآخر ، إن قدحا أو مدحا ، وانطفأت الجذوة ، أو كادت ، وصار على أحد مثلي ، عائد إلى هذه الساحة ، أن أرده : (لقد كان فلان ، وكان علان .. ولم يصبح علان ، ولم ينشأ فلان) بل إننى ، فى أحيان عدة ، ومعى كثرة ، صرنا نترصد المآتم ، والتأبين ، لنقول : (إنه كانت هناك نفوس مبدعة ، وكان هناك إبداع) ، ولا أظن أن التنادى لعشرات ثلاث ، أو حضور المآتم ، وحفلات التأبين ، بقادر على أن يوجد لنا متلق .. فقد بقى محمد قابعا ، وبقى الجبل جامدا ، وإذا لم يأت الجبل إلى محمد فليذهب محمد إلى الجبل

لقد سمعت مرة ، "محمد بيدى" ، قصاص جيد من المغرب ، يقول : "لو استطعت أن أجد لى مكانا فى الساحات ، أو الأسواق الشعبية ، والحومات ، أقرأ قصصى على جمع تحلق حولى . لكان ذلك أجدى من كتابة لايقرؤها أحد " ، أو هكذا قال ، ومبلغ علمي أن محمد بيدى ، لم يعد له منشور يقرأ .

وماذا عن الأجهزة ، وكنت قد أشرت إليها سابقا . كان ظنى أن هذه الأجهزة الثقافية ، إنما أنشئت لخدمة الإبداع ، وليس لها من شأن آخر ، هى لهذه اللعبة بين المتلقى، والمبدع ، وليس للمبدع فى حد ذاته ، مهما بلغ ، كما أنها ليست لمن صنعها . هى جهاز أو أداة لخلق مناخ ثقافى تكون الغاية منه ، تهيئة الطريق للإبداع لبلوغ غايته ، المتلقى .. فماذا صنعنا بها ، وماذا صنعت بنا ؟ لنقل أولا أننا فرحون بهذه الأجهزة ، ولنتفق ثانيا على أننا نسخناها عن غيرنا ، وأننا فى ذلك متبعون ، وأن من نسخنا عنه متبع ، وأن الإتباع والنسخ يغلب عليهما جانب النقص ،

على جانب الكمال ، فكم أغفل ناسخ كلمة ، وكم حرّف من جملة ، ونسى فى مرات عدة صفحات بكاملها ، فإن كان الطريق ، النسخ والإتباع ، مات الإبداع ، إذ المبدع لايقلد حتى نفسه .

وماعلينا ، فالأصل أن هذه الأجهزة أداة ، مهمتها إدارة العلاقات بين المبدع والمتلقى ، وهذه مهمة لاشك كبيرة ، وليس من شأنها ، أى الأجهزة ، أن تكون موجهة للإبداع ، أو خالقة له ، أو مخلة بالعلاقات التى تنشئ الإبداع ، أو ينشؤها الإبداع ، كما أن ليس من حقها ، أو واجبها أن توجد للناس رزقا ، لتصنع منهم مبدعين ، هى فقط أداة لتنظيم العلاقات ، وإدارة العملية الإنتاجية ، متى تمت ، وهى فى حاجة بذلك إلى مديرين، وليس إلى مبدعين ..هى إن تولت المبدعين ، بخلعهم عن إبداعهم ، وتحقيق مورد للرزق لهم ، سهل أو متقل ، ليتولوا عنها الادارة ، ويكبحوا جنوح المبدعين ، أو استعمالهم لما شاءت ، تكون قد تخلت عن مهمتها ، وأوكلت إلى المبدعين شؤونهم ، وليس علينا من حرج ، إن قلنا ، إن هذا تجاوز لمهمة المبدعين ، وتخلص من الإدارة عن مهامها ، ونكوص عن مسئوليتها . ولامجال فى قولى هذا للتنظير ، أو لتصيد القصور ، أو لإلقاء المسئوليات ، إذ انى أسلم ، كما سبق لى ، بأن إنشاء هذه الأجهزة ، وتولى بعض من المبدعين رئاستها ، أو إدارتها ، "منجز" ، إلا أننى سوف أتساءل عن فعالية هذا المنجز، إذا كان أمين صندوق تنمية الإبداع ، غير راض عن مقره ، أو أن مقره غير لائق به ، إذا كان أمين لجنة حماية حقوق المؤلف لم يستطع أن يجمع لجنته حتى للتعارف بين أعضائها ، إذا كانت الفرق المسرحية بدون مسرح مهيأ ، حتى فى العواصم الثلاث ، إذا كانت الشركتان المتخصصتان فى نشر الكتاب ، تحومان حول إبداع الآخر ، تصدرانه فى مسلسلات ، مثل المسلسلات التى تستوردها الاذاعة المرئية ، إذا كانت شركة الخيالة لازالت تبحث عن مستحقاتها ، لدى أمانة الإعلام ، والمرئية الفضائية ، بل عند دور العرض ، وليس لها ، على ماأعلم ، دارا للعرض فى أى تجمع سكانى ، خلاف بعض العواصم ، وإذا كان مجمع الفتح الثقافى ، ومكتبة بنغازى ، هما المكانان اللذان يستقبلان المحاضرات ، والندوات ، واللقاءات ، ومقهى المجمع يرتاده بشر ، أكثر عددا وأوسع حظا من حاضرى الندوات . لقد شاهدت بأم عينى شاعرا ، قادما من "صرمان" ، يحمل قصائده ، يلقيها على خمسة وعشرين نفرا ، أغلبهم قرأ هذه القصائد فى جلسات خاصة، أو قرأها منشورة على صفحات الصحف ، لملم أوراقه ، بعد ذلك ، ومضى ، ولف السكون مسرحا خاليا ، ومقهى عامرا .

فهل أحدثكم عما شاهدته فى "كوبا". زوروني معملا للسيجار ، يعد يوميا هذا السم القاتل ، فى شكل طويل مبهج ،

وكان الجميع منهمكين في وضع اللمسات الأخيرة بأكفهم ، ويقال أن الحسناوات كن يبرمن السيجار على أفخاذهن ، وكان في وسط القاعة الفسيحة كرسي مقاما على قاعدة خشبية عالية ، يسكن إليها رجل يقرأ ، وإذ سألت عنه ، أفادوني بأنه أرفع الرجال والنساء أجرا ، وأنه ، فقط ، يقرأ لكل نوبة ، نصا من النصوص المحلية أو الأجنبية ، شعرا لبوشكين ، وشكسبير ، وأراجون ، ونيرودا ، قصصا لتشيكوف ، وجوركي ، وموباسان ، وجوجول ، وهيمنجواي ، وفي "كوبا" يقرأ الناس هيمنجواي ، ويسمعون منه ، وعنه ، ويستلذون به عصيرا من قصب السكر .

وكان الجميع ، في ذلك المصنع ، يعطون القارئ آذانهم ، وعقولهم ، وأفئدتهم ، ولكم لاحظت أن بعض من طفت بهم كان يستجيب لصوته ، لايؤثر على حركة يديه . وكم شاهدت من أطفال ، تقدم لهم إبداعات مارك توين ، وأضرابه ، في شكل ميسر ، يتابعونه رسما ، أو مرئيا ، يعرفون عن مولده ، وسياحته في النهر ، ويستمتعون به ، كما يستطعمون لحس المجمدات ، ومشاهدة الصور المتحركة ، ولقد شاهدت هانز كريستيان أندرسون ، في شريط ، يجمع حوله الأطفال يحاكيهم . وكم حزنت ، وأنا أسمع من طالبة في كلية من الكليات ، لاتعرف شيئا عن عبدالله القويري ، وتعتقد أنه ربما كان بائعا جوالا ، وأنها تعرفني ، فقط ، لأنني خال لزميلتها التي تجاورها في المدرج .

إن المتلقي مسلوب من حالة الإبداع ، والمبدع مسلوب من متلقيه ، وإن الأجهزة لتدور ، يديرها المبدعون أو غيرهم ، في المكاتب ، أو هي تبحث عن المكاتب ، أو هي تؤثث المكاتب ، أو هي تبحث عن وسيلة للمواصلات ، في وقت ، رأيت فيه عجبا .. رأيت مراهقين يتلاعبون بالهاتف النقال في سيارات فارهة ، يطرقون به السمع أطراف النهار ، ويزعجون به القوم أثناء الليل ، والأجهزة كما هي ، لازالت تبحث ، وتنقب ، ولامن مجيب ، فلا هي وضعت كرسيا داخل معمل ، أو حقل نفطي ، يلقى من فوقه قارئ نصا محليا ، أو عربيا ، أو أجنبيا ، وماجمعت أطفالا ، في روضة ، يجلس إليهم يوسف الشريف ، يحكي لهم حكاية من حكاياته ، أو من حكايات غيره ، ومالها من وقت ، حتى تقوم بالاتفاق مع القيادات الشعبية ، والمؤتمرات الشعبية ، واللجان الشعبية ، والنقابات ، والروابط ، والنوادي ، والجامعات ، والمعاهد ، دانية أو قاصية ، لتخصص قاعاتها ، وأماكن تجمعات منتسبيها ، يوما ، للاستماع لشاعر ، أو قصاص ، أو متحدث. حقا أدارت نقابة المحامين "بطرابلس" ، موسمين ثقافيين ، خص القانون بأغلب أمسياتها ، إلا أنها "تفضلت" في مناسبتين ، بتخصيص زمن للشعر ، كان الحاضرون فيهما جمعا

لابأس به ، وكان هناك فيهما ، على صدقى عبدالقادر ، ولطفى عبداللطيف ، وقال جميل حمادة ، وغيره ، قولا فى الشعر ، وحضر يوسف الشريف ، ومحمد أحمد الزوى ، ومحمد كشلاف ، وعرف المحامون هؤلاء ، وظنى أنهم لامسوا الإبداع ، وذاك يكفى . فهل من الممكن أن تهيئ هذه الأجهزة ، وتلك الهيآت يوما فى الأسبوع ، لاستضافة مبدع ، يلتقى بأعضائها ، يستمعون إليه ، ويستمع إليهم ، ففى ذلك شأن ربما كانت له نتائج .

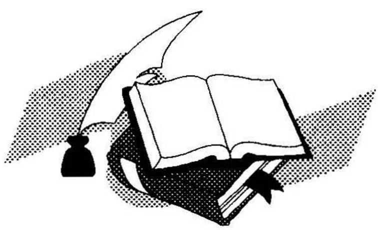
لقد حضرت مناسبتين، أو أكثر ، فى "مصراتة" ، وكان وجود كتاب من "عاصمة" مدعاة للترحيب ، ليس فقط من المبدعين فيها ، وماكانوا قليلين ، بل إن بنات المدرسة الثانوية طوقنهم حبا ، وكدن يخطفن منهم قبسا ، وكان البعض من الناس يرنون إليهم بحنان زائد ، إلا أن إنتاج هؤلاء الكتاب لم يكن هناك . وعلمت أن محى الدين المحجوب تتحلق حوله طائفة فى "صرمان" ، يستمعون إليه ، إلا أن أشعاره لم تجد إلى غيرهم سبيلا ، وأحمد يوسف عقيلة معلم من معالم "المرج" ، إلا أن قصصه لم تنشر بعد ، وأبوشناف مقيم قهرا فى "بنى وليد" ، إلا أنه لايزال يرتاد أماكن السمر الثقافى ، يناقش المسرح ، ويتعاطى النقد ، ورضوان أبوشويشة بين "العزيزية" ، و"طرابلس" ، ينتقل من سيارة أجرة إلى أخرى ، والعمارى فى "السوانى" ، والكدى فى "غريان" ، والغزال ، والدنقلى فى "مصراتة " ، وغيرهم ممن لن أسمع عنه ، أو أعرف ، غير أننى أجهل أن أيا منهم عقد له مجلس فى مستقره ، أو أن إبداعه قد وصل إلى الكليات ، والمدارس ، والتجمعات ، بتلك الجهات . مبلغ علمى أن عليهم أن يشدوا الرحال إلى إحدى العواصم، ومن بها من المتلقين غير المبدعين ، قلة لاتعرفهم ، وليس لها عنهم شئ ، أو لعاصمة أخرى ، يستجدون فيها مكافأة أو علاجا .

وتتداعى الشجون والحكايات وأحس أننى مطيل ، وأن الأجدى أن لايكون همى التنظير . كان يمكننى أن أستنفذ هذا الوقت ، والجهد ، فى كتابة قصة ، أو مايشبه القصة ، ولكن صيحة تقلقنى فلا أجد لكتمانها سبيلا ، كنت أود أن أطلقها يوما ما ، فى مجمع الفتح الثقافى ، واستشرت من كانوا حضورا ، وكانوا قلة ، فى أن أصرخ ، أو أصمت ، ردنى صوت من الجمع ، "أن اصمت" فسكتت ! ظلت تلك الصيحة تراودنى، حتى نقلتها اليوم ، على ورق ، ربما لن يذهب بها بعيدا ، ليس أبعد من صدورها على صفحات مطبوعة ، لن تجد إلا القليل ممن يقرؤها ، أو يهتم بها ، فقد وصل العمر بى زمنا لم يبق لى فيه إلا هذا الصوت . غفلت عن مورد رزقى ، أو أغفلته ، وهو من فضل الله ، ومن عند الناس أصحاب الهموم ، وكان يضع فى "قصعتى" زادا ، واتجهت مؤخرا إلى أن يكون لى وقت أخصصه ، فقط ، لما يمكن أن يمن الله به على من فيض فى

الإبداع، ربما زودنى بما أقتات به ، فإن لم يفعل ، وصار القدر يغلى بأحجار لاتسمن ، ولاتغنى من جوع ، فسوف يكون لى شأن آخر .. وأول هذا الشأن أن أصرخ ، وأن أصيح ، وآخره يعلمه الذى خلقنى ، وسوانى .
آخر القول ، وأنا فى الأصل صاحب حكايات ، أننى سمعت محمد أحمد الزوى ، يتوعد بهز الغربال ، وإننى معه فى ذلك ، إننى معه فى هز الغربال ، إلا أننى أخالفه فيمن يهزه . فصاحب الغربال ، ذلك الخفى الظاهر ، الموجود غير المرئي ، الصاخب غير المسموع ، المحب المخيف ، الحنون القاسى ، الهادر الصامت ، الصريح غير المجامل ، المتلقى .. ذلك هو صاحب الغربال ، وسوف يهزه ، يوما ما ، وما ذلك اليوم ببعيد .

فانتبهوا قبل أن تأخذكم الصيحة ، فتصبحوا على مافعلتم نادمين .
وهاكم ماحبسته منذ أن هتف بى أحدهم " أن أصمت" .

ملحوظة :
"ليس فيمن ذكرت من الأسماء ، مايعنى تمييزا لهم عن الآخرين ، وليس فيمن غفلت عن ذكره تقليلا من شأنه ، أو التفاتا عنه ، بل هى الصيحة ، تأتى بمن تشاء ، وتتغاضى عمن تريد ، والله على ما أقول شهيد ".



نماذج من الشعر العربى في ليبيا

د. عبدالحميد عبدالله الهرامة

الشعر فى تاريخنا الثقافى مظهر من مظاهر الثقافة المغمورة ، فهو ضحية تقصير الباحثين والمبدعين ، كما هو ضحية تقصير النقاد والمؤرخين للحركة الأدبية ، ولعل اللوم فى ذلك يقع بالدرجة الأولى على الشعراء أنفسهم ، فكثير منهم يبدى من التواضع مايحول بينه وبين تقديم أعماله الأدبية للمجالس الخاصة ، بله تقديمه لوسائل النشر العامة.

ومن الشعراء من يخفى أغراضا بعينها كالغزل احتراما لمكانته الشعرية ، ومنهم من يترفع عن المكانة الاجتماعية للشاعر المتكسب والمداح ، والذى يقول مالا يفعل ، ومن هذا النمط الأخير الأديب الأستاذ على رجب المدنى عضو ليبيا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذى يقول :-

لست أبغى فى الشعب منصب شاعر   فهـو أدنى مما يروم الأكابـر
إنمـا منصبـى الـرفيـع نضـال   فى هوى الحق يزدريه الأصاغر
وركـون إلى التقـى واغتـراف   من حياض العلوم يعلى البوادر

وصاحب هذا النص ذو صلة قوية بالنشاط الثقافى والسياسى منذ النصف الأول من القرن العشرين ، ولكن القليلين فقط يعرفون شيئا ذا بال عن إسهاماته الشعرية التى قد أعود إليها فى بحث آخر .

ونحن لسنا بصدد شخصية استفزها الغرور ، وأخرجها عن طور أضرابها من شعراء الوطن ، ولكن المراد أن سبب خفاء شعره هو عزوفه عن الاشتهار

بشخصية الشاعر لما يلحق بها عادة من تغليب الخيال على الواقع ، والمبالغات الظنية على الحقائق العلمية.وهو فى ذلك يذكرنا بقول الإمام الشافعى الذى جاء فيه:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من لبيد

ولكنه سرعان مايعود فيفرق بين الشعر السامى الذى يشرفه أن يعرف به ، كما عرف به الشافعى وغيره من الشعراء العلماء ، وبين الشعر الرخيص الذى يربأ بنفسه عن تناوله فيقول :

يعظم الشعر فى مشاعر صـــدق وأفـــانين حكمـــة ومآثـــر
فى نداء كاللحن يشجى ويزجى للنفوس العطاش جرعة ساحر
ويشع الجمال فى أفـق الكـــو ن ، ويزهى أعطافنا كالبشائر
لاهجـــاء ولاتملـــق نفـــع أو تباريح من غريزة فاجـــر
يرتقى الشعر بالتسامى ويهـوى بالتعامى عما يزكى المشاعـــر

وللموضع والشاعر عودة إن شاء الله فى فرصة قادمة .

أما هذه العجالة فنتركز على لمع من أدب ربوعنا الشرقية الحبيبة ، حيث تنبت الربى الخضر باقات الزهر ، معطرة بأريج الشعر ، فتفوح من هذه نفحات تلك ، وماتدرى بأى الأريجين يعبق الجو ، ويعتل الهواء ، ولأى المصدرين تهفو القلوب ، وتتوق الأرواح.

معذور من رأى الطبيعة الوادعة فى ورود (لثرون)* الجميلة ، والبهاء الأخاذ فى مناطق (سوسة) وشواطئها الساحرة ، أو شام العذوبة والصفاء فى مياه (درنة) المتدفقة ، ومروج (المرج) المنبسطة ، معذور فى أن يغرد بذلك الجمال الطبيعى الفاتن ، وأن يسكن الشعر دخائل مهجته ، وينطلق من فمه أو يسيل على قلمه إلهاما غامرا بالإبداع الفنى . وهل غير هذه البواعث مجتمعة حركت شاعرية (المهدوى) ، ووطنيات (الأسطى) وعاطفيات (الماجرى) وتأملات (الغزوانى) ، ومناجاة (المغربى) ، وإبداعات غيرهم من المقيمين والزائرين فى تلك الروابى الجذّابة ، وهل نذكر ذلك دون أن يخطر بالبال قول الشاعر الضيف :**

* – منطقة بالجبل الأخضر تتميز بجمال الطبيعة ، وفيها أودية وعيون عذبة .

** – هو الشاعر محمود غنيم .

أرأيت سوسة والأصيل يلفها   فى حلة نسجت من الأضواء

أما أنا فلقد أخذت بسحرها   لما وقفت هناك ذات مســـاء

لقد تفاعلت فى نفسى رغبات الكتابة عن ربوعنا الشرقية منذ مدة ليست بالقريبة ، إذ دواعى الكتابة عنها كثيرة ، والبحوث والدراسات فى تاريخها الثقافى والاجتماعى يسيرة، وهى لو لم تكن سوى مهد القيروان الأولى كما يقول المنونى [1] ، ومرقد عدد من الصحابة والمجاهدين ، والفضلاء من المقيمين والرحالة المغتربين ، ومتحف آثار الحضارات منذ الفينيقيين والإغريق والرومان ، إلى العرب المسلمين ، لكان ذلك كافيا لتخليد ذكرها والإشادة بقطرها .

وقد اخترت لهذه الحلقة ثلاثة نماذج يجتمع الأول والثانى منها فى النبوغ المبكر ، ويختلفان فى زمن هذا النبوغ ، فقد كان بروز الأول فى العقد الرابع من القرن العشرين ، وظهرت مخايل شاعرية الثانى فى العقد التاسع من هذا القرن ، لمست فى الأنموذج الأول صلته الوثيقة بشاعر الوطن رفيق المهدوى ، واستشرفت فى الثانى تطلعه المشروع لمستقبل واعد ومعطاء بإذن الله . إنهما الشاعران رجب الماجرى وعادل المغربى ، أما النموذج الثالث فهو الشاعر الأستاذ خليفة الغزوانى المتميز بما يحمله من تفرد فى الشاعرية وسرعة البديهة وعمق التأمل .

النموذج الأول
بين الماجرى ورفيق

عانق الأديب الألمعى رجب مفتاح الماجرى دنيا الكلمة الشاعرة منذ نهاية الحرب الكونية الثانية تقريبا ، وهو مايزال غض العود ، لم يبارح الدراسة الثانوية بعد ، وتدل القصيدة التى نشرها فى مجلة الفجر يوم 1947/2/28 على شاعرية واعدة ، مردوفة بمحاولات سابقة ، ربما عبرت به شاطئ البداية وتجاوزت عثراتها المبكرة ، أو مايدفعنا إليه الظن ونحن نصغى إلى قوله :

[1] - ورد ذكرها فى بعض كتبه ، ونسب إليها أحد المصاحف المهمة الباقية ، وقال إن عقبة ابتناها وأقام بها قبل إقامته للقيروان التونسية ، ولعل اسمها كان امتدادا لقورينا القديمة ، ومنها اكتسبت القيروان الثانية هذا الاسم وعرفت به .
(لاستكمال نواقص هذا البحث عودة فى مناسبة أخرى إن شاء الله).

نفسى تتوق إلى العلا ظمأ وأغراها الغديـــــر

إنى فداؤك موطنـــى فى اليسر واليوم العسير

أما شعارى دائمـــا فالعز أو سكنى القبــور

وقد أحس شاعر الوطن أحمد رفيق المهدوى بمخائل النبوغ وملامح الموهبة الناضرة بادية فى قصيدة من شعر الماجرى كتبها بمناسبة المولد الشريف،جاء فيها:

وياشرق قل للقوم ماالمجد منطق وحبر وأوراق صقال ومجمع

ولكن عقول تنشد العز والهدى وأسلحة تحمى البلاد وأدرع

فقال المهدوى :

مخائل تنبى أنها سوف تبـــرع وتحســن فى فن القريـض وتبــدع

أهنيك ياابن الماجرى متمنيـــا لشخصك بدرا فى سما الشعر يسطع

إذا الغصن لم تنضج قبيل ثمائه بواكيره فاصبر لها ســوف تينـــع

ذلك هو انطباع المهدوى فى مرحلة مبكرة من انطلاقة الشاعر ، وهى انطلاقة تدل على نبوغ وأهلية للسير الموفق فى مضمار الشعر ، أما بعد أن صدقت تلك المخائل الواعدة ، وتدفقت شاعرية الماجرى بنمير القريض الرائق فإن المهدوى يعبر له صراحة عن إعجابه المتواصل وتشجيعه الكبير ، ومن ذلك قوله فى رسالة خاصة :"وأنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن إعجابى الدائم بما تنتجه قريحتكم الوقادة من بليغ القول ولطيف الشعر"[2] .

كان الماجرى مايزال فى غضارة الصبى عندما تلقى هذا التشجيع العارم من شاعر كبير كالمهدوى ، وبدل أن يخلق لديه حالة من الغرور خلّف له جوا من التقدير الكبير للمهدوى ، وفتح بابا للتلمذة الفنية التى نلمسها فى قول الماجرى :

وما أنا إلا قطـــرة من بيانكـــم إذا صدقت فيما تقول المخائل

تجاوز عن التقصير قد ينصف الفتى ويعقب إمساك الغمامة وابــل [3]

[2] – من رسالة خاصة ضمنها الشاعر ديوانه المخطوط ص 10 ، وكتبت فى بنغازى سنة 1948 .

[3] – ديوانه المخطوط ص 10.

ولقد أتيحت الفرص للقاء الشاعرين فى مدينة بنغازى منذ سنة 1949 ، حيث أقفلت المدرسة الثانوية فى درنة أبوابها ، إثر مظاهرة يوم 1948/5/8 ، ونقل طلابها إلى بنغازى، وهى المناسبة التى قال فيها الماجرى رائيته التى منها :

بـا الله لاتتـذمـــرى	يانفس أو تتضجرى
ولئن قست أيدى النوى	فتجلدى وتصبـرى
يانفس إن شئت المعـالى	ذلـليهـــا أو ذرى
يانفس مرتبة العـــلا	للحازم المتصبـــر

ومع تلك الفرص المتاحة للقاء الشاعر الذى يعتز بـه ويتتلمذ عليـه فـإن المـاجرى ينقطع فترة طويلة عن زيارته ، ولعل لفارق السن أو الظـروف الخاصـة التـى أومـأ إليها الشاعر دخلا فى ذلك يقول الماجرى معتذرا عن هذا الانقطاع :

بسطت لكم عذرى فهل يقبل العذر	لك الحق والحكم الذى شئت والامـــر
وفيتــم وأبديـت الجفـــاء لعلـــة	وليس –ورب العرش–من شيمتى الغدر
يعظمكـم عندى بيـــان مخلـــد	وفكر سديد الرأى فى حكمه حـــر[4]

وفى بيته الثالث مايشعرنا بأن العذر هو التعظيم ، والحيـاء مـن مواجهـة شـخصية المهدوى المهيبة ، وذلك مانلمسه فى رده حين قال : "وأعلم أن المانع لك مـن لقائي هو الحياء الذى قال فيه النبى الكريم (الحيـاء خيـر كلـه) ومـع ذلـك فقد كـانت هـذه الفرصـة مناسبة أخرى عبر فيها المهـدوى عـن احتفالـه بمعـانى المـاجرى ومبانيـه ، ومن ذلك قولــه :"فقد أخـذت كتـابك المحتـوى علـى تلـك الأبيـات الجميلـة ، فـأعدت قراءتها مرارا ، متلذذا بحسن معانيها ، وصحة مبيانها "[5] .

وفى جمعية عمر المختار ألقى الفتى الأديب محاضرة عن لقائه بشاعر الوطن ، عنوانها "لحظات مع رفيق" وذلـك فـى شـهر رمضـان مـن سـنة 1949 ، عبـر عـن اعتزازه بأدبه وشخصيته ، وبالرغم من أن الفتى كان يقرر واقعا يلمسه ويقره الناس عليه ، فإن رفيقا بتواضعه المعروف عاتبه على مـاعتبره مبالغـة فـى الثنـاء عيـه ، وقال :

[4] – ديوانه المخطوط ص 25 .

[5] – المدر نفسه ص 25 .

"اطلعت على محاضرتك ، فوجدتها مكثرة من المدح لشخصى العاجز ، فأرجو أن تكون بعد ذلك مقتصرِة على تحليل الشعر فقط ، وأما الثناء فإما أن يكون بدافع الصداقة والمحبة .. وإما أن يكون على حق ولايخلو من مبالغة ، وأنا شخصيا لا أومن بما يقال عن الأديب أو الشاعر فى حياته ".

لقد أوقفتنا هذه الرسالة ونظائرها على الجانب النقدى فى شخصية رفيق ، وهو جانب لم يحظ بالدراسة بعد - حسب علمى - ، ورأيه فى عدم دراسة شخصية الشاعر فى حياته له ما يسوغه ، وذلك لأن مثل هذه الدراسة قد تتأثر بالمجاملة أو المناكفة ، تدفع الاولى عين الرضا ، وتدفع الأخرى روح العداوة أو حجاب المعاصرة ، ولكن هذا لايجعلنا نغفل عن الإمكانات التى قد تتوفر للمعاصر ولاتتوفر لغيره ، وهو مايجعل بحثه مصدرا أصيلا عن حياة الأديب .

وفى رسالة رفيق السابقة يعد المهدوى فتى ماجر بجواب عن أبياته التى عبر فيها عن تعظيمه وتقديره ، ولكنه يرجئ الرد إلى مناسبة أخرى يصفو فيها الفكر المكدود والبال المشغول والجسم العليل ، وقال :"إذا انطلقت العنز كما يقول المثل العامى "وافيتك بالرد.

التقط الماجرى هذا المثل وجعله محور أبيات أخرى تذكر الأديب الكبير بوعده ، فى أدب جم يتحفظ فيه من عبارات التذكير والعتاب ، جاء فيها :

وما قلنا نذكركم — متى تنطلق العنز
ولكن علنا نحظى — إذا ماانفتح الكنز
بشعر منك يتحفنا — نتيه به ونعتز

فأجابه المهدوى بقوله :

لك الشكر على درّ — به أتحفنا الكنز
وماوعدى بمنسى — ولكن عاقنى عجز
إذا ما "حيل بين العير[6] — والنزوان " لم ينزو
فلى جسم يد الآلام (م) — تضنيه وتبتز
ولى روح من الأكدار (م) — قد أرهقها الحز

[6] - فى الديوان المخطوط العيس ، وماهنا من المثل المشهور فى كتب الأمثال .

ولم يكن للماجرى ، أمام هذا العذر المعقول ، إلا أن يقبل الاعتذار وأن يرد عليه بما يشعره بذلك القبول ، ويذكره بمكانته فى نفسه ، وهو ماضمنه فى رسالة جوابية منها قوله :

معاذ ا لله أستـاذى فأنتم للوفا رمـــز

وعفوا لا أذكركـم ولكن وعدكم كنز

وأنتم مصدر الإلهام لن يدرككم عجز[7]

وفى سنة 1951 لزم الشاعر الكبير فراش المـرض مـدة شـهر ، لـم يعـده المـاجرى خلالها ، فعاتبه على ذلك ، ورد الفتى الأديب بقصيدة فـى الغـرض المذكـور ، منهـا قوله :

رق العتاب فكان فــــى نفسى أمض من العتـاب

واجتاح إحساسى فحيــــ ـــرنى ولم أملك صوابى

وعييت عن رد الجــواب وأين لى صدق الجـواب

عاتبتنى فرأيت صرف الـــ ـــود فـى ذلك العتـاب

نشرت القصيدة فى جريـدة الوطـن يـوم 1951/4/10 ، ورد عليهـا الشـاعر الكبـير بقصيدة نشرت فى الجريدة نفسها يوم 4/24 من تلك السنة ، جاء فيها :

حييت يازين الشبــــاب وبقيت للأدب اللباب

لازلت بين الورد مثل الـ عندليب على الروابى

عشق الجمال فبات يصــ دح بالأهازيج العذاب

وفى بقية هذه القصيدة نظرات نقدية يمكن أن تضـاف إلـى نظراتـه النقديـة فـى نـثره لتحدد مفهومه للشـعر ، ومعـاييره فـى تذوقـه ، وملخصـها أن الشـعر موهبـة وطبـع لااكتساب وادعاء:

والشعر موهبة مــحا ل ، نيلها بالاكتســـــاب

والذوق معرفة الجما ل ، وليس يوجد فى كتاب

---

7 – هذا النص وسوابقه فى الديوان المخطوط ص 29 .

وتتعمق الصلة بين الشاعر الكبير والأديب الشاب حتى ليمكن القول بأن الأستاذ الماجرى كان امتدادا أمينا لمدرسة رفيق فى كثير من خصائصه الموضوعية والشكلية ، ويتضح ذلك بخاصة على قدر كبير من نتاجه الأول ، ومن شعره فى توثيق هذه الحقيقة قوله :

حسبى لقلبى رفيق فيك يخلص لى ... فما بغير "رفيق" فيهمو أثـق
حر الضمير عزيز النفس في فئـة ... نما عناصرها الإذلال والملـق
أدناه من قومـه حب وأبعـده ... عنهم إباء هوان فيه قد غرقـوا
في مذهبى المثل العليا مقدسـة ... وفى بيانك منها نشرها العبـق
علمتنى كيف أفنى في هوى وطنـى ... فدونك اليوم قلبى كله حـرق
يحـن للوطن الغـالى وشاعـره ... حنين شاردة ضلت بها الطرق

وسمع الماجرى وهو فى مصر أن رفيقا عزم على هجر الشعر والتفرغ للعمل الوطنى ، فوثق ذلك فى شعره وقال :

وقالوا رفيق نعى شعـره ... وأعلـن تـوبة شيطانـه
وأن المشيخة قد أوجبت ... على الشيخ خدمة أوطانـه
هو الشعر روعته كفـره ... بحكـم الفساد وطغيانـه
وقالـوا إليك فتلميـذه ... أحـق أديب بميدانـه
فلت حملت لـواء البيا ... ن، لو أنى من خير فرسانه[8]

وفى هذا البيت الأخير تأكيد لشهرة انتماء الماجرى إلى مدرسة رفيق وتلمذته عليه ، وفيه سير على نهجه فى التواضع .

وقد وافت المنية شاعر الوطن الكبير يوم 1961/7/6 فكان الماجرى أولى الناس برثائه ، وأحرصهم على تأبينه ، وفى نصه الآتى تصوير لما اعتمل فى نفسه من لواعج الحزن وزفرات الأسى :

أصداء منعاك أم ثورات بركـان ... أهوالها روعت قومى وأوطانـى

---

8 – ديوانه : 124 .

هدت كيانى وأعصابى وماتركـت — شيئا أكفكفه يوما بسلـــــوان

وألهبت وخز جرح غار فى كبدى — حاولت كتمانه جهدى فأعيانى

ومنها قوله فى تعداد مناقب الشاعر :

ياشاعر الشعب ياأصفى مشاعـره — ياخير رواده فى خير ميـــدان

وغضبة الشعب إن ديست كرامته — وصولة الحق فى صدق وإيمان

علمتنا كيف لانـرضى لعـــزتنا — أن تستذل بإرهاب وطغيان [9]

وعندما اجتمع الناس لإحياء ذكرى شاعرهم الكبير كان الماجرى فى طليعة الحاضرين ، ليعلن بينهم أن التأبين والبكاء إنما يساقان للموتى ، أما رفيق فهو حي فى ضمير الشعب ، لايدركه النسيان ولاتبعد صورته اللحود :

لن أريق الدمع فى — ذكراك إنى لن أريقه

أنا لاأبكيــك يــا — شاعر شعبى يارفيقـه

أنــا لاأبكيـك فالـــمبكي مـــن مـات حقيقـه [10]

يامضيئا فـــى دروب الـــبغي واليـأس طريقـــه

وتظل ذكرى المهدوى متجددة فى نفس الماجرى ، يناجيه فى كل سانحة ، ويخاطبه مخاطبة الأحياء ، مستخدما أساليب النداء ، وضمائر الخطاب ، وعبارات التعجب لرحيله ولما يودع أهله ومحبيه :

كيف تمضى به ولما يودع — وطنا لايطيق يوما وداعـــه

أو ماكان حسه وصـــداه — ورؤاه مؤملا وصــراعـــه

يارفيق البيان عفـــوك إن — قصّر شعري فأنت تعلم باعه[11]

---

[9] – المصدر السابق 155 ، 156 .

[10] – المصدر نفسه : 158 .

[11] – النص كاملا فى مهرجان رفيق الأدبى ، الذى أشرف على جمع مادته الأستاذ الدكتور محمد دغيم ، منشورات جامعة قاريونس : 1993 ص :269 ، 270 .

وأخيرا فإن الصلة الوثيقة بين جبلين متعاصرين من الشعراء تستحق التوثيق والدراسة ، لأنها مظهر من مظاهر التأثير والتأثر ، ونموذج لرعاية السلف للخلف ، فيها تتواصل رسالة التراث البشرى ، وتنتقل تربية الأذواق ، وتتعمق الاتجاهات والمدارس الأدبية ، وبذلك تنمو روح اللغة وآدابها ، فالسماع يبنى الأذواق ، ويصقل المواهب ، ويمنح الناشئة من ذلك مالا تمنحه التجارب المكتوبة وحدها .

النموذج الثانى
استشراق مستقبل واعد

عادل محمد مختار المغربى ، شاب فى العقد الثالث من عمره المديد ، وهو شاعر كامل الأدوات الشعرية ، ومثقف طلعة ، يبهرك بسعة اطلاعه فى مجال التراث بعامة ، وفى ميدان البحث اللغوى الذى اتخذه ميدانا لدراساته العليا على وجه الخصوص .

ولد المغربى فى بنغازى عام 1971 ، وتخرج فى القسم العلمى خلال المرحلة الثانوية ، ولكنه مال إلى الأدب ، وأحب التخصص فى العربية ، فتحصل على إجازتها الجامعية عام 1994 ، غير أن الدراسة المنهجية لم تكن غايته ، فقد دفعه طموحه وشغفه بالأدب العربى إلى مطالعته خارج نطاق المنهج ، وسرعان ماظهرت مخائل نبوغه المبكر ، وعطائه الواعد ، والمحائد المهتم قد يفوق المتخصص غير المكترث فى مجال تخصصه ، ولكن اجتماع الأمرين يعطى بلا شك أفضل النتائج وذلك ماجعل شاعرنا يحرص على الأمرين، ويبرز فيهما .

ويخيل إليك حين تستمع إلى المغربى لأول وهلة أنه يقرأ نصا من الشعر القديم يتميز بمتانة الديباجة ، وجزالة الأسلوب ، ثم يفاجئك بأن مايقرأه لم يكن سوى بعض مايطلق عليه بلغة التواضع اسم محاولات مبتدئ ، وقصائده بعد ذلك طويلة النفس ، سليمة الوزن ، صحيحة المعنى ، متينة المبنى ، ولكنك قد تخالفه فى تركيزه على موضوعات المناجاة ومايتصل بها من موضوعات دينية ، فالشعر انعكاس للحياة بأضوائها وظلالها ، ومن حق القارئ أن يطالع ألوانها المختلفة . ومن حق الشاعر بعد ذلك أن يكون ملتزما وهو يعالج مختلف الألوان .

ومناجاة المغربى تتميز بالصدق ، والتعبير عن تجاربه الشخصية ، انظر إليه فى هذا الموقف المتبتل الذى يعبر عن استغاثة حقيقية فى بعض تجاربه الخاصة :

ياخالق الخلق ياقيوم ياسندى   يامن تنزه لم يولد ولم يلد

افتح علينا بفتــح لاانغـــلاق له | ويسر الحال إن القلب فى كمـد
واشف صدورا بعبء الهم مثقلة | لها ذنوب كمثل الذر والزبـــد
إن لم تدارك فيا ويلاه من أسـف | فأنت ملجأ من يخشى من الحرد

ومن أشعاره ، التى نحس أنها بعيدة عن روح العصـر ، بديعيـة فـى التوريـة بألقـاب ومصطلحات علم الحديث ، يمزج فيها الغزل بتلك الاصطلاحات فى مهـارة تجعلهـا مقبولة برغم انتمائها إلى عصر مول ، واتجاه مخالف لمألوف عصرنا ، يقول فيها :

صلوا مشوقا على أعتابكم وقفا | والدمع منه على الخدين قد ذرفا
وحدثوه لكى يحظى بسمعكمـو | أو فلتجيزوا له وصلا به كلفـا
لاتعضلوه من اللقيا فإن لـــه | قلبا تفـــرق أيد بعـدما ألفـا
وأسنـــدوه برفق إنه فــــرق | يصير متفقا حـــال له اختلفـا

ولولا التزامه باصطلاحات المحدثين لكان أولـى أن يضـع لفظ (بصوتكمـو) عـوض (بسمعكمو) فى البيت الثانى ، ومع ذلك فإن امتلاك الشاعر لأدواته الشـعرية ، مكنـه من الوفاء بحقوق الغرضين اللذين جاور بينهما فى قصيدته .

وفى قصيدة أخرى جاوزت الخمسـين بيتـا يقـف أمـام أضرحـة الصحابـة الذيـن حظيت بهم مدينة درنـة ، فيذكـر أهلهـا بفضـل جوارهـم ، وينتقل إلـى الحديـث عـن الصحابـة ، فيشيد بجهـادهم وتعليمهـم ودعوتهـم ، ويشـير إلـى مواقعهـم وعدتهـم ، ويسمى بعض أشخاصهم ، وقائدهم ، وقاضيهم ، ثم يقول :

ضمتهم أرض بدرنة أصبحــت | دوما لأرباب القلوب مقامـــا
تتنزل البركات حول رياضهـم | وتحفهم أهل السما إنعامـــا
بركاتهم مشهورة فى جيـــرة | يرعون للصحب الكرام ذماما
لله موطنهم كأن رياضهـــــم | جنات خلد تخطف الأفهامـــا
ماء نمير فى هـــواء عاطـــر | والطير ينشد أهلها الأنغامـــا
والبحر يبسط لجة قد أفـردت | تزدان فى وقت المغيب نظامـا

وقد وقفت للمغربى على قصيدة رويها القاف ، وهو مركب ليس بالسهل بين قوافى العربية ، ولكن الشاعر المطبوع يتجاوز فيها الثلاثين بيتا ، لاتحس معها بضعف أو تعسف فى اصطياد القوافى ، ويستهلها بمقدمة غزلية على منهج القدماء فى ذلك :

عطفا عـــلى حبائـــل الآمـــاق ... أصليتنى وبلا من الأشـــواق

وتركتنى غرض الحوادث والضنى ... وكسوتنى طمرا من الأخلاق

وسقيتنى كأس الغرام مزيجـــه ... بالذل والإدلال والإحـــراق

هلا حنوت على المحب لعلـــه ... يحيا بعطفة قلبـك الخفـــاق

وقد أسعدنى هذا النبوغ وتلك الفصاحة فى شخصية عادل المغربـى ، فحييتـه بأبيات على هذا الوزن من بضاعة مزجاة ، وقريحـة ناضبـة ، علـه يجد فيهـا مـن غـرض التشجيع والإعجاب ما يحجب مافيها من الضعف والقصور منها :

لثرون ياأرج البـــلاد وجيدهـــا ... يانـــزهة الآذان والأحـــداق

يامن جمعت من الورود عطورهـــا ... ومن الندى الرقراق خير مذاق

وعليك من رأس الهلال ملاحـــة ... فاقت بهاء كل حســـن راق

تعلوك من قمم الجبال وسامـــة ... ولديك من شيم البحار سواقى

ماضيك من شحات يكتسب الغنى ... وربيع برقة خالد الإبـــراق

لثرون ياهبة السمـــاء وهبتنـــا ... نجما تألق قمة الآفـــــاق

جمعت فيه مـن الفضائـــل لبهـــا ... فى العلم والآداب والأخـــلاق

ومنحتنا من كـــل ذلك عـــادلا ... طود البلاغة واحد الأعـــلاق

ماجـــاوز العقـــد الثلاثي سنـــة ... لكن عرق المجد منه عـــراقى

النموذج الثالث
شاعر من درنة

الاستاذ الأديب خليفة إدريس حسن الغزوانى ، من مواليد درنة سنة 1939 افرنجى ، تلقى تعليمه الإبتدائى فى المدارس الليبية بمسقط رأسه ، ونال الشهادة الثانوية فى مصر سنة 1954 افرنجى .

تخرج فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة 1959 وتقلب فى مناصب النيابة والقضاء بكل من بنغازى ، وغريان ، وطرابلس ، وفى هذه الأخيرة عاش سنوات طويلة من عمره المديد حتى عرف بين أهلها بالأديب الظريف ، وتطايرت فى مجالسها الأدبية ومضاته الفكرية ونوادره الطريفة ، وإن كان بعضهم يحذر من هجائه الساخر حذرا مفرطا .

وللأستاذ الغزوانى بديهة سريعة ، وقدرة على التصوير عالية ، وإسهامات فى النقد الاجتماعى لم يسطرها فى كتاب أو يدونها فى مقال ، ولكنها تجرى على ألسنة عارفية شعرا فى غاية الظرف والطرافة .

لن أعرج على هذا الجانب الساخر من أدب الرجل لما فيه من الخصوصيات أحيانا ، وأقدم عوضا عنه جانب الأديب والإنسان المتأمل فى حياة الغزوانى وذلك من خلال نصين يبرهنان بلا حفاء عن شاعرية خصبة ، وقيمة أدبية عالية تستحق التوثيق والدراسة .

(أمام الهرم)

وقف شاعرنا أمام الهرم فى مصر كما فعل الكثيرون من زائرى هذا الأثر المعمارى العملاق ولكنه تجاوز مرحلة الاعجاب بالمظهر الخارجى إلى مايزسله إلى المتأمل من عبر وعظات مؤثرة . فقال :

يابانيا يتحـــدى معــــول القـــــدم

محا الزمان برفـــق قمة الهـــــرم

وكلما مــــرت الأيــــام مســــرعة

بها يغوص تراث المرء فى العــدم

هذى المجـــرات شـتـى فى مسابحها

يسعى الفنـــاء إليها ثابت القــدم

يــــد الزمــــان علينا جد قاسيـــــة

وأى ركـــن بنتــه غير منهــدم

فالمـــال والجـــاه والآداب أجمعــها

قبض الرياح ووهم حل فى حلـم

ومالحيـــاة بماضيـــها وحاضـــرها

إلا شهاب هوى فى غمرة الظلم

ونحن نزهو ونلهـــو فـــوق كوكبنا

دودا تشبت مثل الدود فى الرمم

لما رأى الهوة العظـــمى تحيط بـــه

شكا الفناء إلى القرطاس والقلـم

وصرخة الصمت من أعماقه انطلقت

فصاغ منها فنون الحزن والألم

وقاده فى خـــواء الكون وحـــدته

لوحشة نظمت أنشودة القيـــم

وانتابــه غثيـــان ظـــن مصـــدره

أن الحضارة من بالوعة الرحـم

(فى رثاء زوجته)

ومن شاء أن يعرف الغزوانى الإنسان فليقرأ لاميته فى رثاء زوجته ، إنها الحزن ينظم نفسه فى قوافى شعرية ، أو الشعر ينسج من الحزن حلته الشجية .

نحيبك ماشفى صدرا عليلا ودمعك زاد حرقته غليلا
إذا العينان جاورتا أشما دموعها غدت خطبا جليلا
وأقبح بالحوادث والرزايا إذا هى أبكت الرجل النبيلا
إذا الأحزان ضاق بها فؤاد جزوع تسكن النفس الحمولا
بأفراح الحياة مضت وخلت لى الأحزان والليل طويلا
كأن نجومه بالقطب لاذت مروعة فلا تنوى الأفولا
شواخص فى بهيم الليل حطت على حشودها هما ثقيلا
ومن ليلى فزعت إلى نهار بغيض قد عدمت به المقيلا
وحيد كالجزيرة فى خضم وقاصدها يخوض المستحيلا
أرى الشطآن قد غرقت بدمعى فرد ضبابها طرفى كليلا
وأحسب أننى فى الكون وحدى وأنى عمره جيلا فجيلا
وكانت ومضة بظلام عمرى عرفت إلى الوجود بها السبيلا
فزعت إلى الدجى والليل جهم (وكان يضمنا سكنى جميلا[1])
كأنى طلبة لبنات دهرى فما لسواي قد رضيت بديلا
ألا يابهجة الأيام عودى وكيف وبيننا بالموت حيلا

[1] – فى الأصل : وكان يضمنا السكن الجميلا.

وبعد رحيلنا فى الكون قســـرا رحيل آخر ينهى الرحيــــلا
كذاك هى الحياة إذا تعــــرت خليل بائس يبكى خليـــــلا
فإن تبكى لعمرى الزهـــــر ولى وجدنا عمر من يبكى كحيلا
رأيـــت بطرفها الدنيا ضيــــاء وهاهو بالثرى أمسى كحيـلا
وهـــذا الورد غيبـــه تـــراب طواه إذ طوى الخد الأسيـلا

وبعد..

فهل تراني أوفيت هذا الشاعر الممتاز حقـه مـن التعريـف والتنويـه ؟ أو هـل كـانت وقفاتي عند الشاعرين قبله موفية بذلك النبع المتدفق من الشاعرية الوارفة ؟.
لاأحسب أنني فعلـت ذلـك ، ولكننـي عرضـت الملامـح المثيرة لألفت انتبـاه القـارئ العابر إلى شـاعرية خصبـة فـي بـلاده العربيـة الليبيـة ، واسـتقطب اهتمـام البـاحثين المختصين التوجه نحو هذا النتاج الحاضر حتى لايكون مآله مآل الشعر فـي تاريخنـا الثقافي ، وكفى بذلك غاية تحققها هذه المقالة العجلى .

د. عبدالحميد عبدالله الهرامة

معجم المؤلفات الليبية

فى الأدب الحديث

3- الـــروايـــة

اعداد وتقديم / د. الصيد أبو ديب

إضاءة تاريخية

الشائع لدى الكثير من الدارسين للحركة الادبية فى ليبيا عامة ، ومتتبعي تطـور الرواية الليبية على وجه الخصوص ، أن نشأة الرواية الليبيـة تعود الـى سنة 1961 وهى السنة التى صدرت فيها رواية (اعترافات انسان)[1] لمحمد فريـد سيالة ، غير ان البحث اثبت خلاف ذلك . فاعتمادا على ما جاء فى كتاب (الليبيون فى سوريا)[2] للكاتبين الليبيين زين العابدين موسى واحمد اديب بن الحاج ، يمكن القول ان هذه النشأة ترجع الى بداية الخمسينيات من هذا القرن ، تحديدا سنة 1952 . لقد ذكر مؤلفا الكتاب المذكور ان الاستاذ الأديب المرحوم (حسن ظافر بن موسى)* ألف " قبل وفاته رواية باسم (مبروكة) تدور حوادثها فى الحرب الإيطالية ، طبعها على نفقته وصادرها الفرنسيون ، ولم يوزع منها سوى نسخ قليلة "[3] .

---

(1) – ط / الاولى ، دار الشرق الاوسط للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، 1961 .

(2) – ط / الاولى ، مطبعة دمشق ، 1371 هـ / 1952 .

* هو ابن المرحوم الشيخ على بن موسى ، ولد فى اواخر القرن الماضي فى مدينة طرابلس التى اتم فيها دراسته ، التحق بالكلية العسكرية فى استانبول حيث تخرج فيها برتبة ضابط فى المدفعية . فى الحرب العالمية الاولى عين رئيسا لقسم ميرة الجيش فى (حوران) بسوريا ،ولما نشبت الثورة العربية انضم الى صفوفها ، اصيب بمرض فى عينه ، اضطر معه الى اعتزال خدمة الجيش ، وعين معلما للغة الفرنسية فى تجهيز (حماة) . تحت ضغط الحكومة الفرنسية سرح من الخدمة ، ثم اعيد الى وظيفة معلم فى مدارس دمشق الابتدائية وبقى فيها الى ان احيل على المعاش . كان أحد اعضاء لجنة الدفاع الطرابلسي البرقاوي التى تأسست عام 1925 فى دمشق . توفى فى 1952/6/20.

(3) – الليبيون فى سوريا ، زين العابدين بن موسى واحمد اديب بن الحاج ، ص 20 .

كما اعلن هذان المؤلفان على الصفحة الاخيرة من غلاف كتابهما المذكور انه ستصدر قريبا رواية (مبروكة) التى تحكي تاريخ شعب وبطولة امرأة بقلم حسن ظافر بن موسى . ويبدو انهما لم يفعلا ذلك ، وقد اكد لي قريب احد المؤلفين ان هذه الرواية لم تر النور فى طبعتها الثانية .

وورد فى (الببليوغرافية المشروحة للاعمال الجارية للمؤلفين العرب الليبيين) ان من اعمال الاستاذ خليفة عبد المجيد المنتصر (مبروكة بطلة من ليبيا)[4] دون توضيح لجنس هذا العمل، واضاف (دليل المؤلفين العرب الليبيين) بعض البيانات المتعلقة بالنشر ، حيث ذكر ان هذا العمل طبع على مطابع العودة ببيروت عام 1970 وأنه جاء فى 280 صفحة [5] .

فى ضوء هذه المعلومات ، يمكننا ان نعتبر (مبروكة) أول رواية ليبية مطبوعة ، ولدت فى ديار الهجرة بسوريا ، على يدي الاستاذ الاديب حسن ظافر بن موسى ، وطبعت فى دمشق على نفقة مؤلفها عام 1952 ، وكان فى نية ابنه (زين العابدين) اعادة طبعها بعد وفاته .

أما عن أول رواية ليبية اصدرت مدينة طرابلس بشأنها شهادة ميلاد ، فهى بعنوان (وتغيرت الحياة) للكاتب الليبي محمد فريد سيالة ، نشرت على حلقات فى مجلة (هنا طرابلس الغرب) فى اواخر عام 1957 ، اى بعد خمس سنوات من صدور رواية (مبروكة). فمع بداية العدد (51) من هذه المجلة الصادر فى أول جمادي الأولى 1377 هـ الموافق لنهاية نوفمبر 1957 ، نشرت الحلقة الأولى من رواية (وتغيرت الحياة) الصفحات 32-34 ، وكان الاهداء فيها "اليها ، الى موحيتها .. الى روحي" كما قدمها مؤلفها بالعبارة التالية : "الحب للانسانية كالماء والهواء ، لا يمكنه الحياة بدونه" .

وقد تتابعت حلقات هذه القصة الليبية الطويلة المسلسلة ، فكانت الحلقة الثانية بالعدد 52 الصادر فى ديسمبر 1957 (الصفحات 13-16) وجاءت الحلقة الثالثة فى العدد 53 الصادر فى يناير 1958 (الصفحات 15-18) والحلقة الرابعة فى العدد 54 الصادر فى فبراير 1958 (الصفحات 31-36) ، أما الحلقة الخامسة والأخيرة فقد نشرت بالعدد 55 الصادر فى مارس 1958 (الصفحات 25،28،29) .

ثم بعد ذلك نشر الكاتب محمد فريد سيالة - فى المجلة نفسها - روايته الثانية بعنوان (الحياة صراع) فى عدة حلقات ، قدمها بالعبارة التالية "من السهل ان تكون محبوبا ، واسهل منه ان تكون محبا ، ولكن الصعب حقا ان تكون محبا ومحبوبا فى آن واحد" .

وقد ظهرت الحلقة الأولى من هذه الرواية بالعدد 56 الصادر فى ابريل 1958 (الصفحات 24 و 25 والبقية فى ص 36 - 37) ، وكانت الحلقة الثانية بالعدد 57

---

(4) - انظر ، الببليوغرافية المشروحة ، ص 276 ط/ 1976 وص 161 ط/ 1980 .

(5) - دليل المؤلفين ، ص 126 .

الصادر فى مايو 1958 (الصفحات 16-18 والبقية فى ص 37) والحلقة الرابعة بالعدد 59 الصادر فى يوليو 1958 (الصفحات ؟؟) والحلقة الخامسة بالعدد 60 الصادر فى سبتمبر 1958 (الصفحات 9-11 والبقية ص 38 ، 39) والحلقة السادسة بالعدد 61 الصادر فى اكتوبر 1958 (الصفحات 27-30) والحلقة السابعة بالعدد 62 الصادر فى نوفمبر 1958 (الصفحات 37-41) والحلقة الثامنة بالعدد 63 الصادر فى ديسمبر 1958 (الصفحات 31-35) أما الحلقة التاسعة والاخيرة فقد نشرت بالعدد 64 الصادر فى يناير 1959 (الصفحات ؟؟) .

ثم جاءت الرواية الثالثة للاستاذ محمد فريد سيالة بعنوان (اعترافات انسان) التى نشرها على عدة حلقات بمجلة (طرابلس الغرب) حاملة الاهداء التالي "اليها .. الى التى اوحت لي بفكرتها ومدتنى بخيوطها الى بطلتها ، علها تخفف عنا نحن الاثنين شيئا من لهفة الشوق وحنين الظمأ وألم الفراق" . وقد ظهرت الحلقة الأولى من هذه الرواية بالمجلة المذكورة فى العدد السابع ، السنة السادسة ، الصادر فى صفر 1379 هـ / اغسطس 1959 (الصفحات 22 - 25) وانتهت بالحلقة الثانية عشرة التى نشرت بالعدد 18 السنة السابعة، الصادر فى ذي الحجة 1380 هـ / ابريل - مايو 1961 .

ويبدو ان مؤلفها حرص - بعد الانتهاء مباشرة من نشرها فى حلقات - على الدفع بها الى المطبعة لتكون فى كتاب مطبوع ، فقد تم طبعها على مطابع دار الشرق الاوسط للطباعة والنشر بالاسكندرية فى عام 1961 وجاءت فى 174 صفحة ، وبذلك كانت ثاني رواية ليبية مطبوعة .

وقد غفلت عن ذكرها (الببليوغرافية الوطنية الليبية - الجزء الثاني) الذى تضمن الكتب والتقارير والبحوث التى طبعت خلال الفترة من 1951 - 1971 ، الصادر عام 1973 ولكن (دليل المؤلفين العرب الليبيين) الصادر عام 1977 ، اشار اليها على انها من منشورات مكتبة الفرجاني بطرابلس عام 1962 وانها جاءت فى مائة صفحة[6] وهى بيانات غير صحيحة وليست مستقاة من الرواية المطبوعة . كما ذكرتها (الببليوغرافية المشروحة) الصادرة عام 1977 على انها صدرت عام 1961 [7] ، وهو التاريخ الصحيح الذي لم يأخذ به كل من تعرض لنشأة الرواية الليبية وبداياتها[8] .

وقد جعلت الكاتبة اسماء الطرابلسي لرواية (اعترافات انسان) طبعة ثانية ، ذكرت بيانات نشرها على النحو التالي "طرابلس ، مكتبة الفرجاني ، 1962 ، 100 صفحة" ، وهى - كما هو واضح - البيانات التى اوردها (دليل المؤلفين العرب الليبيين) والتى

[6] - دليل المؤلفين العرب الليبيين ، ص 409 .

[7] - الببليوغرافية المشروحة ، ص 146 .

[8] - انظر ثبت القصة والرواية ، اعداد اسماء الطرابلسي ، مجلة الفصول الاربعة ، العدد 17 الصادر فى مارس 1982 ، ص 253 ، كذلك : دراسات فى الرواية الليبية ، سمر روحي الفيصل ، ص 14 و 21 .

سبق ان بينا عدم صحتها ، ذلك ان مكتبة الفرجاني لم تقم بإعادة طبعها فى السنة المذكورة وهى السنة التالية على طبعتها الاولى أو فى غيرها من السنوات .

وتبقى كلمة ..

لقد لاحظ الكاتب السوري سمر روحي الفيصل فى كتابه (دراسات فى الرواية الليبية) ان الرواية الليبية مبعثرة فى الكتب (الببليوغرافية) دون ان يجمعها مكان واحد ، مشيرا الى المحاولة التى قامت بها الكاتبة اسماء الطرابلسي والتى تمثلت فى اعدادها ثبت بالقصة والرواية معتبرا هذه المحاولة هى الأولى "لجمع الرواية فى مكان واحد ، ولكنها محاولة تفتقر الى فصل الرواية عن القصة"[9] ، لذلك قام "بعملية الفصل المطلوبة استنادا الى قائمة اسماء الطرابلسي والى دليل المؤلفين العرب الليبيين لعام 1977 والى الحوار الشفوي مع بعض الادباء الليبيين" وخرج من ذلك كله بثبت رتبه مرة بحسب الترتيب التاريخي لصدور الروايات* ، واورده مرة أخرى بحسب الحرف الاول من اسم الروائي** .

وقد ضم هذا الثبت اثنتين وثلاثين رواية ، ذكر ان اربع روايات منها صدرت فى الستينات ، وصدرت ثلاث وعشرون فى السبعينات وخمس فى الثمانينات ، وفى ضوء ذلك قرر "ان هذه الارقام دليل على نمو الرواية فى السبعينات ، وعامل مشجع على القيام بدراسات نقدية ترصد مضامين الرواية الليبية واشكالها الفنية" ، كما اشار الى انه "قد صدر فى السنوات الثلاث الأولى من الثمانينات (1980 ، 1981 ، 1982) خمس روايات، وهذا رقم يفوق ما قدمته الرواية الليبية طوال الستينات ، مما يجعل المرء يتفاءل بالثمانينات ، ويراها مؤهلة لنهوض الرواية الليبية وتجاوز مرحلة البدايات الأولى"[10] .

ولعلنا بهذه الاضاءة التاريخية ، وبهذا الثبت الجديد الذى يجمع فى مكان واحد الروايات الليبية المطبوعة التى صدرت فى بداية الستينات وحتى تاريخ نشره .. لعلنا بذلك نكون قد حققنا ما كان يرجوه ، الكاتب العربي السوري (سمر روحي الفيصل) من ان يكون الثبت الذى اعده فى كتابه (دراسات فى الرواية الليبية) محاولة أولى "تحتاج الى ان يرمم النقاد الليبيون ثغراتها وان يقوموا اعوجاجها" .

ولعلنا ايضا بهذه الاضاءة التاريخية وهذا الثبت نكون قد اكدنا صدق تفاؤله واكدنا رؤيته واستشرافه بنهوض الرواية الليبية وتجاوزها مرحلة البدايات الأولى ، فها هى ذي قائمة ما صدر من الروايات الليبية فى مرحلة الثمانينات تسجل قرابة عشرين رواية ، كما بلغ ما صدر منها فى السبع السنوات الاولى من مرحلة التسعينات سبع عشرة رواية .

---

[9] - دراسات فى الرواية الليبية ، سمر روحي الفيصل ، ص 13 .

* المصدر السابق ، ص 14-17 .

** نفسه ، ص 17-22 .

[10] - نفسه ، ص 22 .

اسم الرواية	اسم الروائى	بيانات النشر
1- مبروكة	حسن ظافر بن موسى	ط/ الاولى ، مطبعة دمشق ، 1952
2- اعترافات انسان	محمد فريد سيالة	ط/ الأولى ، دار الشرق الاوسط للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، 1961 .
3- اقوى من الحرب	محمد على عمر	ط/ الاولى ، منشورات مكتبة النسر الذهبي ، بنغازي ، 1962 .
4- حصار الكوف	محمد على عمر	ط/ الاولى ، مطابع دار الزمان ، بنغازى ، اكتوبر 1964 .
5- غروب بلا شروق	سعد عمر غفير سالم	ط/ الاولى ، منشورات دار الكتاب الليبي ، بنغازي .
6- من مكة الى هنا	الصادق رجب النيهوم	ط/ الاولى ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بنغازي ، 1971 .
7- قلوب معذبة (روايتان)	عبدالهادي محمد الربيعي	ط/ الاولى ، المؤسسة العربية الليبية للاعلان ، بنغازي ، 1971.
8- خيبة الامل السعيدة	محمد عبدالرازق مناع	ط/ الاولى ، مطابع سجل العرب، القاهرة ، 1971 . ط/ الثانية ، منشورات دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1973 .
9- ثلاثون يوما فى القاهرة	محمد صالح القمودي	ط/الأولى ، منشورات دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1971 .
10- رمضان السويحلي (رواية تاريخية)	محمد صالح القمودي	ط/ الاولى ، منشورات دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1971 .
11- شئ من الدفء	مرضية النعاس	ط/ الأولى ، منشورات دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1972 .
12- ليبي فى باريس	محمد صالح القمودي	ط/ الأولى ، منشورات دار الكتاب العربي ، طرابلس ، 1972
13- المهدي ولدي	محمد صالح القمودي	ط/ الأولى ، مطبعة دار التأليف بالمالية ، القاهرة ، 1972 .
14- بلا نهاية	محمد عبدالسلام الشلماني	ط/ الأولى ، سلسلة الكتاب الشهري ، العدد الثاني ، وزارة الاعلام والثقافة، طرابلس، 1972 .
15- جديد حتى الروح	محمد على عمر	ط/ الاولى ، مطابع دار الزمان للصحافة والطباعة والنشر ، بنغازي

		، ديسمبر 1972 .
16- تـأخر الفجر - خماسية (الجزء الاول)	محمد صالح القمودي	ط/ الأولى ، منشورات دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1973 .
17- دماء على النخيل	محمد صالح القمودي	ط/ الاولى ، منشورات دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1973 .
18- طرابلس 46	محمد صالح القمودي	ط/ الاولى ، منشورات دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1973 .
19-نافذة على المطل الخلفي	محمد على سالم عجينة	ط/ الاولى ، سلسلة الكتاب الشهرى ، العدد11 ، وزارة الاعلام والثقافة ، طرابلس، 1973
20- انا الوطن (رواية تاريخية)	محمد على عمر	ط/الأولى ، منشورات دار الاتحاد للطباعة والنشر ، بنغازي، 1974.
21- وميض فى جدار الليل	احمد محمد نصر	ط/الاولى ، منشورات دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1974 .
22- فى المنفى	رجب مفتاح ابودبوس	ط/الاولى ، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، 1975.
23- انات خلف الجدار السميك	منصور يونس	ط/الاولى ، المطبعة الاهلية ، بنغازي ،197؟.
24- متى يفيض الوادي ؟	صالح السنوسي	ط/ الأولى ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، 1980 .
25- المطر وخيول الطين	خليفة حسين مصطفى	ط/ الاولى ، الكتاب والتوزيع والاعلان والمطابع ، طرابلس ، 1981 .
26- العربة	ابراهيم النجمي	ط/الأولى ، الكتاب والتوزيع والاعلان والمطابع ، طرابلس ، 1981 .
27- المظروف الأزرق	مرضية النعاس	ط/الاولى، الكتاب والتوزيع والاعلان والمطابع ، طرابلس ، 1982 .
28- عين الشمس	خليفة حسين مصطفى	ط/الاولى، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس ،1983.
29- القرود	الصادق رجب النيهوم	ط/ الاولى ، سلسلة كتاب الشعب ، العدد 7 ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، يوليو 1983 . ط/ الثانية ، 1985 .
30- المرأة التى استنطقت	نادرة العويتي	ط/ الاولى ، سلسلة كتابات جديدة ،

الطبيعة		العدد 11 ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، 1983 .
31- غدا تزورنا الخيول	صالح السنوسي	ط/ الاولى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، 1984 .
32- الحيوانات	الصادق رجب النيهوم	ط/ الاولى ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، 1984 .
33- الطاحونة	سالم الهنداوي	ط/ الاولى ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، 1985 .
34- جرح الوردة	خليفة حسن مصطفى	ط/الاولى ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس 1985، . ط/ الثانية ، مطابع الثورة العربية ، طرابلس ، 1989 .
35- رجل لرواية واحدة	فوزية شلابي	ط/الاولى ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، 1985 .
36- حقول الرماد	احمد ابراهيم الفقيه	ط/الاولى، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، 1985.
37- من حكايات الجنون العادى	خليفة حسين مصطفى	ط/ الاولى ، المنشأة العامة لنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، 1985 .
38- آخر الطريق	خليفة حسين مصطفى	ط/ الاولى ، المنشأة العامة لنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، 1986 .
39- عرس الخريف	خليفة حسين مصطفى	ط/الاولى ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، 1986 .
40- سور الحرمان	سليمان الشتيوي شفتر	ط/ الاولى ، سلسلة كتابات جديدة ، العدد 38 ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، مصراته ، يونيو 1987.

41- أبواب	الكيلاني عون	ط/الاولى ، سلسلة كتابات جديدة ، العدد 41 ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، مصراته ، ديسمبر 1987 .
42-خماسية الخسوف: (البئر ، الواحة ، اخبار الطوفان الثاني ، نداء الوقواق)	ابراهيم الكوني	ط/ الأولى ، ابو ذر الغفاري للنشر ، بيروت ، 1989 .
43- ظمآن فى الليل	سيد قذاف الدم	ط/ الأولى ، ؟؟؟ ط/ الثانية ، تنفيذ وطباعة شركة تكنوبرس الحديثة ، 1991 .
44- التبر	ابراهيم الكوني	ط/ الأولى ، 1990 . ط/ الثانية ، الدار الجماهيرية ، مصراته - دار الافاق الجديدة ، المغرب ، 1991 . ط/ الثالثة ، تاسيلي للنشر والاعلام - دار التنوير للطباعة والنشر، 1992 .
45- نزيف الحجر	ابراهيم الكوني	ط/ الاولى ، 1990 . ط/ الثانية ، الدار الجماهيرية ، مصراتة - دار الافاق الجديدة ، المغرب ، 1991 . ط/ الثالثة ، تاسيلي للنشر والاعلام - دار التنوير للطباعة والنشر، 1992 .
46- ثلاثية : (1) سأهبك مدينة اخرى (2) هذه تخوم مملكتي (3) نفق تضيئه امرأة واحدة	احمد ابراهيم الفقيه	ط/ الاولى ، منشورات مؤسسة دار الريس للكتب والنشر ، لندن - قبرص ، مايو 1991 .
47- المجوس (جزءان)	ابراهيم الكوني	ط/ الاولى ، الدار الجماهيرية ، مصراته - دار الافاق الجديدة ، المغرب ، 1991 . ط/ الثانية ، تاسيلي للنشر والاعلام - دار التنوير للطباعة والنشر، 1992 .
48- السهل	احمد محمد نصر	ط/ الاولى ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، 1991 .

49- الفقي مصباح مؤذن الفجر	عبدالوهاب الزنتاني	ط/ الاولى ، دار الملتقى للنشر ، قبرص ، 1991 .
50- لقاء على الجسر القديم	صالح السنوسي	ط/ الاولى ، منشورات دار الافاق الجديدة ، المغرب ، 1992 .
51- الجريمة	خليفة حسين مصطفى	ط/ الاولى ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، مصراتة ، 1993 .
52- هذه أنا	شريفة القيادي	ط/ الاولى ، منشورات إلقا-ELGA مالطا ، 1994 .
53- تلك الليلة	عبدالرسول العريبي	ط/ الاولى ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، مصراته ، 1994 .
54- خرائط الفحم (روايتان)	سالم الهنداوي	ط/ الاولى ، دار المتوسط للكتب والنشر ، قبرص ، 1994 .
55- الفم	ابراهيم الكوني	ط/ الاولى ، تاسيلي للنشر والاعلام - دار التنوير للطباعة والنشر ، 1994 . ط/ الثانية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، مصراته ، 1995 .
56- السحرة (جزءان)	ابراهيم الكوني	ط/ الاولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، جـ1 1994 - جـ2 1995 . ط/ الثانية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، مصراته 1996.
57- فتنة الزؤان	ابراهيم الكوني	ط/ الاولى ، تاسيلي للنشر والاعلام - دار التنوير للطباعة والنشر ، 1995 . ط/ الثانية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، مصراته ، 1996 .
58- الحوت	عبد السلام السيدي	ط/ الاولى ، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، طرابلس، 1995 .

59- اينارو(رواية تاريخية)	د. على فهمي خشيم	ط/ الأولى ، المؤسسة العربية للنشر والابداع ، الدار البيضاء ، المغرب ، مايو 1995 .
60- حجف العقاب	محمد فركاش الحداد	ط/ الاولى ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، مصراته ، 1997 .

* الروايات المترجمة:

1- الزقاق	جوزيف كتكوتي ترجمة ابراهيم النجمي	ط/ الاولى ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، 1978 .

* دراسات عن الرواية الليبية :

1- دراسات فى الرواية الليبية	سمر روحي الفيصل	ط/ الاولى ، سلسلة كتاب الشعب ، العدد 12 ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، ديسمبر 1983 .
2- نهوض الرواية العربية الليبية	سمر روحي الفيصل	ط/ الاولى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1990.

الكتابة على اللحم الحي

سليمان سالم كشلاف

شغل العامل الاجتماعي أدباءنا كثيرا ، كانت النظرة العميقة النافذة لخلفيات الأمور التى تكشف جوانبها الاشياء وتنفذ بنورها الى حيث تكون الظلال ، تسلط الأضواء عليها لكي ترى العيون ، كل العيون ، مختلف جوانب الصورة .

المرأة إحدى الشواغل التى أرقت ضمير الكاتب وعقله فعاناها ، وحاول تفسير تلك النظرة التى تصم كل فعل يصدر عنها بقالب العيب ، حتى وإن كان ذلك الفعل لاينفصل إطلاقا عن فعل الرجل ، ولا يكتمل إلا به ، وعندئذ تقع المرأة ضمن دائرة النار فى الوقت الذى يبقى فيه الرجل خارجها ، بل هو الذى يضع حدود تلك الدائرة ، وهو الذى يضع وقودها ، وهو الذى يشعل نارها ، لتحترق به المرأة فقط .

لذلك فليس من المستغرب أن يبقى شيئ ما فى ضمير الكاتب سنين عددا ، عندما يجد الظلال تفرش نفسها على موقع أضاءه ، فيظل الموقف يختزن داخله ويتكثف حتى ينفجر من جديد بشكل آخر ، لكنه يحمل نفس الرؤيا ونفس الدلالات ، وتزداد فيه الإدانة حدة.

وعندما كتب القاص "يوسف الشريف" قصة (الباب الأخضر)[1] كشف الجبن والعهر اللذين تمتلئ بهما النفوس ، ونقطة الضعف فى أخلاقهم التى خلقت تناقضا رهيبا بين المسلكية الخفية ، وبين إزدواج الحياة بوجهين وموقفين .

ففى قصة (الباب الأخضر) يدين الجميع "مريومة" . الرجال والنساء ، الأطفال والكبار ، يتكاتفون جميعا ، عن وعى أو عن جهل ، من واقع إستفادة أو من واقع كراهية ، لفضحها وترحيلها عن الشارع ، لأنها ، فى نظرهم ، تمثل وصمة عار

[1] – يوسف الشريف (الأقدام العارية) . منشورات الدار العربية للكتاب . طرابلس / تونس . ط 1978/2م . وقد نشرت قصة (الباب الأخضر) لأول مرة فى مجلة (الرواد) . العدد 4 –السنة الثانية– إبريل 1966م .

ضد كل من ارتبط بالمنطقة بسبب من الأسباب ، يتكاثفون جميعا لادانتها دون أن يملك أى منهم برهانا ، لا لشئ سوى الشائعات والكلام المتناثر من لسان إلى لسان آخر ، ومن يملكون وثائق الادانة لايستطيعون تقديمها لانها تدينهم كطرف شريك لاتتحقق إدانة "مريومة" إلا بإدانته ، وهم أعجز وأحقر من أن يقف الواحد منهم ليدافع عن فعل ، على الأقل أن يلتزم الحياد فلا يتهم ولا يدافع ، لأنه ، من واقع الحرص على مكان أو موقع إجتماعي سيكون مضطرا للدفاع عن نفسه بإعتباره شريكا ، وربما تجاوزت مسئوليته إلى التحريض أو إجبار الطرف الآخر على إرتكاب الفعل تحت أى نوع من الضغوط .

إن هذا النموذج هو الذى يقود الرأى ويقود الفعل ضد الطرف المدان كشريك في الفعل لتجعل من الفعل المشترك فعلا كاملا ، ولتجعل من ظروف التحريض أو الإجبار الذى خضع له فعلا حرا إختياريا ، لكن "مريومة" تفتح باب منزلها الأخضر وتخرج إليهم ، تواجههم جميعا تواجه كل الشكوك والسباب والإتهامات ، والعيون المليئة بالشوق والغضب والرغبة والحسد والحقد والتشفي والذهول ، تحيط بها ولا تتكلم ، تلتفت إلى من يقودهم .. "الحاج حسن" .. تسلمه وثيقة إدانته ، مسبحته التى نسيها ليلة الأمس فى بيتها بين لحظة شوقه وحنينه ولهفته لضمها بين أحضانه ولحظة اختفائه من المسجد بعد صلاة العشاء . تنصرف "مريومة" إلى بيتها ويظل الباب الأخضر مفتوحا ، لتثبت أنها أوضح من الجميع ، وأشجع من الجميع . وأكثر نبلا من الجميع ، فهى لم تفضح من كانوا يسعون لفضحها ، ولم تنتقم ممن كانوا يحاولون ترحيلها ، ولم تدافع حتى عن نفسها ، مجرد الدفاع ، بكلمة أو بإشارة .

يستلم "الحاج حسن" السبحة ، وثيقة إدانته ، لتكشف نفسيته أمامنا وتعريه تماما ، يترنح بين جبن يعجز حتى عن مواجهة نظرتها وإستقبال ندائها لإسمه ، وبين السبحة المنتصبة أمام عينيه تذكره بأحداث ليلة الأمس التى أمضاها بين أحضانها ، وها هو الآن يقود الحملة لترحيلها بواسطة الشرطة ، ليصبح ، الزاني ، الشريك فى الفعل ، بوجهه الآخر ، الخصم ، والحكم ، والجلاد .

وبنفس المدخل الذى استهل به "يوسف الشريف" قصته الأولى (الباب الأخضر) إستهل قصته (السوط والزانية)[2] .

بنفس الإيقاع السريع اللاهث ، يدخلنا إلى قلب الحدث مباشرة ، كأنه يجعلنا نجرى ونجرى ونجرى ، لفصل مركز الصداع ونحن نلهث ، لا نكاد نحفظ توازن حركتنا ، لأن فى إنتظارنا تلك اللحظات ما يهزنا أكثر وما يوتر أعصابنا أكثر وما يفتح سمعنا وبصرنا أكثر .

[2] - يوسف الشريف (السوط والزانية) . مجلة (صوت الوطن) . العدد الرابع عشر - السنة الثانية - يناير 1989م .

كان هذا الحدث الذى إستمر فى فعله ما بين البداية والنهاية إلى أكثر من أربع وعشرين عاما ينفجر فينا فجأة ، كما تفجرت الدماء من جسد الزانية والسوط يلتف كالأفعى حول الجسد اللدن ليترك وشمه خطوطا حمراء تنزف دما ، وترسم فى عقولنا وقلوبنا سؤالا ... لماذا ؟

تبدأ القصة (الباب الأخضر) بالزحام وتتوقف بالزحام ، وتتواصل بالزحام (السوط والزانية) لتنتهى أيضا بالزحام ، هكذا يبدأ "يوسف الشريف" بإستجماع الناس أولا [على طول الزقاق تجمع رجال وأطفال يتطاولون بأعناقهم بقفون على رؤوس أصابعهم علهم يلمحون شيئا ، أصوات تنوعت طبقاتها تمتزج وتتصهر فتستحيل إلى صرخة تبعث الرعب فى القلب ، رجل يختبئ داخل (جرد) رقيق أبيض له عينان كعيون الأطفال ، يتحرك ببطء تحت ثقل جسمه الضخم المكور يحاول أن يسمع صوته الآخرين "لازم تطلع من الشارع" وتعلقت به العيون وكأنما هو خيط الرجاء ، تركوا له ممرا بينهم فاصبح وكأنه قائد منتصر يتفقد جنوده .

"- هذا هو الحاج حسن" .

همست بالكلمات بعض الشفاه وطواها الصمت ... طفل يهمس فى أذن زميله :

"- حق خالتى مريومة ؟ ..." .

الزقاق تغرقه رائحة أوعية الفضلات المتناثرة أمام البيوت ، الأجسام تتصادم والأيدى تتحرك وتدفع من أمامها وخلفها ، تلتقى العيون لحظة ثم تفر من بعضها تحاول أن تخفى كوامنها ...] [3] .

وكأن الزمن يبدو معدوما ، و "يوسف الشريف" يبدأ باستجماع الناس أولا من جديد بنفس الكيفية بعد ثلاثة وعشرين عاما [يتردد صوت المؤذن ، من مسجد بعيد . وتدفعها قبضة مجهولة فترتفع فى الهواء بردائها الأبيض فيبدو كشراع عصفت به ريح خريفية . يظهر ثوبها القطني مخضبا بأزهار ربيعية تغطى صحراء جليدية ، تتشبث الأصابع الرقيقة بأطرافه كأنما تخشى على أزهار الربيع ، ثم تهوى مستسلمة على الأرض تحت أقدامهم ، تتدحرج وتتكور وتختفى خلف ردائها ، الأقدام من حولها تزحف وتتصادم وتتململ ، والعيون تدور فى محاجرها كعنكبوت متوحش . يفرك مسبحة اللؤلؤ بين أصابعه ثم يتلو آية قرآنية ويرمق رجل آخر بنظرات مباركة فيخرج أوراقا ويقرأها بصوت هارب ...] [4] .

---

[3] - الباب الأخضر : ص 87 .

[4] _

من وسط الزحام القديم / الجديد تتبعث مجموعة من الشخصيات التى تترسخ أفعالها أكثر فى الوقت الذى تغيب فيه ملامحها واسماؤها ... فحشد الناس يستمر ويزداد ، "مريومة" تتحول إلى "الزانية" ، "مفتاح" إلى "هو" ، و"الحاج حسن" يصبح "الجلاد" ... يتوسع مدلول الاسم ليصبح عاما ، تتمحي صورة الفرد لتصبح صورة المجموع هى السائدة ، بنفس القيم والسلوك والاعوجاج الذى يسود حياة الفرد ، أى أن الوباء يستفحل ليصبح من الصعب أن نعرف شخصا بعينه كمحدث للفعل ، ليصبح الجميع هنا محدثين للفعل .

الحادث القديم كان مبنيا على الاشاعة ، سواء كانت صحيحة أم كاذبة ["- البارح عياد شبح راجل طالع من حوشها"] (5) . لكنه هذه المرة يصبح حقيقة ، حقيقة تم ضبطها ، حتى ولو كانت ملفقة ، والتحقيق فيها ، والخروج منها بحكم [ودعته أمام الباب تماما ، وقبل أن يغيب خلف المنعطف سمعت أحد الصغار يقذفه بكلمات حجرية ، تملكها خوف عاصف ، تلك الليلة بقيت وحدها تترقب ، إنهم يترصدون الخطأ.] (6)

الزمن ، يتكرر بنفس الكيفية [إختفاؤه من المسجد بعد صلاة العشاء] (7) والزمن لا يحمل دلالة التوقيت فقط [يتردد صوت المؤذن من مسجد بعيد] (8) إنه يشير إلى ثلاثة أشياء فى نفس الوقت ، يشير إلى المكان ، وهو المسجد ، ويشير إلى إعلان التوقيت الزمنى ، وهو موعد الصلاة ، ويشير إلى أن من يعلم الناس بكل ذلك هو المؤذن .

هذه الدلالات نستكمل صورتها بالمسبحة التى تلعب نفس الدور فى الحالتين ، لتكون دليل الإدانة فى المرة الأولى ... [إتجهت نحوه ورأى الجيع مسبحة من العاج تتلألأ تلف بها معصمها ثم تضمها فى كفها الأبيض وكأنما تخشى أن تسقط منها](9) ولتكون رمزا للقوة والسلطة فى المرة الثانية [يفرك مسبحة اللؤلؤ بين أصابعه ثم يتلو آية قرآنية ويرمق رجل آخر بنظرات مباركة ...] (10)

---

(5) _

(6) - السوط والزانية .

(7) - الباب الأخضر . ص (92) .

(8) - السوط والزانية .

(9) - الباب الأخضر . ص (94) .

(10) - الصوت والزانية .

إن التطور الذى يقلب العاج إلى لؤلؤ هو الذى يكشف تطور سلطة "الحاج حسن" لتتصاعد من مجرد التحريض للآخرين والادانة الشفاهية التى تتطور إلى إدانة جماعية فى لحظة يغيب فيها العقل ، إلى تنفيذ الحكم فى حد ذاته ، وعبر السلطة نفسها ، ليصبح بذلك المذنب هو القاضي وهو الجلاد فى الوقت نفسه ، بعد أن مر بمرحلة الشاهد ، والزمن لا يتغير ، كأنه ثابت لا يتحرك .

ففى (السوط والزانية) يقفز "يوسف الشريف" إلى نهاية الحدث ، تغيب الوجوه والأصوات ، ماعدا حفيف السوط يسقط على جسد الزانية ليترك خلفه أثرا ، والصوت الذى يرتفع ، متصاعدا بعدد الجلدات المنفذة من واحد إلى نهاية العقوبة ، يبرز الرقم فظيعا وهو يزداد بإرتفاع ضفيرة السوط وهبوطها على الجسد ممزقة الرداء الخفيف ، متوغلة فى اللحم الذى يتفتق لتتناثر قطرات الدم على إمتداد أثر السوط ، ملتصقة بالرداء الرقيق ، صابغة أطراف ضفيرة السوط ، تغيب كل الوجوه ، تغيب كل الأسماء ، فقط "هي" ، تسترجع صورا من الذاكرة ، والسوط والرقم المتصاعد ، ينبه الى واقع يحدث يتجاوز لغط الكلام وحدود الاتهام إلى التنفيذ الفعلي للعقوبة ، وكأنه يقفز من باب "مريومة" الذى تركته مفتوحا بعد مواجهتها لـ "الحاج حسن" متجاوزا كل ما حدث بعد ذلك إلى أن أتت لحظة إتمام الفعل السابق بالبدء فى تنفيذ العقوبة ، لكن دلالات الربط بين ما يحدث كمحصلة لمجمل الأحداث السابقة فى (الباب الأخضر) تبقى واضحة ، والإشارات إلى البداية والنهاية لا تتوقف .

فهذه الترتيبات المتدرجة ، من الإيحاء بالزمن نفسه ، والمكان نفسه ، والأشخاص أنفسهم بفاصل زمنى مقداره ربع قرن تقريبا ، لا تعطي فقط تأكيدا بجمود الحياة فى موقف كهذا للإستفراد بالطرف الضعيف فى فعل يحتاج حتى يتم إلى طرفين ، ذكر وأنثى ، الذى يزداد ضعفا ، مقابلا للطرف الثاني الذى ينقلب من شريك فى الفعل الى شاهد ثم قاض وأخيرا إلى جلاد ، بل تزداد قدرته وقوته وجبروته عبر مرور الأيام لتتحول مسبحة "الحاج حسن" العاجية إلى مسبحة من اللؤلؤ ، ويتحول الحكم من إدانة شفاهية وبدايات لتنفيذ الحكم على شكل حجر [يصطدم بالباب ويترك نقطة بيضاء على طلائه] [11] إلى [ضفائر السوط تلسع الهواء كثعبان بألف جناح وكشهاب مغموس فى النار يسقط على الرداء الأبيض نافذا أنيابه الرقيقة المجدولة متوغلا فى اللحم] [12] .

---

[11] – الباب الأخضر . ص (88) .

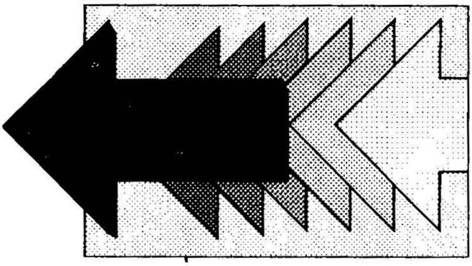
[12] – السوط والزانية .

فهل كان الطفل الذى رمى حجرا على الباب الأخضر واحدا من أصحاب الوجوه الحجرية التى تجمعت لتشاهد كيف يفجر السوط البركاني الدم ، ساخنا ، من جسد المرأة؟ ...

ربما كان الأمر كذلك .

ربما كان صاحب السبحة ، أو الجلاد ، أو أى إنسان آخر ، يخرج لسانه ليلعق دما ساخنا يتفجر من جسد إمرأة ، كان إسمها يوما "مريومة" .

فالطفل قد لقن الدرس صغيرا ، فأصبح الدرس نقشا ، وأصبح الطفل حجرا .



الوحدة العربية

والتيارات الثقافية الاقليمية

تيسير بن موسى

المؤرخ العربي المرموق الاستاذ الدكتور "شاكر مصطفى" ، بدأ محاضرته التي القاها في شهر الكانون / ديسمبر من عام 1950 بدمشق حول "العرب في التاريخ" بدأها بقوله : ((صدقوني اذا قلت ، اني أشعر بالخجل وبالخجل الشديد ، اذ اضطر في هذا البلد العربي للتحدث عن حقيقة أمتي العربية ، وعن مكانتها في التاريخ ، وللعرب وراء كل حجر فيها، وفي كل عطفة ، أثر خالد وذكرى ضاحكة . صدقوا خجلي ، فإني اخجل لنفسي ان أناقش ، واخجل لغيري ان يشك أو يجهل اويدس ، او ان يستعمله الاجنبي للشك والجهل والدس)) .

واسمحوا لي ان استعير ما قاله استاذنا الفاضل الدكتور شاكر مصطفى ، فأنا مثله اخجل من الحديث عن بعض من ابناء هذه الامة العريقة الاثيلة الجذور ، حين يكابر ويفتري ويدس ويكذب ، على امته العربية وعن اهمية وحدتها ، وعلى امجاد تاريخها وعظمة حضارتها ، هذا البعض الذي سر ولا يزال يسير وراء عواطف طفولية ساذجة ، وأفكار بلهاء حمقاء ، طاعنا بهذه الأمة ، داعيا لفرقتها ، محطا من شأنها جارحا لكبريائها مشككا بأصالتها وعراقتها .

أذكر بأنني منذ سنوات ، كنت في زيارة لاسبانيا ضيفا على صديق ، الذي اخذني مرة في سيارته بلوحاتها الليبية ،الى مدينة غرناطة ، واثناء الطريق

لاحظنا عرقلة في حركة المرور واصبح امامنا رتل طويل من السيارات تسير ببطء شديد ، وكان يقف على جانب الطريق احد افراد شرطة المرور الاسبانية ، فسألناه بالاشارة ماذا يجري فنظر الى سيارتنا ولوحاتها ثم صاح "اوكسيدنتا" أي حادث ، ثم ألصق سبابته اليمنى مع سبابته اليسرى وحركهما حركة فهمنا منها ان صاحب الحادث هو شقيق لنا ، فأخذت أنا وصديقي نتساءل عمن يكون ذلك الليبى صاحب الحادث ، وبعد حوالي ربع ساعة ونحن نسير ببطء وصلنا الى مكان الحادث ، فوجدنا ان السيارة صاحبة الحادث لم تكن ليبية بل مغربية ، فقلت لصديقي : تصور يأخي ان ذلك الشرطي الاسباني الذي لا يتجاوز تحصيله العلمي الشهادة الاعدادية على اكثر تقدير ،لم يخالجه شك للحظة واحدة بأننا نحن الليبيين والمغاربة وكذلك الجزائريين والتونسيين والشوام والمصريين وسكان جزيرة العرب اشقاء واخوة ومن نسيج واحد ، بينما حكام العرب وعدد من يدعون التبحر بالعلم والفهم ، يرفضون ذلك ، وقد اقاموا الحدود والسدود بيننا ، وابتدعوا الذرائع والحجج لتثبيت تلك الحدود ، وللقول بأن الوطن العربي تشغله أمم واقوام مختلفة متباينة ، وليس بأمة واحدة وعرق واحد وجنس واحد ، بآمال وتطلعات وأحلام واحدة وبتاريخ ولغة وثقافة واحدة.

ان الاقليمية السياسية والاجتماعية والثقافية في وطننا العربي هي – في تقديري – ظاهرة مستحدثة ، ومن امراض عصرنا الحاضر ، لم تعرفها الاجيال العربية السابقة بتلك الحدة ، وبذلك التشبث ،والتباهي والتفاخر ، وهذا لا يعني ان التاريخ العربي لم يحفل بدعوات انفصالية ، لكن انفصاليتها حصرت في القمة فقط ولم تمس ، خصوصا في وطننا العربي الكبير بمشرقه ومغربه ، القواعد السكانية ، وما كان احد يتجرأ على القول بأن سكان العراق هم غير سكان الشام او مصر او المغرب ، كما ان الدول الانفصالية التي ظهرت على مسرح التاريخ القديم ، كانت ترتبط بسبب او آخر ببغداد مركز الخلافة العباسية حتى بعد ضعفها وذهاب هيبتها وسطوتها ، فالدولة الايوبية مثلا التي اسسها صلاح الدين الايوبي في مصر والشام ، لم تتخذ صفة الشرعية ، الا بعد حصولها على موافقة رسمية في شكل مرسوم من الخليفة العباسي ببغداد ومع انه كان مرسوما شكليا يمنحه الخليفة ، طمعا في مال او اقرارا لامر واقع ، الا انه كان بنظر الجميع يعتبر اساسا لامتلاك تلك الدولة الانفصالية الصفة الشرعية الرسمية لقيامها وحكمها ، وحين كان يعجز الحاكم على اخذ تلك الموافقة من بغداد يعتبر من العصاة المتمردين ، ويضطر للتنحي كما حدث مع الملكة شجرة الدر ، حيث رفض الخليفة

العباسي حكمها لمصر ،فاضطرت للتنحي لغيرها وهو السلطان عزالدين ايبك ، كما ان حدود هذه الانفصالية تنحصر فقط فيما يتعلق بالسيادة السياسية والعسكرية وعدد من الامور المالية كجبي الضرائب وغيرها ، اما فيما يخص الجوانب المتعلقة بالمواطنين كحرية التنقل والاقامة والعمل وتبادل السلع التجارية والمحاصيل الزراعية وكذلك التمازج الثقافي والتبادل المعرفي، فقد كانت بمنأى عن تدخلات السلطات الانفصالية ، فكان الفرد في السابق في ظل تلك الدويلات المتعددة ، ينتقل بين ارجاء الوطن العربي كله بحرية وبلا اية تعقيدات حدودية او جمركية ، وكثيرا ما نجد حين نطالع سيرة أو حياة علم من أعلام الثقافة والعلم والفن ، أن المترجم له ولد مثلا في بغداد والتحق بمجالس العلم في الازهر بالقاهرة ، وتزوج من دمشق ، وعمل قاضيا في قرطبة وتوفي في فاس ، الى غير ذلك من الامثلة المشابهة التي حفلت بها كتب التراث.

وقد عرف العرب قديما ما عرف باسم الشعوبية وهي حركة مناهضة للعرب ، وقد حمل لواء هذه الدعوة الشعوب غير العربية التي كانت خاضعة للسلطة العربية ابان امتداد الدولة العربية الاسلامية من الصين شرقا حتى حدود فرنسا غربا وحين ضعفت الدولة العربية المركزية ، كان من الطبيعي ان تعود تلك الشعوب غير العربية لقوميتها وأرومتها ودولها الخاصة بها ، وهو أمر تحتمه عوامل عرقية وحضارية موضوعية لا مجال لنكرانها او التغاضي عنها ، لكن الامر يصبح مختلفا بما جرى ويجري داخل حدود وطننا العربي الكبير ، المتجانس عرقا ولغة وتاريخا وطباعا وعادات حيث يجابه الآن دعوات انفصالية اقليمية لا تقوم على اساس علمي موصوعي بل على نزعة عاطفية ومصالح أنانية، وكما يرى الاستاذ "عبدالله الريماوي" فإن الاقليمية ظاهرة اجتماعية استثنائية وفوقية ومركبة تتجسم في الولاء النفسي لواقع سياسي من نوع خاص هو التجزئة السياسية في امة واحدة ؛ بما تمثله هذه التجزئة من كيانات سياسية جزئية متعددة وبما تعبر عنه من مصالح مادية ومعنوية ، لذا فإن عبارة اقليمي تطلق على كل من وجد مصالحه الذاتية الانانية مرهونة ببقاء الكيان او الجزء المنفصل عن الوطن الكل ، وقد تشكلت طبقة او شريحة في كل اقليم عملت على ترسيخ التجزئة حرصا على دوام مصالحها الانانية الآنية على حساب الصالح العام للأمة العربية ، وكما اشرت سابقا أن الاقليمية في المجتمع العربي هي حركة مستحدثة يمكن ان نعزو نشوءها وتطورها ونجاحها الى العوامل التالية : -

1- العصبيات العشائرية والاقليمية التي اطلت برأسها على الساحة العربية في غياب دولة مركزية قوية .

2- استفحال النظام الاقطاعي في عدد من المناطق العربية كمصر وبلاد الشام ، مع تردي الحياة الاقتصادية والاعتماد على الاقتصاد المغلق وقطع الروابط الاقتصادية والتكامل الاقتصادي بين اجزاء الوطن العربي الكبير .

3- وقوع الوطن العربي شبه الكامل للسيطرة الاستعمارية الغربية ، وهذا العامل يعتبر من أهم العوامل التي دفعت بالاقليمية الى هذه الدرجة الخطيرة التي نراها عليها اليوم لذلك سأفرد عدداً من الأسطر لهذا العامل.

لقد جاء الاستعمار الاوربي الغربي في العصر الحديث ليساهم في تقطيع اوصال الوطن العربي وتقاسمه بين دول اوربا ، وذهبت كل دولة من الدول الاستعمارية الى الامعان في تجزئة القسم الذي اصبح من نصيبها الى دويلات وامارات ومشيخات ، حتى يسهل عليها السيطرة عليه حسب قاعدة "فرق تسد" ولعل ذلك المخطط الخبيث يبرز جليا في بلاد الشام والجزيرة العربية فبلاد الشام كانت تشكل وحدة اقليمية متجانسة في كل شئ وذلك حتى عام 1920 من هذا القرن فاذا بفرنسا وانكلترا ، اللتين استعمرتا هذا الاقليم ، تقومان بتقسيمه الى دويلات ، صغيرة قزمية واطلقت على كل دولة اسما اخذته من تسمية عارضة في التاريخ كسوريا مثلا ولبنان وفلسطين ، او من موقعها الجغرافي كشرق نهر الاردن واختصارا اصبحت شرق الاردن وفي الجزيرة العربية احيت النعرات القبلية والجهوية ، فخرج الى الوجود الكويت وقطر والبحرين وعمان وعجمان والشارقة وابوظبي ودبي والعين ويمن شمالي ويمن جنوبي ، والحجاز ونجد ، وفي الشمال الافريقي فصلت السودان عن مصر واوجدت ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وصنعت لكل دويلة ومشيخة وامارة ، حدودا وعلما ، ونصبت عليها ملكا او اميرا او شيخا او رئيسا . ومعظم هذه الدويلات ان لم يكن جميعها لم يسمع باسمها لا العرب ولا العالم الا في بدايات هذا القرن حين حط على ارضنا المستعمرون الاوربيون ،ونرى فرنسا لم يكفها فصل سوريا عن لبنان ، بل عمدت الى تجزئة سوريا نفسها الى دويلات اربع وهي : دولة دمشق ، ودولة حلب ، ودولة العلويين ، ودولة الدروز ، لكنها عادت وجمعتها في دولة واحدة هي سوريا الحالية لان ذلك راته في مصلحتها ، كما سلخت لواء الاسكندرون من الوطن العربي وقدمته هدية لتركيا .

أما الانكليز فقد منحوا فلسطين لليهود ، بعد ان سلخوا عنها صحراءها الشرقية ليقيموا عليها امارة ومن ثم مملكة شرق الاردن ، كما سلخوا اقليم عربستان في شرق العراق ومنحوه لايران ، وللأسف فقد نجحت هذه الدولة الاستعمارية فعلا في خلق صيغ اقليمية سياسية واجتماعية واقتصادية ، كما

ربطت مصير بعض الفئات من خلال مصالحها المادية والزعامية بالتجزئة ، ونجحت ايضا والى حد بعيد في تحريك تيار فكري يسوغ الوجود الاقليمي الانفصالي ، ويحارب الوجود القومي العربي للامة العربية ، حمل لواءه مجموعة من المثقفين العرب ، وفي يقيني ان هذا التيار الفكري هو اشد خطرا من أي قوة اقليمية اخرى ، ذلك لانه يسخر الفكر والمنطق والتاريخ بشكل ماكر وخبيث لتبرير التجزئة والاقليمية وترسيخها في اذهان الناشئة والاجيال كما ان خطورة المثقفين العرب الاقليميين تكمن ايضا في انهم قد جعلوا الاقليمية عقيدة ومذهبا سياسيا ، وروجوها في اطر فلسفية وتاريخية وادبية وفنية ، وفق خطة مدروسة ماكرة ، وقد سقط عدد لا يستهان به من شباب العرب في حبائل هؤلاء وافخاخهم وبناء على ما تقدم سأركز ما تبقى من حديثي على هذه الظاهرة الثقافية الاقليمية الانفصالية ، وسأستشهد بإثنين من اولئك المثقفين الاقليميين وما قاموا به من اعمال لترسيخ الانفصال والاقليمية في اجزاء من وطننا العربي ، والاول من هؤلاء هو خالد بكداش في سوريا ، والثاني مريت بطرس غالي في مصر ، فالأول واسمه الكامل "خالد بكداش قوطرش" . وقوطرش اسرة حلت بدمشق مهاجرة اليها من منطقة كردستان وسكنت مع قوافل من الاكراد المهاجرين في سفح جبل (قاسيون) مشكلين قرية صغيرة تحولت الى حي من احياء دمشق ، وبعد اتساع هذه المدينة حمل اسم حي الاكراد ثم تحول هذا الاسم في عهد الوحدة السورية المصرية في عام 1958 الى حي ركن الدين ، ولازال يعرف بهذا الاسم حتى اليوم ، وتميز خالد بكداش بثقافة واسعة واتقانه للغة الكردية واللغة الفرنسية وتمكن كامل باللغة العربية مع شخصية قوية نافذة وبراعة في فن الخطابة والاقناع وقد تشرب المبادئ الماركسية اثناء دراسته بفرنسا ، وانضم للحزب الشيوعي السوري اللبناني عام 1929 . ومعروف ان هذا الحزب قد اسس في عام 1924 وكان مؤسسوه الاوائل يوسف يزبك ، وفؤاد شمالي ، وأرتين مادويان ، وجاكوب تيبر وهو يهودي جاء الى لبنان من فلسطين ، وهيكازون بودياجيان. وافتتح فروعاً صغيرة له في عدد من المدن اللبنانية والسورية ، ونجح خالد بكداش خلال فترة قصيرة من فرض شخصيته القوية على اعضاء الحزب وفي عام 1932 انتزع لنفسه رئاسة الحزب وامانته العامة وظل هكذا حتى اخريات ايامه ، كما نجح في ان يصوغ سياسة الحزب وفلسفته ومنطلقاته وفق رؤياه الخاصة ووفق قناعاته وميوله واتجاهاته . وبالطبع لسنا في هذا المقام معنيين بالتعرف على هذا الحزب ونشاطاته السياسية فالذي يهمنا هو موقفه من قضية العروبة وللوحدة العربية .

لقد إتخذ هذا الحزب بقيادة خالد بكداش موقفا معاديا منذ بدايات تأسيسه لقوميته العربية ، ولاشك ان الجذور الكردية التي يعود اليها خالد بكداش لها دور كبير فى توجه الحزب الشيوعي السوري هذا التوجه ، كذلك ماذا ينتظر ان يصدر عن اعضاء قيادته الآخرين الذين منهم الارمني واليهودي .. لنقرأ مثلا ما قاله خالد بكداش في كتابه "طريق الاستقلال" الذي اصدره في عام 1939 بالصفحتين 6 و 7 حيث يقول بالنص :"... ان الوضع الجغرافي الذي يفصل بين سورية والجزائر او بين العراق ومصر ، سيظل فاصلا بينهما وهو قد اثر ويؤثر على تطور كلا القطرين وعلى ثقافة كل منهما وحياته الاقتصادية وعقليته وبنيانه النفسي" ثم يقول :"ان اللغة المشتركة ووحدة الآمال والأماني، التي يعتمد عليها دهاة القومية العربية في تعريفهما ، لو كانتا كافيتين لتأليف الأمة لأصبح الانكليز وأمريكيو الشمال أمة واحدة ، اذ ان كلا الشعبين يتكلمان اللغة الانكليزية ولهما آمال وأماني واحدة هي بلوغ حياة تؤمن لهما الحياة والحرية والخبز وعلى العرب تنوير اذهانهم حول القضايا التي يجابهونها تبعا لخصائصهم القومية التي تكونت وتتكون فى كل قطر من اقطارهم" ، والقارئ لما قاله خالد بكداش يكتشف اسلوب التحايل اللفظي الذي امتاز به هذا السياسي الماركسي ، حقا ان العراق لا يجاور مصر وسورية لاتجاور الجزائر . لكن من هي الاقطار التي تفصل بين العراق ومصر أليست سورية وفلسطين وهما عربيتان وايضا ما هي الاقطار التي تفصل بين سوريا والجزائر أليست فلسطين ومصر وليبيا وتونس وهي جميعا اقطار عربية وسكانها عرب بجوهر واحد ولغة واحدة ، وان هذه التقسيمات القطرية السياسية هي تقسيمات مصطنعة من مخلفات الاستعمار الاوربي لوطننا العربي ، اما عن اللغة والامال والتطلعات المشتركة ،فخالد بكداش يلجأ ايضا لذلك الاسلوب الاحتيالي الماكر ، ويشبه وضع الانكليز والامريكيين بالامة العربية وهو يعلم ان الامريكيين خليط من اقوام وامم شتى وانهم استعاروا اللغة الانكليزية كوسيلة لتوحيدخطابهم ، وفيما يتعلق بالآمال والأماني ، فيحصرها بالسلام والحرية والخبز ويتجاهل تفرد العرب بتطلعاتهم للوحدة والتحرر واستعادة مجدهم الحضاري القديم.

لقد ركب خالد بكداش ظهر الماركسية ودعوتها للأممية الشيوعية ، ليروج من خلالها عقيدته الاقليمية بل قل الشعوبية . وللحقيقة فإن الماركسية الشيوعية ما كانت يوما ضد القومية او متجاهلة لفاعليتها في بناء المجتمعات ، ف "ستالين" الذي يعتبر واحدا من أهم مؤسسي المجتمع الماركسي الشيوعي في روسيا يحدد اربعة مقومات لبناء القومية وهي: اللغة المشتركة ، الارض المشتركة ، الحياة الاقتصادية المشتركة

، التكوين النفسي المشترك* ، وهذه المقومات الاربعة تنطبق على مقومات امتنا العربية بالضبط وقاعدتها الصلبة ومما يؤكد ايضا عدم تجاهل المذهب المركسي للقوميات ، هو ان دولة الاتحاد السوفييتي في روسيا كانت دولة اتحاد وليست دولة وحدة ، ومكونة من تجمع خمس عشرة جمهورية ، لكل منها قوميتها المتميزة ولغتها الخاصة وان كان الولاء للشيوعية يجب ان يتصدر أي اعتبار آخر ، كما اعتمدت اللغة الروسية لغة رسمية للإتحاد مع الاعتراف لكل جمهورية بحقها بتدبير شؤون حياتها الاجتماعية والثقافية بلغتها الخاصة . كما ان الاحزاب الشيوعية في بلدان اخرى ، لم تتخل عن قوميتها ووطنيتها كالحزب الشيوعى الفرنسي والحزب الشيوعي الايطالي وهما من اكبر احزاب اوربا الفرعية بل كان ولاؤها الكامل لبلادها وامتها ومما يؤكد تحريف خالد بكداش للماركسية بالنسبة للقومية العربية واستغلال وجوده على راس الحزب في سوريا ولبنان ، لينفث من خلاله حقده على العرب والعروبة ، ذلك الانشقاق الخطير الذي حدث في صفوف الحزب ، ووقوف مجموعة من كبار الشيوعيين السوريين ضد تيار بكداش الشعوبي اذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، "رفيق رضا" الذي انتسب الى الحزب الشيوعي السوري منذ عام 1932 وكان ساعد بكداش الايمن قبل ان يكتشف اقليميته وقد قوي التيار العروبي داخل الحزب الشيوعي الأمر الذي دفع خالد بكداش للقيام بحركة التفاف ماكرة على هذا التيار الذي كاد ان يسقطه من على قمة الحزب ، ففي شهر الطير / ابريل من عام 1956 ، دعا خالد بكداش اللجنة المركزية العليا ، لاجراء تعديلات على سياسة الحزب وعلى منهاجه ، تبدت في اعتراف الحزب بالقومية العربية ،وتبني قضية فلسطين قضية عربية ثورية تحررية وكان تعامل الحزب الشيوعي بهذه القضية قبل ذلك التاريخ ، يشوبه الغموض والضبابية حيث كان ينظر الى قيام الكيان الصهيوني نظرة مختلفة عن النظرة العربية العامة ، وهناك اقوال منسوبة لخالد بكداش اشار اليها اكثر من مصدر يؤيد فيها قيام الكيان اذا كان نظامه ماركسيا شيوعيا : بل انه ذهب للقول بأن شيوعياً صهيونياً اقرب الى نفسه من عربي غير شيوعي ، وبهذه التعديلات نجح خالد بكداش والى حد ما من وقف التصدع في حزبه ومن المؤكد ان التعديلات هذه لم تكن سوى مناورة سياسية بكداشية ، يدل على ذلك ان هذا الزعيم الشيوعي لم يوقع على وثيقة الوحدة بين سوريا ومصر في عام

* : تعريف ستالين للقومية هذا ، قد جاء من خلال بحث مطول كتبه في اواخر عام 1912 ونشره في عام 1913 في مجلة العمال الروسية واسمها (بروشيفي شتسشيني) تحت عنوان :"الماركسية والمسألة الوطنية" وأعيد نشره في عام 1930 في مجموعة "خطب ومقالات ستالين "

1958 وكان نائبا في مجلس النواب السوري ، فقد غادر سوريا الى فرنسا قبل موعد التوقيع بيوم واحد ، وكان من اوائل من ايد الانفصال بين القطرين في عام 1961 بقوة وحماس منقطع النظير ، وبسبب هذه المواقف الاقليمية والشعوبية لخالد بكداش فان الحزب الشيوعي السوري الذي يعتبر من اقدم الاحزاب السياسية في سوريا ظل ضعيف التأثير في الشارع الشامي ولم يتجاوز عدد المنتسبين اليه منذ تأسيسه عام 1928 وحتى اليوم المئات ولا أريد أن أقول العشرات فقط بالرغم من سيل الهبات والدعم المالي المجزي الذي كان يصله من الاتحاد السوفيتي ومن معظم الاحزاب الشيوعية الاوربية الاخرى مسخرا جزءا هاما من هذه الاموال والهبات على الدعاية واصدار الصحف والمجلات .

أما الشخصية الثقافية الثانية التي دعت جهارا نهارا للاقليمية القطرية ورفض العروبة جملة وتفصيلا ، فهو الباحث المصرى مريت بطرس غالي الذي سخر منطقه وثقافته لترويج نظرية القومية الفرعونية ، وهذه الدعوة لم يبتدعها غالي بل كانت تراود افكار عدد من المثقفين المصريين أمثال : طه حسين وسلامة موسى ومحمد شفيق غربال ولويس عوض ونعمات احمد فؤاد وآخرين ،لكن دعوتهم للفرعونية لم تكن في كثير من الاحيان مباشرة وصريحة ، اما مريت غالي الذي استغل الردة القومية في زمن الرئيس الراحل انور السادات ، فنشر بحثا مطولا في مجلة السياسة الدولية المصرية في عدد ابريل لعام 1974 ، وقد اعتبرته المجلة مقالها الرئيس الاول ضمنه دعوة صريحة للمصرين لنبذ العروبة واحياء ما اسماه الشخصية المصرية الصرفة ، كما وعد قراءه باصدار كتاب يضم هذا البحث وغيره من البحوث المتعلقة بمصرية مصر والمصريين ، ومما جاء في بحثه او بالاحرى في مغالطاته وافترائه ، ان المصري يحس احساسا عميقا بالتمييز عن غيره من الشعوب التي حطت بارضه ، معتبرا العروبة في مصر كانت طارئة تتشابه في أثرها الحضاري والاجتماعي على الشعب المصري مع ما سبقها او تلاها من مؤثرات ثانوية سطحية جاءت مع الغزاة بدءا بالهكسوس وانتهاء بالعثمانيين . وقد ساق الاستاذ غالي مجموعة من الأقوال المتجنية على الحقيقة ، ومغالطات تاريخية وعلمية فاحشة ، لاثبات نظريته في القومية المصرية غير العربية ، ولنقرأ مثلا ما قاله : "من اكبر الخطأ ان نفهم العروبة على غير حقيقتها فنحملها ما ليست اهلا له ، كأن نسعى لأن نجعل منها كيانا سياسيا موحدا ، وليس من الحكمة في شئ ان ندعو لدولة تضمن البلاد العربية على اساس انها تشترك في لغة وتراث حضاري ومتقارب " وقال ايضا : "على ان الشعب المصري مع تأثيره في العروبة وتأثره بها ، فقد

حافظ على قيمه ومميزاته وخصائصه ، محافظة تشهد بها حياتنا اليومية ، كما يشهد بها الكتاب في الفلسفة والسياسة والاجتماع، فلمصر طباع وصفات ومميزات لم تأخذها من العروبة ولم تفقدها مع العروبة، والخير كل الخير ان نبقي عليها ونحاول تطويرها في قالب القومية ، المصرية .. ".

وهكذا نرى ان هذا الباحث يستغل الاختلافات الظاهرية التي يفرزها المكان والظروف الاجتماعية الطارئة ونظم الحياة التي تفرضها البيئة والمناخ ، وكذلك الاصطلاحات اللغوية التي يتعارف عليها الناس في مجتمعاتهم الصغيرة ، وهي اختلافات وفروقات نجدها بين مدينة ومدينة بل بين قرية واخرى مجاورة لها في نفس القطر الواحد ليجعل من هذه الفروقات مقومات لقومية ، ودعائم لأمة ولاشك ان الاستاذ الباحث كان يتحدث عن المجتمع القاهري فما رأيه مثلا في مجتمع الصعيد ان سكان منطقة الصعيد في جنوب مصر ، يختلفون كل الاختلاف عن المجتمع السكاني القاهري بالعادات والطباع وحتى اللهجة والاصطلاحات اللغوية ، بل ايضا بنظرهم لقضايا وأمور اخلاقية واجتماعية، ولهم اعراف وتقاليد تتعارض كليا مع أعراف وتقاليد القاهريين . وهي التي بنى عليها الباحث نظريته التي اذا وافقناه عليها لوجب ان يكون هناك قومية قاهرية ، وقومية صعيدية ، ولو قمنا بعملية مقارنة اجتماعية بين عادات وطباع سكان المنطقة العربية لوجدنا ان طباع سكان الشام وعاداتهم اقرب الى سكان القاهرة من طباع سكان الصعيد وعاداتهم وان هؤلاء الآخرين يلتقون في هذه الطباع مع سكان الجزيرة العربية ، وهكذا ...

وبعد فإني لا ابالغ اذا قلت بأنه لم يحفل تاريخ أمة من أمم الأرض ، عبر كل العصور ، بما حفل به تاريخ الأمة العربية في كثرة اعدائها ، وتعدد محاولات القضاء عليها وكسر شوكتها سواء من داخل هذه الأمة ام من خارجها ولازالت هذه المحاولات العدائية الظالمة لأمة العرب متواصلة حتى يومنا هذا ، وليس هناك في الافق ما يشير الى ان هذه المحاولات ستتوقف في المستقبل ، خذ انكلترا مثلا ، لقد حط استعمارها رحاله على العديد من بقاع العالم منها اجزاء من وطننا العربي ، لكن ما فعلته من جرم وظلم تجاه الأمة العربية لم تفعله في أي مكان وصل اليه استعمارها ، فهذه الدولة الاستعمارية علىسبيل المثال استعمرت الهند ، ومع ان هذه الدولة تضم العديد من الأقوام المختلفين لغة وأرومة ودينا ، فلم تحاول ان تخلق منها امما ودولا وأقطارا متخالفة متنابذة متصارعة وكان بإمكانها فعل ذلك بسهولة . بينما نراها قد قسمت ارضنا العربية كما سبق ان قلت المتجانسة قوميا وتاريخيا واجتماعيا وثقافيا ، قسمتها الى مربعات ومستطيلات واشباه منحرف جاعلة من

كل قسم دولة بحدودها وعلمها ونشيدها مطلقة تلك الاقلام الحاقدة التي ركبت متون العلم لترويج وترسيخ تلك الدعوات الاقليمية المريضة التي في عقول الشباب ، وتاركة العرب يغوصون داخل مستنقع أوحال الاقليمية يدورون ويدورون بدون ان يهتدوا الى طريق الخروج من هذا المستنقع ، وطرح تلك العوائق المادية والنفسية التي تقف في طريق وحدتها وقوتها وعزتها .

واخيرا ان الشكل الطبيعى الوحيد الذي يجب ان تأخذه الامة العربية هو اقامة دولتها الواحدة القوية ، منطلق تطورها واساس تقدمها وطريق تحررها ، وهذا هو واجب اجيال هذه الامة المتخنة بالجراح .... واجبهم الاول والاخير ، يتصدر صفوفهم ، ولاشك ، رجال العلم والثقافة والقلم في طول الوطن العربي الكبير وعرضه .

إقرأ

في العدد القادم

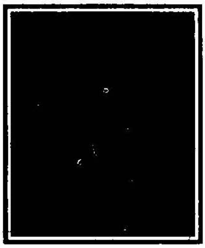
ظاهرة تداعي الحروف في النص العربي الادبي

دراسة للدكتور عبدالآله الصائغ



مصطفى الأمير

و



فرج قنـــاو

الإتجاه الواحد والتفريع المستقل

بقلم : أحمد عزيز

التدفق المسرحي لدى الكاتب الليبي مصطفى الأمير له مايبرره ، وتواصل عطائه المستمر لم يأت من فراغ أو تمطيط لتولدات محدودة ، مصطفى الأمير افراز للمدينة القديمة بمعطياتها المتماوجة وبموروثها ومتناقضاتها ، اعتمر داخله بكل هذه المكونات فكان كاتبا شعبيا يعبر عن هذه البيئة بتطلعاتها ومآسيها ، وكان لاستشرابه لكل هذه الموحيات أثر كبير على خطه الدرامي وأسلوبه المسرحي وحضوره المتواصل ومواكبته للطفرات الاجتماعية المتباينة .

إن الذى يقرأ مسرح مصطفى الأمير يستشف مباشرة الاشعاعات الشعبية المنبعثة من المدينة القديمة التى تفاعل فيها ومعها ليمتلئ وجدانه من خلال حساسية التلقى ولصالح العطاء المفيد .

إن مسرحيات مصطفى الأمير الأولى هى خلاصة مستفادة من كثير من التجارب المسرحية العربية التقليدية التى قوامها تسطيح الشخصية دون الدخول إلى أغوارها

والاهتمام فقط بالاستعراض الصوتى الذى يشد الانتباه ويفوت فرصة الالتفات إلى كنه الشخصية ، لكن خطه المسرحى تحول فيما بعد عن هذا التوجه وانطلق يسعى لتحقيق التماثل التام لابعاد الشخصية المسرحية .

خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن حرص مصطفى الأمير على ملامسة الواقع الليبى وممارسة التعصير بمقياس ذلك الزمن من خلال ابداعه المسرحى ، فكانت له نتاجات عديدة نجح أكثرها فى أن يصل إلى وجدان المواطن وتنبيهه إلى أشياء كثيرة بل تحريضه فى بعض الأحيان على التمرد على السائد الراهن وقتها . ولنا فى مسرحيات "كل شئ يتصلح ، اللى تظنه موسى ، حلم الجيعانين ، مايصح إلا الصحيح ، بين يوم وليلة ، مايقعد فى الوادى ، عكوز موسى" وغيرها خير مثال لذلك .

إن مصطفى الأمير يعد بحق أحد العلامات المتميزة فى تاريخنا المسرحى وقلم حساس راصد للظواهر الاجتماعية وقناص ماهر للمشكلات الاجتماعية .

وبقدر مااستأثر مصطفى الأمير بهذه الأهمية بقدر مانجد كاتبا آخر هو فرج قناوة ولج عالم المسرح فى بلادنا مع أواخر الستينات لكنه لم يكن فى انطلاقه حالة طارئة على عالم الابداع ولاهو بكاتب احترف رص الكلمات ولظمها فى شكل حوار فارغ الدلالة أو الايحاء .

إن لفرج قناو رائحة خاصة تتناهى من خلال مسرحياته ذات النسيج الاجتماعى الذى يحتفظ بين ثناياه بالعديد من القيم التى تفرض نفسها على كل التجاوزات التى تتعزم ثم تتلاشى أمام منطقة التناول فى لهجة رفيعة معبرة موصلة .. لهجة - كما يقول الفنان عبدالله الزروق الذى أخرج أغلب مسرحيات فرج قناو - "لاتعرف استدراج المشاهد الى الضحك القسرى " وإنما تركز على اختيار المفردة ذات الدلالة والمعنى العميق الذى ينفذ الى وجدان المتلقى بمثل ماينفذ الى عقله . إن فرج قناو كاتب يجرى المسرح فى عروقه .. كان عاشقا للمسرح وكان يجد نفسه دائما فى مسرح الأسرة ، راصداً

للعلاقات الأسرية بايجابياتها وسلبياتها داخل مجهره المسرحى .. يعيش معها وتتفاعل معه .. يرقبها ويتابع تفجرها .

لقد قدم فرج قناو وعلى مدى مسيرته التى تجاوزت الربع قرن عددا من الأعمال المسرحية التى استرعت الانتباه وكشفت عن كاتب قادر يحذق صنعته . فمسرحيات "حوش العيلة " و "هجالة ومية عريس" و " متزوج سبعة"و"البنت اللى قالت لا " و"اخطى راسى وقص" و "بشرى" و "اللى اتديره تلقاه" وغيرها تدل على ان قناو استطاع ان يرسخ نفسه ككاتب مسرحى يجيد اختيار موضوعاته ويحسن صياغتها دراميا.

هذان الكاتبان مصطفى الأمير وفرج قناو اهتما اهتماما ملحوظا بالمسرحية الاجتماعية وأعطا لهذا النوع من المسرحيات خلاصة ابداعهما وعصارة افكارهما ، بل انهما من اكثر كتابنا التصاقا بدراما الأسرة ومع ذلك كان لكل منهما طريقته فى التناول وأسلوبه فى طرح قضاياه وقدرته على إدارة حواره .

ولكن أين يلتقيان ؟ وأين يختلفان ؟

بتصورى أن هناك نقاط التقاء عديدة تجمع الكاتبين :

- فكلاهما داخل اطار المسرحية الاجتماعية اتخذ من الأسرة مجالا لابداعه ، فأغلب مسرحيات مصطفى الأمير ان لم يكن جميعها مكرسة لمحيط واحد هو محيط الاسرة حيث نسج خيوط موضوعاته من العلاقات التى تربط أفراد الأسرة سلبا وايجابا . وهو نفس مافعله فرج قناو إذ أنه عادة ماكان يحيط مداره الدرامى بفيض من الصراعات العائلية وتضارب النوازع والأهواء فيها .
- وكلاهما اعتمد على شخصيات محورية وردت فى عدد من أعماله المسرحية .. شخصية "الطيب"،"شلنده" "الحاج" عند مصطفى الأمير . وشخصية "أبوغديلة"و"هرودة"و"تبره"، و "المرداس" عند فرج قناو .

ويكاد يكون منطق هذه الشخصيات واحداً فهى إما شخصيات خيرة تعمل على كشف المستور من العلاقات غير السوية وتواجه أركـان الظلـم والفسـاد والاستغلال والجشع وإما شخصيات تشعل فتيل الشر وتغلب أطماعها ونزعاتها الانتهازية والموصولية دون اكتراث بالقيم والأخلاق والمصلحة العامة .

- إن أبرز مافى مسرح مصطفى الأمير حوار شخصياته الذى يتناهى إلينا فى صفاء عفوى وفى تلقائية وانسياب لانكاد نتمثله حقيقة بتأثره وعذوبته وتدفقه وتفجره إلا من خلال خشبة المسرح .

وقد جاراه فرج قناو فى إدارة الحوار فى تلقائية وتدفق عجيبين من خلال الاعتماد على مخزون لغوى زاخر فمصطفى الأمير تأسس على ارث تراثى هائل زخرت به المدينة القديمة التى عاش فيها فتشبع بلهجتها ونهل من عاداتها وتقاليدها واستوعب كثيرا من حكم وأمثال وأقوال أهلها وقد انعكس هذا فى كتاباته المسرحية. إذ لانجد مسرحية من مسرحياته تخلو من هذه الحكم أو الأمثال والأقوال بل امتد هذا إلى عناوين مسرحياته "مايقعد فى الوادى إلا حجره" "حوت ياكل حوت" ، "اللى تظنه موسى يطلع فرعون" ، "حلم الجيعانين" من "حلم الجيعان عيش" وغيرها .

بينما نجد فرج قناو القادم إلى المدينة من منطقة الساحل "الريفية" يدعم موروثه الريفى بمد هائل من تراث المدينة نهل جزءا كبيرا منه من منجم الفنان الراحل محمد حقيق الذى ارتبط معه لفترة طويلة بعلاقة صداقة وتبنى -ان صح التعبير- فأثر ذلك بشكل كبير فى ابداعه سواء كان المسرحى أم الإذاعى وبذلك جاء حواره معمقا زاخرا بالأقوال والتعابير الشعبية التى تجمع المدينة بالريف .

- كلاهما أيضا اعتمد على ممثل واحد تتمحور حوله أحداث المسرحية ويكون بالتالى الشخصية اللافتة والممسكة بخيوط المسرحية فبقدر ماكان مصطفى الأمير يسند أداء

هذه الشخصية إلى الفنان محمد شرف الدين بقدر ماكان فرج قناو يسند أداء شخصيته الرئيسية إلى الفنان فتحى كحلول .

فقد ظهر شرف الدين بطـلا لأغلـب مسـرحيات مصطفـى الأمـير بينمـا كـان فتحـى كحلول بطلا لأغلب مسرحيات فرج قناو .

- كذلك دراما الأسرة التى رفع لواءها فى مسـرحنا الفنـان مصطفـى الأمـير ، وتواصـل معها الكاتب فرج قناو ، لم يقتصر عطاؤها على الأسـرة الليبيـة فقـط ، بـل تجـاوزت ذلك لتشمل الأسرة العربية ككل ، وبمعنى آخر أن الكاتبين تعدّا بإبداعهما التعبير عـن القطر كأسرة إلى التعبير عن الوطن العربى الكبير وقضاياه كأسرة أكبر .

لقد كتب مصطفى الأمير مسرحية "عكوز موسى" ومسـرحية "عـروس بـلا دار" عـن القضية الفلسطينية فعكوز موسـى هـو الكيـان الصهيونـى الـذى جثم علـى فلسـطين العربية، و"عكوز موسى" هو نبات غير محمود باعتباره وفـق التعبـير الشـعبى "يشـرب المية ويضيق على الزرع" وعروس بلا دار واضح أنها فلسطين التى سلبت وشرد أهلها.

لقد حافظ مصطفى الأمير فى كتابته لمثل هـذه المسرحيات على خطـه الدرامـى فـى تفجر قضاياه من خلال الاسرة فجاءت بذات النسيج الذى حاك منه مسـرحياته التـى تناولت قضايا الأسرة فى مجتمعنا .

وفرج قناو هو الآخر كتب أعمالا مسرحية فى ذات الإطار - إطـار درامـا الأسـرة - خرج بها إلى الدائرة الأسرية الكبيرة .. دائرة الأمة العربية فكتب فيما كتـب مسـرحية "حوش العيلة" ومسرحية "هجالة ومية عريس" .فحوش العيلة واضح أنه الوطن العربى الكبير حيث دعا من خلالها إلى حتمية الوحدة وضرورتها كما كـانت "الهجالـة" فـى مسرحية "هجالة ومية عريس" هى فلسطين .

وإذا كانت هذه نقاط التقاء بين الكاتبين مصطفى الأمير وفرج قناو وهما المنتميان لمدرسة واحدة والمنتجان فى فرع واحد من فروعها فإنه بدون شك هناك نقاط ابتعاد ميزت كل واحد منهما عن الآخر وأعطت لكل واحد بصمته الخاصة به ولعل هذا ماأثرى أبداعهما ولونه .

- وأول وجود الاختلاف أن بداية مصطفى الأمير الحقيقية فى رحلته مع المسرح كانت فى مطلع الخمسينات وكان خلال تلك الفترة وقبلها قد شاهد العديد من الفرق المسرحية العربية والأجنبية التى جاءت الى ليبيا لتقديم عروضها المسرحية فأبهره ذلك وأثر فيه وقد ظهر هذا واضحا فى النصوص المسرحية التى كتبها . حيث حفل عدد منها بالمنولوجات المطولة والشخصيات النمطية وهو ماكن سائدا خلال الفترة التى كان يتكون فيها مصطفى الأمير ككاتب مسرحى ، بينما غابت هذه المنولوجات فى مسرحيات فرج قناو لكون أن فرج قناو قد ولج عالم الصحافة من خلال التحاقه كمصحح بجريدة (الشعب) التى كان يصدرها الأستاذ على مصطفى المصراتى ثم تحول الى كاتب صحفى نشر مقالاته بصحيفة الشعب وعدد من الصحف والمجلات المحلية وهذا ماجعله فى كتابته للمسرح يبتعد عن الاسترسال والإطناب وصياغة المنولوجات المطولة باعتبار أن ذلك يتعارض مع طبيعة العمل الصحفى فلا نجد مسرحية من مسرحياته حفلت بأى شكل من أشكال الإطالة بل كان دائما حوار شخصياته فى أقصر الجمل وأدق المعانى .
- وكان لاجادة مصطفى الأمير اللغة الإيطالية أهميتها الكبيرة فى اطلاعه على المسرح الايطالى وقراءة الكثير من المسرحيات الكلاسيكية وخاصة مسرحيات "جولدونى" فاستفاد من هذا المسرح فى صياغة بنائه المسرحى وتطور حرفيته المسرحية ، بينما اعتمد فرج قناو على اطلاعه العربى والعالمى المترجم إلى العربية وقراءاته الواسعة لنصوص نعمان عاشور ، وسعد الدين وهبة وهو ماأفاده كثيرا فى تطور أسلوب

الكتابة النصية لديه ودعم فهمه لبناء الشخصية المسرحية وصياغتها الفنية وإدارة الحوار المسرحى .

- وبقدر ماركز مصطفى الأمير جل كتاباته حول المشكلات الاجتماعية وماأحاطها به من أجواء مدينته القديمة (طرابلس) ، بقدر ماجاءت شخصياته المسرحية مدينية تغيب عنها الشخصية الريفية والبدوية .

وهذا التخصيص تعداه فرج قناو باعتباره وافدا على المدينة من الريف ، فاستطاع ان يقدم فى مسرحياته شخصيات تنتمى ليس فقط لمجتمع المدينة ولكنها إلى جانب ذلك جاءت شخصيات ريفية بدوية اندمجت فى النسيج العام للقضايا التى طرحها فى مسرحياته وكان لها دورها فى تفعيل موضوعات هذه المسرحيات وإظهار الاتصال بين المدينة والريف ومايمكن أن يتفجر عبر هذا الاتصال من مشكلات عائلية نتيجة معطيات جديدة ، وكيف يمكن إذابة هذه المشكلات من خلال المعالجة الدرامية والترجمة الفنية لهذه الموضوعات .

وفى كل الأحوال يبقى مصطفى الأمير وفرج قناو اسمين لهما أهميتهما الكبيرة على خريطة مسرحنا ، ولهما دورهما الكبير فى إثراء حركتنا المسرحية واسهامهما الواضح فى تكوين أجيال من المسرحيين الذين يمارسون حضورهم المسرحى كتابا أو ممثلين أو مخرجين وذلك ماسجله تاريخنا المسرحى الحديث .



التغير الإجتماعي الثقافي

* محمود الهتكي

توضيح :

هناك يقين بان لكل شئ جاذبية .. مهما كان حجم هذا الشئ ، ومن هنا –وبدون إطالة– استطيع القول :

بأن للوطنية جاذبية تضاهي جاذبية الشمس ان لم تفقها ، وهذا الأمر يجعلني اوكد بأن للقومية جاذبية ربما فاقت جاذبية الوطنية فى كثير من الأحيان .

فإن كان الأمر كذلك : فكيف يمكن الأفلات من هاتين الجاذبيتين ؟ لقد حاولت أن اقوم بذلك ، غير اننى وجدتنى او وجدت نفسى امزج بينهما ، او هما تداخلتا دون ان انتبه الى ذلك ، او اننى انتبهت ولم احرك ساكنا ، لكون الامور متلاحمة لدرجة الأتحاد ، بمعنى لا يمكن التفريق بين الوطنية ، والقومية ، والمرحلة الثالثة كما اسماها المرحوم جمال عبد الناصر ، واطلق عليها المفكر مالك بن نبى : خط طنجة جاكرته – ذلك هو موضوع : التغير .. الأجتماعى .. الثقافي .

تنبيه :

من المواريث المنهجية "الوافدة" والمسربة بين جمهرة من يجيدون استعمال سلاح الفكر "منهج الفكر المادي" الذى ترعرع فى عصرنا بين احضان : ماركس .. فرويد .. دوركايم .. ليفى برل . وللمزيد : عليكم ببروتوكولات صهيون

، وهذا المنهج حاول ويحاول تطويع واخضاع العلوم الإنسانية الى هيمنة قوانين العلوم الطبيعية .

ولكي نقترب من معرفة الواقع الذى نبغى ، لابد من معرفة المنهج المتبع فى اسلوب البحث .

فالإعتماد على كشف الظواهر الاجتماعية فى منهج البحث العربي الاسلامى على ما اظن، يعتمد فيما يعتمد على الاتى :

أ) الملاحظة .

ب) التجربة .

جـ) المقارنة .

ومن هنا علينا ان ننتبه الى ان الظواهر الاجتماعية ، يستحيل اخضاعها لاى قانون من قوانين العلوم الطبيعية . ذلك لكونها تتعرض لتدخل الارادة البشرية التى قد تغير الظاهرة من النقيض الى النقيض

وفى بحث للدكتور توفيق الطويل يقول : الظاهرة الاجتماعية معقدة ، شديدة التعقيد . ويبدو انها لا تضطرد على غرار واحد ، ومن خلال ذلك ، يكون خطأ الظن بأن الناس كالقطيع الواحد فى استجابتهم ، ونكران فضل النخبة ، والزعماء ، والمتفوقين .

ويرى الإجتماعيون : ان البطل فى كل صورة مجرد معبر عن روح العصر فيه .

ولكن الواقع : ان الفرد متى كان زعيما ، أو مصلحا ، او بطلا له اثره الملحوظ فى خلق ظواهر اجتماعية ما كان يمكن ان يكون لها وجود بغير ظهوره .

وما دامت الظواهر الاجتماعية ، لا تجرى على نسق واحد دوما ، فإنه من المتعذر وضع قانون عام لتفسيرها .

<u>من اين ... والى أين ؟</u>

السؤال هو المعرفة ، ولكى نعرف لابد من بداية . من اين نبدأ ؟ .. ان اصعب الامور بداياتها . وهكذا كانت الامور فى اشد صعابها ، غير ان هناك نصف حل ، ربما يرضى من يحاول القراءة ، اقرأ .. وتألم .. وتأمل كيف هى الامور .

امور شبكة العلاقات الإجتماعية ، كيف هى ؟ .. كان فريق من الإخصائيين ، اعنى فى جميع التخصصات ، اذكر منهم : الإخصائى فى علم التشريح ، و "الفسيولوجيا" وعلم النفس ، الى الجهاز العصبى ، الى الجهاز الهضمى ، الجهاز

التناسلي ، اخصائي علم الوراثة، التنفس ، الى العلوم الإنسانية حتى الحفريات والهندسة المعمارية كانوا فى المكان، اهل الذكر جميعهم حضور . وكانوا ينتظرون البداية ، وكان هناك ضجيج بهمس تبين فيما بعد ان العلوم الإنسانية ، والعلوم الطبيعية متناقضة عن بداية التشخيص ، هكذا سمعت الحكيم يقول للمهتم بعلم الحفريات كان موجودا ، قال الحكيم : الجسد غير الصخرة .

وبالاجهزة العصرية ، تسربوا الى داخل الجسد الاجتماعي ، وكان اكبر بكثير من عملاق. الجسد : منبطح بين طنجة . جاكرتة ، ويبتسم ، او هو بيكي ، هكذا تخيلت الامر ، انه جسد ضخم ويتنفس ببطئ ، لا اعرف ان كان يسمع ، ويرى ، ام مصاب بالصم والعمى؟ ذلك ما سيعرف من خلال التشخيص والتحليل . ورأيت جراح تنزف بسوائل مختلفة الالوان !

ودخلت او تسربت معهم لبحث بين احشائه عن معالم التغير ، لان الظاهر او البين من الخارج لا ينبئ بشئ ، ولا خيار من التسرب الى الداخل الى صلب الحقيقة والواقع ، وبدون مقدمات . سألت :

*جئت باحثا عن التغير ، فلم اجد الا "جثة" كانها مريضة ، ما هى امراض الجسد العربى، الإسلامى ؟ اعنى : المجتمع .

– امراض عديدة اكثر من ان تحصى . وهناك نزيف حاد ، كأن هناك من يمتص السوائل وينهش العناصر ، غير ان الاخطر من ذلك ، ان هذا الكائن يفكر باحشائه ! والمصاب بهذا النوع من "الفيروسات" لا تفيده العقاقير ولا الجراحة تجدى ؟! .

* ماذا لو تسرب المرض الى الدماغ ؟

– ليس هناك خوف ، فالدماغ متكلس ، لا ارسال ولا استجابة ، وعضلاته ضامرة ، كل شئ ينبئ بالضمور ، الاسنان اكثر من نخرة ، والاظافر متهشمة ، واكثرها متهرى ، ولاسوس يسرح ويمرح !

وكان حديث الروح للروح ، اغلب الظن ان بعض الاعضاء سليمة ، بدليل انه يفكر باحشائه ان فى الامر بعض الاضطراب ، وهمس احدهم : هناك "تغير" فى المصطلحات ، هل مختص المصطلحات بين الحضور ؟ نعم .. واكد على ان "التغير" كان فى المصطلحات، وفرح لكون الالفاظ كانت وافدة ، وتغير الجسد لا يخيف احدا .

ومن خلال ذلك التشريح الذى يشبه التحليل ، هيمن الصمت الرهيب ، لدرجة السكون، وكان كل شئ يشعر الاشياء بالخوف من حقيقة الواقع . وارتفعت درجة التوتر ، والترقب ، وقطع مختص الاعصاب حبل الافكار ، بمبضع الجراح ! .. وكان سؤال :

* هناك من يعتقد ويصر على اعتقاده ، بأن "التغير" حدث فما الألم فى ذلك ؟

– المريض يؤلمه اكثر ، التغير الذى حدث فجأة فى المصطلحات ، وهى وغيرها جعلت الامر هكذا .

وبدأ يسيطر القلق مرة اخرى ، وحدث بعض الضجيج ، ورأيت من بدأ يتسرب الى الخارج بحجة عدم اهتمامه بعالم الاشياء التى هى نتاج عالم الافكار ، واختفوا من عالم الافكار فى عالم الاجساد . وبدأت بوادر الارهاق تطفوا ، لكون الهيمنة كانت لعالم الثقافة والافكار . هل هناك ما يقلق .. ماذا عن عالم الأشياء .. هل هناك تغير .. وكيف هو ؟ .. وكان السؤال :

* كيف هو التعامل مع الاشياء "التكنولوجية" هل هناك تغير ؟

– التعامل مع الاشياء ، اى بما هو ثقافة تكمل الثقافة العامة التى ولدته ، اما الاجهزة الحضارية المادية ، فلم تكن الا الى النقل من بلد الى بلد .. ليأخذها البلد الثاني ليستخدمها من دون ان يفهم العلم والثقافة اللدين ولداها والخلاصة "التغير" او التقدم التقنى من دون التقدم الثقافي الموازى له ، يشوه بنية جسد المريض الذى نعالج ، وكان من بين المفكرين الحضور من التقيت ، وقرأت . ثم سألت :

* هل من اضافة فى عالم الافكار .. والاشياء ؟

– هناك استعداد لجمع منتجات مستعارة ، وهذا يدلنا على ما تتسم به الثقافة للتى نعتنقها من طابع بدائى إذ ليست الاشياء الحضارية : تكديسا بل هى بناء وهندسة وجميع ما ترمز اليه تلك الفضائل اما ان نأخذ بما يبدو انه اكثر سهولة فتلك مضعفات مرعبة .

* هل هناك امل اعنى فى الجانب العلمى والثقافى هل من امل ؟

– هناك جمود ما بعده جمود والازدراء من كل شئ مفيد وخاصة العلم . واخطر الامور حين يفقد العلم والعلماء دورهم الاجتماعي هناك ملاحظة عن تفاهة ثقافتنا التى استعبدتها الالفاظ فلم تعد تعبر عن اهتمام بالعمل .. بل مجرد الشهوة الى الكلام .

وهناك سبب آخر لنعدام الفاعلية التى وصمت بها نزعة المديح للعمل الفكرى فحين اتجهت الثقافة الى امتداح الماضى اصبحت ثقافة اثرية لا يتجه الفكر فيها الى امام ، بل ينتكس الى وراء .

وكان هذا الاتجاه الناكص المسرف ، سببا فى انطباع التعليم كله بطابع درس لا يتفق ومقتضيات الحاضر والمستقبل ، وبذلك : اصيبت الافكار بظاهرة التشبت بالماضى كأنما اصبحت متنفسا له !

ولكى نختتم تلك الظاهرة التى بسطنا عليها ثقافة ما بعد الانحطاط ، يجب ان نضيف نقيضين هما : التعلق الواهم "بالكم" ونلحظه حتى عند الذين احتكوا بالثقافة الغربية .. والنزوع الى الشعر ومن شأن النزعة "الكمية" او العدد .. فتجد من يقوم كتابا بعدد صفحاته المكتوبة ! اما النزعة الشعرية : فتقصد الى الناحية الجمالية .. والى "البديع" الذى تتصف به حرفية الثقافة ، ونزعة المديح !

وتلك وسيلة رشيقة مناسبة تخفى مواضع النقص والاختلال ، فتجمل الاخطاء ، وتستر العجز بستار من البلاغة المزعومة ! ..

* هل يعنى ذلك ان لا امل فى المجتمع الذى نشخص ؟

- الواقع ان المجتمع الناشئ لا يمكنه تمثل العناصر الاجتماعية الجديدة ، التى يقتبسها الا بشروط معينة ، فاما حاجة ملحة ، واما امر علوى . والواقع ان المجتمع العربي الاسلامى منذ نصف قرن او اكثر لم يقدر هذه الشروط حق قدرها ، فقبس من "أشياء" الغرب دون ادنى مقياس او نقد يحمله على ذلك احيانا نوع من الإكراه ، وغالبا كثيرا نوع من "النفخ" وفراغ العقل ! وكل ما يسوده من اختلاط ، وفوضى فى الميادين الفكرية والخلقية، او فى ميادين السياسة ، انما هو نتيجة ذلك الخليط من الافكار الميتة !

تلك البقايا غير المصفاة من الافكار المستعارة ، التى يتعاظم خطرها كلما انفصلت عن اطارها التاريخي ، والعقلي فى اوربا وامريكا .

* هناك من يعتقد بالتطور دون التقدم فما الرأي عندك ؟

- فى الحقيقة ان اى منهج اصلاحى فى علاقة المجتمعات ، فيما بينها فى سبيل تحقيق انسجامها المفقود ، يجب ان ينطلق من وضعها المشخص . وهذا الواقع ، هو بنيتها الوجودية الانسانية ، التى تعنى العودة اليها ، العودة الى حياتها فى بئيتها المحلية ، لا الى افكار عامة مجردة يراد لها ان تتكيف بحسبها .

لكن العودة الى بنيتها الوجودية الانسانية ، كما تتجلى فى حياتها المحلية : تظهر بوضوح لا لبس فيه ، ان الجماعة البشرية بما تحمله من قيم تتفاعل مع البيئة المحلية التى تعيش فيها ، وانها بالتالي تتطور جراء هذا التفاعل ، وان هناك ثوابت فى هذا التطور هى التى تجمع بين التجمعات المختلفة ، ونظرا لان هذه الحقيقة مشتركة بين البشر فقد كان من الممكن اتخاذ نقطة انطلاق فى كل عمل انساني غايته تحقيق الانسجام بين الجماعات البشرية من ناحية ، وبين العالم الذى تعيش فيه من جهة اخرى .

وهكذا نجد ان التطور ليس وحده فى اساس تقدم المجتمعات وتلاقيها ، وانما يشارك فيهما الفكر والارادة ، وهذا يعنى ان التقدم الاجتماعي مرهون بتوجيه فكرى

وارادي ، ينقل المجتمعات من مرحلة حضارية الى مرحلة حضارية اعلى منها ، ويقرب بينهما اما التخلف بمعناه الشامل ، فليس نتيجة تراجع المقومات المادية فقط بل ، ينضاف اليها : الاضطراب الفكرى ، والتراخى الارادي وعدم النفاذ الى حقيقة الامور .

وبعد ذلك التشخيص او التحليل ، ساد الصمت مرة اخرى كما كان ، ورأيت او تتطلعت فى الوجوه فاذا هى شاحبة من ارهاق الاستماع ، ان الامر فى غاية الكآبة ، ويدعو الى الفزع والدعر .

وقال مختص الاشعة بصوت متهدج ، الصورة كالحة . وشاحت الوجوه وهيمن السكون برهة كدهر ، ونطق الجمع كانهم توحدوا ، التشخيص فى حاجة الى تشخيص .

ووضح الارهاق النفسى والبدنى ولم تفد السوائل الثقافية الوافدة ، والتى قيل ويقال انها تفيد من اصابة الانهاك البدني ، والارادي والفكرى .

والتففنا حول الجسد بعد التسرب الى خارجه ، ولكن ونحن شبه رقود ، سمعنا صوتا هاتفا يقول "ان الله لا يغير ما بقوم .. حتى يغيروا ما بانفسهم" وهنا استيقظ الحكيم وصاح : ذلك هو الطريق ، طريق : التغير .. الاجتماعي .. الثقافي .

- المراجع -

القرآن الكريم (سورة الرعد :11)

مالك بن نبي (وجهة العالم الاسلامى)

الدكتور توفيق الطويل (أسس الفلسفة)

تيسير شيخ الارض (ارادة الحضارة)

أثر العامل النحوى في الخلاف بين النحاة !!

بقلم د/ عبدالله محمد الكيش

إن النحو العربى فى تفرده عن نظرائه فى اللغات الأخر باحتضانه نظرية العامل والمعمول - وهى رؤية خاصة للقواعد النحوية - وماستتبع ذلك من مناقشات وخلافات ومنازعات علمية - لم تكن كلها شرا - بين العلماء والدارسين .

أقول : إن النحو العربى فى تفرده بهذا وغيره ، لم يكن منحرفا ، ولامتزيدا ، ولامتجنيا على طبيعة الدرس فيه ، ولاعلى المادة النحوية التى توفرت له ، وتسلط عليها أضواءه ، وإنما كان واقعيا إلى درجة كبيرة ، ومتجاوبا مع مافرضته عليه ظروف اجتماعية خاصة ، وشؤون لغوية ملزمة ..

ولعل من آثار ذلك ماوجد فى النحو العربى خاصة من مدارس أو مذاهب نحوية متعددة فى مختلف مراكز الثقافة الإسلامية ، ولست فى هذا المقام متحدثا عن قيام تلك المدارس أو المذاهب الفكرية ، لأن ذلك ثابت ومقرر فى تاريخ النحو العربى ، وقد كتب عنه كثيرون غيرى ، فى القديم والحديث حتى بات حقيقة ثابتة بالتواتر ..

والمهم -عندى- من كل هذا أن أوكد أن ظاهرة الخلاف النحوى قديمة ، قدم علم النحو نفسه ولذا فإن هذه الظاهرة قد استرعت انتباه الباحثين قديما وحديثا ، فتناولوا أسباب الخلاف وبواعثه بالبحث والدرس والتمحيص، ووجهوا عنايتهم للمسائل الخلافية : فبينوا رأى كل فريق فى كل مسألة ، تبعا لما كان يجرى بين النحاة من ألوان متنوعة للدراسة النحوية ..

ولن أناقش هنا ماكان يدور بين العلماء والدارسين القدامى من ميل وتعصب لطائفة من النحاة على حساب أخرى ، بل أحيانا على حساب الحقيقة العلمية ، وإنما الجدير بالتنويه به هنا ، هو : أن الخلاف النحوى صار أمرا معترفا به ، وقد استقرأ مرة فى الدرس النحوى منذ أواخر القرن الثانى الهجرى

، ولو أراد الباحث الاقتصار على ماذكرته كتب تاريخ النحو عن أسباب اختلاف النحاة لوجد أن فى مقدمتها المادة النحوية التى اعتمدها النحاة لتقنين قوانينهم ، وتقعيد قواعدهم ووضع مقاييسهم وأسسهم النحوية ، إذ من المعلوم أن نحاة العربية قد أخذوا فى اعتبارهم بعض اللهجات العربية المختلفة عن لهجة قريش فى سن قوانينهم النحوية ، وإثارة جزء من خلافاتهم التى ملأت كتب النحو ، ولو أنهم اقتصروا على لهجة قريش وحدها لتأسيس قوانينهم ، وبناء قواعدهم لخلصوا النحو - على الأقل - من شوائب الخلاف ، وآثار الجدل العنيف التى طغت على المادة النحوية نفسها ، حتى أوشكت أن تضيع فى زحمة تلك المناقشات والخلافات الكثيرة ..

وربما يكون من أسباب الخلاف بين النحاة طبيعة الدرس النحوى الاجتهادية ، التى أدت بالنحاة منذ زمن مبكر إلى نظرية العلة ، ومن ثم أحالوا دراسة الظواهر اللغوية إلى مايشبه المنطق الصورى ، لأنهم لم يكتفوا بوصف تلك الظواهر ، بل مضوا يعللونها تعليلات خرجت بهم فى غير موضع عن روح اللغة العربية ، وفهم أساليبها وتطورها ..

وفى ضوء هذا كان النحوى يجتهد بقدر ماأوتى من حس لغوى ، ونفاذ ذهنى ، يفهم بهما العبارة اللغوية فهما مغايرا لفهم غيره ، وهذا يفسر ماقاله الإمام أبو الفتح عثمان بن جنى - عليه الرحمة - فى هذا الشأن : "فالخلاف النحوى إذا بين النحاة أعم منه بين العرب ، وذلك أن العلماء اختلفوا فى الاعتلال لما اتفقت العرب عليه ، كما اختلفوا فيما اختلفت العرب فيه ، وكل ذهب مذهبا وإن كان بعضه قويا ، وبعضه ضعيفا [1] .

وليس من المستبعد عندى أن تكون المنافسة العلمية بين نحاة الرعيل الأول كانت أيضا من أسباب الخلاف النحوى بينهم ، فأسفرت تلك المنافسة بين رجال النحو عن ظواهر علمية ، وآراء نحوية غير متزنة ، فاصطبغت بتأويلات الشواهد النحوية ، والإغراق فى البحث عن العلل والأسباب واصطناع روايات خيالية لاحقيقة لها فى الواقع اللغوى ..

ولكن النظرة الفاحصة إلى مافى التراث النحوى من خلافات ومنازعات علمية تبين بوضوح أن معظمها كان منصبا فى البحث عن نظام الجملة العربية ، وعدم إخضاعها لرسم صارم الحدود ، مما أعطى المتكلمين الحرية فى الرجوع إلى حسهم اللغوى، بالتقديم والتأخير والحذف ، فى أجزاء وعناصر الجمل والتراكيب اللغوية المفيدة، بما يضمن لهم الإبلاغ والإفادة ، لأن بنية الكلام العربى رهينة غاياته ومقاصده .

ومما يدل على ذلك ماورد فى الدرس النحوى من جواز تقديم خبر المبتدأ ، وإباحة تقديم المنصوب على الاشتغال والتنازع ، وتقديم أخبار مازال

[1] - الخصائص 1 / 168 .

، وليس ، وماالنافية الحجازية ، وتقديم معمول المقصور على الفعل ، وحرف الايجاب ، وجواز العطف على موضع اسم "إن" قبل تمام الخبر .. إلى غير ذلك مما سيأتى ذكره عند الحديث عن اختلاف النحاة فى مجال العامل والمعمول .

وهنا أقرر أن نحاة العربية – بصفة عامة – متفقون على الاعتداد بنظرية العامل والمعمول ، ولكن حين يدقق الباحث النظر يجد أن هناك اختلافا فى مقدار تشبثهم بالعامل وأخذهم به ، فالفعل – مثلا – عند كثير من نحاة الكوفة لايعمل فى الفاعل ، لأن العامل فيه عند الكسائى ليس لفظ الفعل ، وإنما كونه داخلا فى الوصف ، أى كونه متلبسا بالفعل .. وربما يكون مبعث خلافهم فى هذه الجزئية بالذات أن البصريين لايخلون الفعل من ضمير الاسم السابق ، على عكس الكوفيين الذين يحيزون خلوه من الضمير ممسكا بظاهر قول الزباء.

ماللجمال مشيها وئيد
أجندلا يحملن أم حديدا [1]

وواضح أن قول البصريين بعدم جواز خلو الفعل من ضمير الفاعل ناجم عن قولهم بمنع أعمال عاملين فى معمول واحد ، وهو أصل أصول نظرية العامل النحوى فى كتاب سيبويه ..

وهكذا يلحظ أن الطبيعة الاجتهادية للدرس النحوى أدت بالنحاة إلى استخدام العلة منذ وقت مبكر من تاريخ نشأة هذا العلم ، ومن البديهى أن تختلف نظرات النحاة وتعليلاتهم فى اندفاعهم لتفسير حركات البناء والاعراب ، فاختلفوا فى بناء الفعل الماضى أهو على الفتح أم على السكون ؟[2] وكذلك اختلفوا فى عامل رفع المضارع ، وفى علة إعرابه .. ومنهم من بحث فى أن الاسم المضاف إلى ياء المتكلم ، أمبنى هو أم معرب ؟ وهل يكتسب المنادى المعرفة تعريفا جديدا بعد زوال المعرفة القديمة ، أم العكس ؟ .

وفى هذا الإطار اختلف نحاة السلف فى سبب جعل الاعراب بأواخر الكلمات المعربة [3] ، إلى غير ذلك من المسائل والقضايا التى كانت موضع نظر وبحث ، ومثار نقاش وجدل ، فاضت بها كتب النحو القديمة ، وفى كتاب سيبويه صورة صادقة لما كان يجرى بين نحاة السلف من ألوان متنوعة لصور الخلاف النحوى فى الدرس النحوى ، ورغم ذلك فإن ماتحقق فى ذلك الوقت المبكر من طفرة ناضجة فى مجال تطور الدرس النحوى ، يبعث على احترام من قاموا بها ، وأرشدوا إليها ، وبصفة خاصة قبل احتكاك العقلية العربية بالعقلية الأجنبية فى بيئة العراق ..

ولذا فإنه لاينبغى للباحث المنصف أن يرود مايقال عن انحراف نحاة العربية عن مفهوم الدرس النحوى فى اللغات الأخر ، بما جروه عليه من خلافات ومناقشات لاطائل من ورائها ،

1 – الهمع 1 / 159 ، والأشمونى 43/2.

2 – الكتاب 4/1 ط بولاق .

3 – مسائل خلافية فى النحو / 102.

لأن صنيعهم يختلف كثيرا عن صنيع أمثالهم من نحاة اللغات الأخر .. والمجال لايسمح بالمقارنة بين علم هؤلاء ، وعلم أولئك ..

وليس من شك فى أن المنهاج الذى اتبعه نحاة العربية فى تعقيد القواعد ، ووضع الأسس النحوية جعلهم يختلفون فى مسائل نحوية كثيرة إلى المناقشة والمناظرة فيها ، وذلك لأنهم أخضعوا الدرس النحوى لنظريتى العامل والعلة ، إذ لم يكن العامل من خصائص المذهب البصرى ، ولاكانت العلة خاصة بالمذهب الكوفى ، ولكن الثابت أن النحاة جميعا متفقون على القول بالعامل والعلة ، وإن كانوا قد يختلفون فى مقدار تمسكهم بأصولهما ، ومناهج البحث فيهما ..

ومن أجل ذلك يرى الباحث اختلافهم فى صحة دخول لام الابتداء على خبر "لكن" ومن جواز تقدم معمول اسم الفعل عليه ، وفى صحة نداء المعرف بالألف واللام، وفى جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وشبهه ، واختلفوا أيضا فى - كلا وكلتا - من حيث دلالتهما المعنوية ، وفى علة بناء الظرف "لان ، على الفتح .. إلى غير ذلك من المسائل النحوية التى كانت موضع إثارة جزء كبير من خلافاتهم ، مما هو معروف ، فلا يحتاج إلى تدليل عليه ، أو تمثيل له.

وكما سبق القول فإن منهاج نحاة العربية فى تقنين الظواهر النحوية ، وانصرافهم عن العامل الزمنى فى الاحتجاج بالشواهد المختلفة ، كان سببا فى اتساع دائرة الخلاف العلمى بينهم ، سواء كانوا من مذهب واحد أم من مذاهب مختلفة ، والدليل على هذا اختلافهم فى بعض الصيغ والالفاظ التى تمثل مرحلة تطورية ، تعود إلى زمن غير محدد المعالم ، وذلك مثل : أسماء الأفعال ، وأسماء الأصوات ، والأفعال الجامدة ، كنعم ، وبئس، وساء ، وليس ، وعسى ، إذ لاشك أن كثيرا من هذه الكلمات قد أثارت خلافا علميا واسعا بين النحاة ، فبعضهم ذهب إلى أنها أسماء وذهب آخرون إلى أنها أفعال ، كما فى حبذا ، وذهب فريق ثالث إلى أن ليس حرفا ، وليست فعلا ناقصا ، بل إن - المبرد - وابن السراج - والسيرافى - يرون أن حبذا - اسم واحد مرفوع على أنه مبتدأ ، وقد عزوا هذا الرأى إلى شيخ نحاة العربية الخليل ابن احمد [1] - عليه الرحمة .. وعلى هذه الشاكلة يرى الباحث اختلافهم فى كلمة - لات - العاملة عمل - ليس - فقد رأى نفر من النحاة أنها مركبة من "لا" النافية للوحدة ، لحقتها تاء التأنيث ، إجراءلها مجرى "ليست " أو لحقتها الهاء عند بعضهم الآخر ، إجراء لها مجرى ثمة وربة ، بينما كان يرى الأخفش أنها نافية للجنس وأنها من أخوات "إن" وقال آخرون إنها فعل وليست حرفا .. وفهم ابن السراج من بعض استعمالات

[1] - الخزانة : 2/ 92 ، 98 .

"عسى" أنها حرف للرجاء والتوقع ، ويسرف بعضهم فى التفكير اللغوى فيقرر حرفية كان مستدلين عل ذلك بعدم دلالتها على المصدر [1] ..

ولاجدال فى أن كل فريق من أصحاب هذه الآراء يعتمد بطبيعة الحال عل فهمه الخاص لنص لغوى معين ، أو لرواية شاهد فصيح ، ورد هنا أو هناك ، على لسان هذا ، أو ذاك من الرواة والمؤلفين الثقاة ، وانعكاس هذا يظهر بوضوح فى مسائل خلافية كثيرة جمع شتاتها أبو البركات الأنبارى فى انصافه ، مثل : اعراب الاسماء الخمسة ، والألف والواو والياء فى التثنية والجمع ، ولعل ، وحاشى وكم الاستفهامية الخبرية ، ومنذ ، وإلا، واللهم ... إلخ .

ولعل أهم مظهر من مظاهر التشعب فى الخلاف العلمى بين نحاة العربية ، ذلك النزاع الذى نشأ بينهم عن البحث فى اشتقاق لفظ الجلالة "الله" لكثرة ماقيل فيه قديما وحديثا [2] ، والطابع الغالب على الخلافات النحوية أنها نوع من الاحتيال لتبرير مظهر اعرابى ، أو مظهر تطورى فى صيغة من الصيغ ، على أننى لاأنكر أن كثيرا من نحاتنا قد تنبهوا إلى بعض مظاهر الاضطراب من ناحيتى المدلول والإعراب لبعض الكلمات فى ثنايا التراكيب والجمل اللغوية المفيدة ، وذلك فى غياب الدراسة التحليلية والتركيبية والتنظيمية النابعة من النص اللغوى نفسه والهادفة إلى التعريف به تاريخيا وصوتيا ودلاليا ، والتمكين من وضع قوانين النحو ، وتوجيه منهجه ، وضبط أحكامه .

غير أننى مع هذا الاعتبار ، أرى أن فى النزاع العلمى بين نحاة العربية ظاهرة صحية ، تصدر عن واقع الدراسة النحوية نفسها ، وعن حقيقة ماكان يجرى بين نحاة سلفنا الصالح من ألوان متعددة للدراسة النحوية التى نهضوا بها تلبية لظروف خاصة ، والتى بذلوا من أجلها جهدا ووقتا لانظير له فى أية لغة أخرى .

وفى ضوء ماتقدم يتبين للباحث أن للخلاف النحوى – الذى ملأ كتب النحو – مصادر متعددة ، وبنسب مختلفة ، بعضها يرجع إلى طبيعة النصوص اللغوية التى اعتمدها النحاة لاستخلاص المادة النحوية وتوظيفها فى سن قوانينه ، وبعضها الآخر يعود إلى طبيعة الدراسة النحوية التى لم تكن تكتفى بالمنهج الوصفى ، بل تعتمد على المنهج المعيارى التحليلى .

وكما سبق القول فإن ثمة سبب ثالث لذلك النزاع العلمى ، وذلك الجدال العنيف ، الذى كان يجرى بين نحاتنا ، وهو المنافسة بين العلماء فى كل عصر ومصر وقطر ، وهذا يساير طبيعة

[1] – اسرار العربية : 126 ، 132 .

[2] – الكتاب 309/1 و 125/2 . والخصائص 225/1 ، وأمالى ابن الشجرى 13/2 ، وشرح المفصل وابن يعيش 3/1.

المدارسة والمناقشة اللتين كانتا تجريان بين العلماء ، وبين محبى المعرفة بالبصرة والكوفة وبغداد ، وغيرها من مراكز الثقافة بالعالم الاسلامى ، فى مجال اللغة والنحو والأدب وعلم الكلام.

وهكذا فقد وجد لكل أستاذ مؤيدون كما وجد لكل متعصبون ، ومن ثم فإن الخلافات الشخصية غير المنزهة عن الأهواء والأغراض الخاصة ، كانت وبالا على الدراسة النحوية ، وكانت سببا فى ذلك الحشد الذى لا أول له ولا آخر من تأويل وحذف ، وتعويض وتقدير ..

وقد يكون هذا ماجعل أحد النحاة المعاصرين لايرى فى الخلاف النحوى بين البصريين والكوفيين خلافا منهجيا ، وإنما هو خلاف بلدى استطاع الفراء بمصطلحاته النحوية ، والمتعصبون للكوفة بدعاياتهم أن يسبغوا على نحو الكوفة شكل المذهب ، إذ أن الفراء فى الحقيقة واحد من تلاميذ البصرة النابهين ، الذين أضافوا للدرس النحوى ما أضافه الأخفش والمازنى والمبرد [1] ..

غير أن هذا كله ينبغى ألا يحول بين الباحث وبين الاشارة إلى مسائل الخلافية التى قادت فيها النظرية المعيارية – نظرية العامل – النحاة إلى اتخاذ مواقف خاصة من بعض القضايا والمسائل النحوية ، التى لاتزال أصداؤها تتردد فى البحوث والدراسات النحوية حتى وقتنا الحاضر ..

وإن الباحث ليزداد علما بالمسائل النحوية التى اختلفوا فيها ، إذا لحظنا أن معظمها كان يتعلق بقضية العامل والمعمول ، وإن كان من المعروف من خلاف نحاة العربية فى عامل الرفع للمبتدأ ، وأخذه أبعادا لاتخدم البحث النحوى فى شئ ، إذ ليس فى القول : إنه مرفوع بالابتداء ، أو الخبر ، مايدعو إلى تغيير حكمة الإعرابى ، أو وظيفته الادائية التركيبية ، حسب ظروف التفاهم بين المتكلم والسامع ، ومن هنا جاء موقف نحاتنا من باب تنازع العاملين واضحا ، ومتسقا مع أغراضهم ومواقفهم الأخرى من جميع الظواهر النحوية .. فنحاة البصرة يقررون أن ثانى الفعلين هو العامل فى المفعول به ، لقربه منه ، أما نحاة الكوفة فقد رأوا أن أول الفعلين هو العامل فى المفعول به ، لسبقه ..

ومن هذا القبيل اختلافهم فى ناصب المستثنى ، وفى ناصب المفعول به ، والمفعول معه والاسم المشغول عنه .. وفى رافع الاسم بعد الظرف وشبهه ، وبعد لولا الامتناعية ..

ولولا أننى أبحث عند أثر العامل النحوى فى الخلاف بين النحاة لاستطردت إلى عرض المزيد من نماذج منازعاتهم العلمية التى أسهمت فى تطور الدرس النحوى العربى ، ولكنه بحث سيأتى دوره ، لانه يحتاج إلى تفصيل ، ولكن

[1] – أنظر الدراسة القيمة عن ابن كيسان النحوى للأستاذ الدكتور : محمد ابراهيم البناص 213 .

يمكننى أن أستشف من حجج كل فريق أن آراءهم تختلف قربا وبعدا عن المعيارية ، وإن كانت نظرتهم لم تكن موافقة فى بعض الأحيان لأساليب الدراسة اللغوية الحديثة ، التى ترى فى البحث عن العلة ، والمؤثر فى نظام التعبير اللغوى انحرافا عن مفهوم الدرس النحوى ، وخلطا بين معطيات الفلسفة، ومعطيات اللغة بمفهومها الواسع ..

وبهذا المقياس فإن القدر المشترك بين النحاة على اختلاف مذاهبهم ، هو اعتدادهم بنظرية العامل والمعمول ، وأول الدلائل على التزامهم بتلك النظرية وأصولها ، أنهم قسموا العوامل إلى لفظية ومعنوية ، وعوامل قوية وأخرى ضعيفة ، وإلى عوامل خاصة بالاسماء ، وعوامل خاصة بالأفعال ، إلى غير ذلك مما هو معروف ومستوفى فى كتب التراث النحوى ..

ومثل هذا فى الدلالة على إلتزام نحاة العربية بنظرية العامل أنهم أخضعوا الدرس النحوى للقياس والعلة والاستدلال ، وإن كان يبدو أن نحاة البصرة أكثر تمسكا بأساليب المعيارية ، وأقل مرونة وتيسيرا ، كما يجب أن يفهم أنهم أغزر انتاجا ، وأشد حيطة وتقليدا من الكوفيين ، وان كان لهذا استثناءات قليلة .. على أنه ليس فى استطاعة الباحث غير المتعجل أن يدعى خلو منهج البصريين من التعليل والمعيارية ، أو التزام الكوفيين منهاج الاعتدال ، وطريقة الاستقراء ، إذا كانت لكلا الفريقين تعليلات جامحة ، أبعد ماتكون عن المنهاج اللغوى الصحيح ، خصوصا عندما يتشبث الفريقان فى الاحتجاج لآرائهما بما لايعهد فى طريقة الاستقراء الموضوعية ، التى يجب أن يأخذ بها نفسه كل دارس لأى لغة من اللغات ..

والناظر فى بعض المناقشات التى دارت بين البصريين والكوفيين فى مسائل نحوية كثيرة ، انطلاقا من مفهوم العامل النحوى رؤية خاصة للانظمة التعبيرية يلمس مدى انغماس المذهبين البصرى والكوفى فى المعيارية البعيدة عن روح اللغة العربية ، ولهذا نراهم يختلفون فى أصل الاشتقاق ، أهو المصدر أم الفعل ؟ وذلك وفقا لوظيفتهما الدلالية ، ومن ثم قرر البصريون أصالة المصدر للفعل ، وغيره من المشتقات الأخر ، لأنه عندهم يدل على زمان مطلق بخلاف الفعل ، فإنه يدل على زمان محدود ، والمطلق أصل للمقيد ، فكذلك المصدر أصل للفعل ، وأيضا فإن المصدر اسم ، وهو يقوم بنفسه مستغنيا عن الفعل ، ولكن الفعل لايستقل بنفسه ولايستغنى عن الاسم ، وماستقل عن غيره أولى بالأصالة .

وقد يتوسع البصريون هنا بعض التوسع فيقولون : إن المصدر يدل بصيغته على شئ واحد ، هو الحدث المجرد ، والفعل يدل بصفته على شيئين هما : الحدث والزمن المحصل ، وكما أن الواحد أصل الاثنين ، وأن البسيط

أصل المركب فى الوجود ، فإن المصدر أصل للفعل وماشتق منه ..

أما الكوفيون فقد قرروا أن الفعل أصل للمصدر وغيره من سائر المشتقات ، وذلك لصحة عمله فيه ، وتبعيته له صحة واعتلالا ، ومجيئه توكيدا له ، ورتبة المؤكد دون شك قبل رتبة المؤكد ، ومن أدلة الكوفيين على فرعية المصدر وجود أفعال فى العربية لامصادر لها مثل : نعم ، وبئس ، وعسى ، وليس ، وحبذا ، وفعلى التعجب ، إذ لو كان المصدر هو الأصل لما خلت منه مثل هذه الأفعال ..إلخ .

وقد أورد الزجاجي آراء الفريقين فى كتابة "الايضاح فى علل النحو" ، كما أوردها الأنبارى فى كتابه : "الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، وقد أجاب كل فريق عن حجج وأدلة الآخر ، أجوبة متعددة لاتخلو فى مجملها من الجدل النحوى ، والطرفة الأدبية ، إلا أن طبيعة البحث لاتسمح بذكرها .

وأيا كان الحكم فى الخلاف النحوى بين الكوفيين والبصريين على أصالة المصدر أو الفعل فى الاشتقاق ، فالذى لاخلاف فيه أن المتكلم هو صاحب الشأن فى تصريف المشتقات واختيار كلمات التراكيب على حسب أغراضه ، واحتمالات تفكيره ، وليست الكلمات مفروضة عليه ، لأن الاشتقاق اللغوى العربى يعطى المتكلم من الأوزان بمقدار مايحتاج إليه من المعانى المحتملة عل جميع الوجوه ..

ولايخفى أن مسائل خلافية كثيرة فى تراثنا النحوى وجدت نتيجة تفكير النحويين فى الاشكال الاعرابية المختلفة ، واستنباط الضوابط والقواعد لها ، وتمييزها بعلامة من علاماتها الكثيرة ، ولذا فإن الدلالة هى قوام العربية ، ووظيفتها ومقياس كفايتها وارتقائها ... ولاجدال فى أن التعريف والتنكير وأدواتهما يأتيان فى مقدمة المقاييس التى تعرف بها درجة اللغة من الكفاية والارتقاء ، وقياسا على هذا منع البصريون تأكيد النكرة بغير لفظها ..

وذلك لشيوعها فى جنسها ، ولأنه ليس لها عين ثابتة كالمعرفة ، فهى لاتفتقر إلى توكيد ، وبالتالى فل، فائدة فى توكيد مالايعرف .. وليس الأمر كذلك عند الكوفيين ، الذين أجازوا توكيد النكرة مطلقا ، معتمدين على شواهد لغوية منقولة[1] ..

[1] - الانصاف (المسألة 63) ، جـ2.

المصادر والمراجع

1- الخصائص ابن جنى جـ1.
2- همع الهوامع السيوطى جـ1.
3- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك جـ2.
4- الكتاب سيبويه حـ1.
5- مسائل خلافية فى النحو
6- خزانة الأدب البغدادى جـ2.
7- أسرار العربية الأنبارى .
8- الأمالى ابن الشجرى .
9- شرح المفصل ابن يعيش جـ1.
10- أبوكيسان النحوى د. محمد ابراهيم البنا .
11- الانصاف فى مسائل الخلاف الانبارى جـ2.

قصة مترجمة

الصديقان

للقاص الفرنسي : جي دي موباسان

ترجـمة : د. محمد صالح القمودي

كانت باريس محاصرة ، جائعة ، تحتضر .. اختفـت العصافير مـن فـوق أسـطحها ، وجفت مجاريها ، واعتصر الجوع امعاء سكانها .

بينما كان يجر خطواته المتثاقلة فى حزن ، التقى السيد (موريسو) الساعاتى عادة والعـاطل مؤقتا .. التقى فجأة بالسيد (سوفاج) ، وهو رجل تعرف عليه خـلال رحـلات الصيـد ، فأصبح له صديقا .

قبل إندلاع الحرب .. كان (موريسو) يغادر منزله أيام العطلات قبل الفجر متسـلحا بأدوات صيـده ، ثـم يركـب القطـار إلى (كولومـب) ومنهـا يسـرع الخطـى إلى جزيرتـه المحبوبة حيث يختار موقعا متميزا ويودع صنارته فى المـاء ، ويظـل يمـارس هوايتـه المفضلـة حتى الغروب .

هناك .. كان يلتقى برجل نحيف ، بقال المهنة ، شغوف بالصيد ، يجلس على مقربة منه وقد يتبادل معه عبارات قصيرة سرعان مايلفها صمت عميق يزيده التفاهم المتبادل عمقا .

فى الربيع .. بعد العاشرة صباحا ، عندما تتلألأ الشمس فوق الضباب المنسـكب مـع الماء ، وتداعب بأشعتها الدافئة ظهور الصيادين .. كان (موريسو) يقول لزميله :

- ياله من منظر رائع !

ويعقب (سوفاج) قائلا :

- أنا لم أشاهد فى حياتى منظرا أروع منه !

وكانت هذه الكلمات القليلة تكفى ليسود بينهما التفاهم ، ويتأصل فى نفسيهما التقدير المتبادل . وفى الخريف .. عندما ترسل الشمس فى الغروب أشعة تجعل صفحة الماء وردية، كان (سوفاج) يقول باسما :

- ياله من مشهد خالد !

وكان (موريسو) يقول :

- أليس هذا المشهد أفضل من مشهد الشوارع المزدحمة !

حالما تعرف أحدهما على الآخر .. تبادلا التحيات الحارة وقد انتابهما اضطراب لهذا اللقاء البعيد عن جزيرتهما السحرية . قال السيد (سوفاج) متنهدا :

- يالها من ظروف قاسية !

كأن نفسه مرآة تعكس مشاعر صاحبه ، قال (موريسو) متأوها :

- وياله من طقس رائع .. الشمس ساطعة والسماء صافية ونحن نضرب فى شوارع باريس . سارا جنبا إلى جنب يتبادلان عبارات الحسرة والأسف . قال (موريسو) :

- الصيد .. يالها من ذكرى جميلة !

وتساءل (سوفاج) :

- متى تعود تلك الأيام !

دخلا حانة صغيرة احتسيا فيها كأسا من الشراب ثم استانفا السير فى الشوارع الكئيبة .

توقف (موريسو) فجأة قائلا :

- كأس ثانية ؟

- بكل سرور .

دلفا إلى حانة أخرى .. وعندما غادراها ، كانت مشيتهما متعثرة زادتها النسمات الباردة تعثرا . وتوقف (سوفاج) عن السير قائلا :

- ماذا لو ذهبنا ..

- إلى أين ؟ !

- إلى الصيد ..

- لكن أين ؟!

- فى جزيرتنا .. خطوطنا الأمامية تقع بالقرب منها . أعرف أحد الضباط هناك وربما سمح لنا بالمرور .

كان (موريسو) يرتجف من شدة الفرح وهو يقول :

- إتفقنا .. نلتقى هنا بعد ربع ساعة .. سأطير إلى البيت لاحضار أدواتى .

بعد أقل من ساعة .. كان (سوفاج) يطرق باب الضابط وهو يبتسم لصديقه فى ثقة. إستجاب الضابط لرغبتهما ومنحهما تصريحا إجتازا به البوابات الفرنسية ثم توغلا فى مزارع الكروم التى تنحدر نحو نهر (السين) . قال (سوفاج) وهو يشير إلى المرتفعات القريبة :

- أنظر يا (موريسو) .. فوق تلك التلال ، ترابط القوات الألمانية .

توقفا عن السير وقد داهمهما شعور بالرهبة .. ثم قال (موريسو) :

- ماذا لو ذهبنا لملاقاة بعض منهم ؟

وعقب (سوفاج) بسخريته الباريسية التى تبرز رغم كل الظروف . :

- ونهدى لهم بعض الاسماك الطازجة !

ضحكا ثم اندفعا ركضا نحو النهر وجلسا متجاورين على ضفته ، وسرعان ماأطلقا العنان لصنارتيهما تغوصان فى المياه بحثا عن أسماك جائعة .

كانت السمكة الأولى من نصيب (سوفاج) والثانية ظفر بها (موريسو) .. وتوالى ارتفاع الصنارتين المفاجئ ، وكلما ارتفعت صنارة ، تلألأت تحت أشعة الشمس سمكة .. وسرعان ماإمتلأت سلتهما المدلاة فى الماء .

سرت النشوة خدرا فى عروقهما فغابا عن الوجود فى هيام يغشى منها السمع والبصر والتفكير .

وفجأة ..

هز الأرض دوى مكتوم فانتفض الصديقان وقد تبددت نشوتهما وأفاقا من الحلم على هدير المدافع .

تبادلا نظرات الأسى ثم قال (سوفاج) :

– هاقد استانفوا القتال .

وقال (موريسو) فى حنق :

– ياهم من حمقى لايجدون مايشغلهم غير الاقتتال .

– لقد فاقوا الوحوش ضراوة .

– والأمور لن تتحسن مابقيت فى الدنيا حكومات أنانية شرسة .

– لم يكن العهد السابق ليعلن الحرب ..

– خلال العهد السابق ، كانت الحروب داخلية .. وخلال العهد الحالى صارت خارجية..

– كلما توسمنا خيرا فى عهد ، تبين أنه أبشع من سابقه .

– لن نكون أحرارا أبدا ياصديقى .

- البشرية كلها ستعانى الويلات مادامت ترزح تحت نير حكومات جل أعضائها من مصاصى الدماء ..

- هؤلاء الحكام من فصيلة الوحوش المتعطشة للدماء البشرية . كان أحرى بهم أن يشغلوا أوقاتهم بعمل مفيد مثل عملنا هذا .

- لو جلسوا للصيد مرة واحدة ، لتعلموا الصبر والأناة والحلم .

- إنها الحياة ياصديقى ..

- بل قل إنها الموت لأنهم اليوم يحاربون الحياة .

واستمر الصديقان فى تقليب المشاكل العويصة وحلها ببساطة الطبع وطيبة القلب ، كما استمرا فى إثراء السلة بالمزيد من الأسماك .

وفجأة ..

شعرا بحركة خلفهما .

التفتا فى فزع ، فأبصرا أربعة رجال طوال القامة والذقون ، يلبسون خوذات مسطحة ويحملون بنادق مشهرة .. وفى لحظات ، كان الصديقان مربوطان بحبل وثيق ومحمولان فوق زورق صغير إلى الضفة المقابلة .

وهو يدخن غليونا ضخما ، قال لهما القائد الألمانى فى فرنسية جيدة ولهجة ساخرة :

- أهلا بكما . هل حالفكما الحظ فى الصيد ؟ أرى السلة مليئة بالأسماك .

وضع أحد الجنود السلة المليئة بالأسماك على الأرض فصاح القائد فى حدة :

- أنتما بالنسبة لى جاسوسان مكلفان بمراقبة خطوطنا الأمامية . سأنفذ فيكما حكم الاعدام رميا بالرصاص . كنتما تتظاهران بالصيد تضليلا .. أما وقد وقعتما بين يدينا ، فلن ينقذكما منقذ . انها الحرب .. ومع ذلك ، فأنا عل استعداد للعفو عنكما إذا بحتما لى بكلمة السر التى مكنتكما من عبور البوابات الفرنسية .

كان الصديقان يقفان فى صمت جنبا إلى جنب وقد علا الشحوب وجهيهما وسرت الرعشة فى أطرافهما . استطرد القائد مبتسما :

– لن يعلم أحد بما ستبوحان به . ستعودان سالمين آمنين .. أما اذا رفضتما البوح بكلمة السر " فإنه الموت الفورى .. الاختيار لكما .

واصل الصديقان الالتزام بالصمت دون حراك ، فقال القائد الألمانى وهو يشير إلى النهر :

– لاحظا أنكما ستكونان فى قاع النهر بعد خمس دقائق .. أليس لكما أهل تحنان للعودة اليهم ؟ مرت برهة تواصل خلالها هدير المدافع و لم يصدر عن الصديقين جواب فصاح القائد الألمانى بأوامر لجنوده ، ثم تنحى بكرسيه بعيدا عن السجينين فاصطف إثنا عشر جنديا على بعد عشرين خطوة من الرجلين .

وقال القائد فى لهجة آمرة :

– أعطيكما دقيقتين للتفكير .

بعد دقيقة واحدة ، انتصب واقفا .. اقترب من (موريسو) وسحبه بعيدا عن صديقه ثم همس فى أذنه :

– قل لى كلمة السر بسرعة . لن يعرف صديقك شيئا ، سأتظاهر بالإشفاق عليكما .

و لم يتكلم الرجل ، فتركه القائد وانتحى بصاحبه جانبا ليهمس نفس العبارات فى أذنه .. لكن دون جدوى.

وفى اللحظات التالية .. وجد الصديقان نفسيهما جنبا إلى جنب من جديد ، وأصدر القائد أمرا فرفع الجنود بنادقهم وصوبوها نحو الرجلين .

سقطت نظرات (موريسو) على السلة فرأى أشعة الشمس تنعكس فى بريق خلاب على ظهور الأسماك المضطربة ..غمره الأسى ، واغرورقت عيناه بالدموع ، لكنه جاهد ليقول:

– الوداع يا (مسيو سوفاج) .

وجاءه رد خافت :

- الوداع يا (مسيو موريسو) .

شد على يدى صاحبه فى حرارة يائسة ، وصاح القائد الألمانى فى جنوده :

- إضرب !

اختلط دوى الإثنى عشرة طلقة ، فسقط السيد (سوفاج) مـرة واحـدة على أنفـه .. أمـا السيد (موريسو) الأقوى بدنا ، فقد ترنح ، ودار حول نفسه ، ثم سقط فوق جثة صديقه وعيناه تحدقان فى السماء الصافية بينما تدفق الدم قانيا من صدره .

ألقى القائد أوامر جديـدة ، فـاختفى الجنـود برهـة وعـادوا محملـين بحبـال وصخـور ربطوها فى أرجل القتيلين ثم سحبوا الجثتين وألقوا بهما فى النهر .

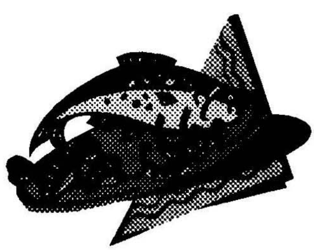
أشعل القائد الألمانى غليونه وشد منه نفسا عميقا ، ثم صاح :

- وهيلهم !

اقترب منه جندى فأضاف :

- خذ هذه الأسماك واقلها حالا . إنها طازجة ولا شك أن طعمها لذيذ .

ثم جلس على مقعده فى استرخاء واستأنف التدخين من غليونه الضخم .



قصة قصيرة

حكاية الاستاذ الذي .....!!

أحمد نصر

لوحظ أن الاستاذ مصطفى مدرس اللغة العربية لم يعد يحمل شنطة مثقلة بالكراسات كما كان يفعل من قبل ، بل صار يحرص كل الحرص على أن يصحح كراسات تلاميذه فى المدرسة ، ويعود خفيفا ، يحرك يديه مع إبقاء قدميه بحرية كما يعود الموظفون ، ولم يعد يأوى إلى حجرة المدرسين فى فترة الاستراحة أو بين الحصص يقتل الوقت ، ويلوى عنق الهم مع زملائه بالحديث والثرثرة فى ممنوعات السياسة ، وأزمة السكن وتأخر المرتبات ، والسوق السوداء ، وتدنى مستوى التلاميذ .



أما زميلاه الحميمان اللذان كان معهما كالضلع الثالث للمثلث ، وكان يشاركهما قتل الفراغ صباحا فى المدرسة ، ومساء على "مقهى الحرية" فقد لاحظا أنه

مشغول عنهما ، ولايأتى إلى المقهى إلا نادرا وفى أوقات متأخرة ، وأحسا كأنـه يتجنـب حياتهم الروتينية التى درج ثلاثتهم عليها ، كما لاحظا أنه لم يعد كثير الشكوى من تأخر المرتبات ، وأنه قد أصلح سيارته التى ظلت عاطلة تحرقها الشـمس جنـب الرصيـف أكـثر من أربعة أشهر ، وقد فسرا ذلك بأن الرجل تحسنت حالته الماديـة .. لكـن كيـف ؟ هـذا ماجهد نفسيهما فى الوصول إليه .

قذف بهما الضجر ، وزعيق الأطفال ، ومطالب البيت إلى الشارع ككـل مسـاء ، مثلهما مثل الكثير غيرهما من سكان حى الحريـة ، وقفـا عنـد (فترينـة) محـل للملابـس يتـأملان المعروضـات بضـع دقـائق ثـم جـررا خطاهمـا ، تلكـأت أرجلهمـا أمـام محـل "الخضروات والفواكه" سقطت عيونهما على الفواكه المعروضة بإغراء ، استنشقوا عبيرها العبق ، وقرأ أسعارها .. ثم مرا بسلام إلى المـلاذ الأخـير .. إلى "مقهـى الحريـة" يشـربان الدخان والقهوة، ويقتلان الساعات أو الساعات تقتلهما ، ثـم يعـودان إلى بيتهمـا ليـلا ، وكأن الواحد منهما عائدا إلى معتقل .

اتخذ الاثنان مكانهما بالمقهى حول طاولة على الرصيف ، وكان البرمكى يدخن سيجارته واقفا بمدخل المقهى وعيناه لاتستقران ، دنا منهما وتساءل :

- أين الأستاذ مصطفى ؟ .. لم أعد أراه بصحبتكما .

نأى عاشور بوجهه عبر الشارع ، فيما أجابه رجب باقتضاب :

حتى لايحتل الكرسى الشاغر جنبهما :

- نحن فى انتظاره .

فكر "البرمكى" أن يتطفل ويحتل الكرسى الشاغر ، ويناوشهما بحديث عام ، ثـم يجرهمـا تلقائيا إلى أحوال زميلهما الطارئة ، لكنه يعرف الجفاء الذى بينهمـا وبينـه ، لذلـك عـدل

عن فكرته ، وانثنى داخل المقهى ، واحتل كرسيا ملاصقا للشباك ، صار بمقدوره من مكانه يرى ويلاحظ ، وربما يسمع .

رفع رجب فنجان القهوة إلى شفتيه ، وقبل أن يرشف رشفته قال :

- أمى زارت زوجته .. قالت إنها تعلق فى أذنيها قرطين جديدين

قال عاشور :

- صار يرجع لها ماكان قد باعه منها .

استمرى رجب طعم القهوة المرة ، وصمت لحظة ثم هز رأسه قائلا :

- يرزق من يشاء ..

علق عاشور :

- لوكان مدرس ثانوى لقلنا الدروس الخصوصية !!..

- ربما وجد عملا فى المساء ..

- أما أنه وجد عملا فهذا لاشك فيه .. لكن كيف ؟ أين ؟

- هل أخبرك أنه وجد عملا إضافيا ؟

- لا .. ولكن لاأجد تفسيرا لتحسن حاله غير هذا .

وفجأة لمحه عاشور يخف على الرصيف المقابل ، فلكز رجب فى ذراعه وهمس :

- أنظر .. هاهو قادم .. وسينعطف على يساره مع الزقاق .

ولحظة أن انعطف مصطفى مع الزقاق نهض عاشور قائلا :

- سأتبعه ، وأعرف أين يذهب

وأسرع فى إثره . كان البرمكى قد نهض واقفا وراء الشباك ويداه فى جيبى بنطاله فيما نظراته تعبر الشارع إثر عاشور حتى غاب ، أخرج سيجارته من علبة تبغه ووضعها بين شفتيه ودنا من البنك ، أشعل السيجارة واتكأ بمرفقه عليه ، وظل ينفثها ويتحدث مع العاملين وراء البنك ، ثم أطفأ عقب سيجارته وخرج ، وقف فى مدخل المقهى يزرع

نظراته فى الشارع ولما طالت به الوقفة سحب كرسيا وجلس على الرصيف حتى لمح عاشور قادما ، وقتها نهض وعاد إلى جلسته وراء الشباك .

عاد عاشور والدهشة تلبس وجهه :

- سبحان الله .. لاأكاد أصدق نفسى .

- ماذا اكتشفت ؟

- تبعته خطوة بخطوة حتى دخل المسجد العتيق ، قلت ربما سوف يصلى العصر ويستأنف سيره ، فظللت أرقب مدخل المسجد من مكان يمكننى أن أره عندما يخرج دون أن يرانى، ولما طال انتظارى دخلت المسجد فلم أجد به سوى نفر قليل ليس هو أحدهم ، دخلت الميضأة فلم أجد أحدا ، لو كان للمسجد مدخل آخر لقلت إنه مرق منه .

- أنت متأكد أنه دخل المسجد ؟ .. ربما اشتبه عليك .

- أنا متأكد "ألف فى المائة" ، هو ببنطاله الأزرق وفى يده كيس يتأرجح .

- ربما سهوت وأنت تراقب خروجه فخرج دون أن تلاحظه .

- لا .. لم يخرج ..

- الله !! إذن فقد اخترق قبة المسجد وطار .. تستور ياسيدى مصطفى .

قال عاشور وهو مازال شاردا يفكر .

- فى الأمر سر .. سر روحانى .. من يدرى ؟

- الشئ لله ياسيدى مصطفى ..

نقر البرمكى باب المكتب بظاهر أصابعه ، ودخل ألقى تحية نصف عسكرية ووقف عند طرف المكتب العريض ، انتهى الضابط من تصفح ملف بين يديه ، فطواه ووضعه جانبا ، ثم رفع نظره إلى البرمكى :

- أه .. ماالجديد ؟

- صدقني - يافندى - إن الأمر لم يعد مجرد إشاعة ، أنا بنفسى تبعته كظله ، وعندما دخل المسجد راقبت خروجه أكثر من نصف ساعة ، ولما دخلت المسجد لم أجد له أثرا .. لا فى البيت ، ولا فى دورة المياه ، ولا فى أي زاوية من زوايا المسجد .

قال الضابط بحدة :

- طار ؟ .. لابد إنه نفذ من باب خلفى ، أو نافذة ، وأنت واقف بالباب كاللوح ..

أراد البرمكى أن يؤكد كلامه لكن الضابط رفع يده مقاطعا :

- اسمع .. لسنا فى عصر الخوارق والكرامات . غدا تأخذ معك المبروك . أنت باعتبارك تعرفه تراقبه من بعيد ، والمبروك يلازمه كظله ، ثم تأتوننى بتقرير كامل عن تحركاته .. متى يخرج ؟ .. أين يذهب ؟ .. مع من يلتقى ؟ .. متى يعود ؟.. وكل مايلفت الانتباه.

- أمرك يافندى ..

ورفع يده بالتحية حتى جبهته وانصرف :

وقفت الـ(بيحو) البيضاء على بعد كاف من مدخل العمارة .

أخرج المبروك علبة سيجائره وناول البرمكى واحدة ووضع بين شفتيه أخرى ، أشعل كلاهما سيجارته وأخذ ينفثها ، رفع البرمكى معصمه ينظر فى ساعته وقال :

- هذا ميعاد خروجه

قال المبروك :

- إن أراد الخروج اليوم

- لابد أن يخرج

ولم يتمم الرجلان سيجارتيهما حتى قذفت به العمارة مسرعا يحث خطاه مع الرصيف .

- أنظر .. هذا هو ، صاحب البنطال الأزرق .

- الذى يحمل فى يده كيسا ؟..

- نعم .. هو ، ألحق به وأنا وراءك .

انطلق المبروك إثر الرجل فيما ظل البرمكى جالسا وراء مقود السيارة حتى انعطف الاثنـان مع الزقاق ، وقتها أدار البرمكى المحرك ، تحرك ببطء ، وعندما انعطف مـع الزقـاق لمحهمـا فى نهايته على وشك دخولهما المسجد ، أوقف السيارة على اليمـين وفتـح المذيـاع يقتـل الوقت .. تنبعث منه أغنية قديمة كأنهـا تـأتى هامسـة مـن أعمـاق التـاريخ.. "ياحاسـدين الناس، مالكم ومال الناس "..

وكأن شيئا صحا فى نفس البرمكى فحوقل فى سره .." الرجل طيب وتقـى .. ألا يمكـن أن يكون وليا من أولياء الله ؟ .. يدخل المسـجد ويغـرق فـى ابتهالاتـه فيسـتحيل روحـا شفافا ، أو عفريتا .. ثم يعود إلى طبيعته .. هل يصعب شئ كهذا على الله ؟ ! لـو أكـد المبروك مايشاع ، وماتأكدت منه بنفسى .. هل نظل نتهم أنفسنا بأننا واهمون ؟.".

جاء المبروك مسرعا ، والدهشة تلون وجهه ، فتح الباب واتخذ مكانه .

بادره البرمكى بلهفة :

- طبعا ابتلعته أرض المسجد :

- لا ، اكتشفت السر ، دخل صلى العصر ، وتظاهرت بأننى أصلى وراءه وحـين انتهـى خف إلى دورة المياه ، دخل أحد المراحيض ، فجلست على مقعـد الميضـأة حتـى خـرج ، وكانت المفاجأة ، فقد دخل المرحاض ببنطال أزرق وقميص أبيض ، وخرج بجلباب رقـم سبعة على صدره ، وعمامة صعيدية مكورة على رأسه .

- ابن الكلب !!.

- صدقنى لولا الكيس الذى بيده ماكنت لأعرفه .

تحركت السيارة تقفو وراءه ، حتى سلك إلى الطريق الدائرى ، حيث يقف العمال العرب والأفارقة جماعات وفرادى على امتداد الرصيـف ، اتخـذ الاسـتاذ مصطفـى موقفـه بينهـم بجلبابه المترهل ، وعمامته تخفى جبهته حتى الحاجبين ، فيما أوقف الـبرمكى السـيارة عـن

بعد كاف ، وغرق فى مقعده وراء المقود ، وترجل المبروك ليرفع غطاء "الماتور" متظـاهرا بمعالجته ، وعيناه ترقبان من تحت حاجبيه .

جاءت سيارة خاصة ، وقفت بمحاذاة الرصيف ، تداعى إليهـا كـل الوقـوف إلا هـو ظـل مكانه واقفا كنخلة متفردة ، حملت السيارة اثنين منهم وانطلقت ، ولم يمض وقت طويـل حتى وقفت "بيجو خيمة" حملت الجميع ، كان الاستاذ مصطفى آخرهـم ، رمـى بكيسـه قبله وتسلق مأخرتها مثلهـم ، انطلقـت الـ (بيجـو الخيمـة) ، وتحـرك الـبرمكى وصاحبـه يتعقبانها .

- يتنكر ليندمج فيهم ويروج لبضاعته .

قال المبروك بعد برهة صمت :

- ماذا يفعل ؟ !.. المرتب ماعاد يفى بمتطلبات الحياة .

- إلا أن يتاجر فى المخدرات !..

- لانستطيع أن نعتبره تاجرا .. وأنت مادمت تعرفـه ، أرى أن نمسـك بـه ، ونحـذره ، أو نهدده ، ونأخذ مافى حوزته من جرامات ، ونستر عليه .

وساد صمت بين الاثنين ، كان البرمكى يقلب فى رأسه أمورا ، ثم قال :

= هذا إذا كان الموضوع موضوع مخدرات ..

- أتعتقد أنه !!..

- كل شئ محتمل ..

وكانت الـ(بيجو الخيمة) قد اجتازت العمران ، وأخذت ترتفع وتنخفض مع طريق ترابى محفوف بالصخور والخردة وجذوع الأشجار .

أضاف البرمكى وهو يتحسس جنبه :

- كم طلقة معك ؟

- انكمش المبروك فى مقعده وقال :

- مهمتنا الآن المتابعة والمراقبة .. لاأكثر ؟!.

الآن أمكنهما أن يحددا وجهة السيارة الخيمة أمامهما ، إنها تقصد مستودع الاسمنت ، لذلك خفض البرمكى من سرعة سيارتهما وهدأت نفسيهما بانحصار مهمتهما فيما هو أقل مسئولية .

عبرت "السيارة الخيمة " بوابة المستودع ، وتوارت داخله ، فيما أوقف البرمكى سيارته دونها ، وسادت لحظة تفكير بين الرجلين ، ترجل على إثرها المبروك ، ورفع غطاء المحرك، تركه منتصبا متظاهرا بارتفاع درجة الحرارة ، فيما ظل البرمكى مكانه وراء المقود، وعبر المبروك بوابة المستودع راجلا كمن يبحث عن جردل ماء .

بعد فترة عاد المبروك يمد رجلين كمن يعد خطواته ، انحط جنب البرمكى وصفق الباب بغيظ ، فاتحه البرمكى متسائلا :

- ... ماذا رأيت ؟.

بصق المبروك مرارة ريقه من نافذة السيارة وأومأ :

- توكل ..

تحركت السيارة ، ولم يطق البرمكى الصمت فكرر التساؤل ، لكن المبروك أشعل سيجارة ونفث منها نفسا بملء فيه .. ثم قال :

- ابحث لنا عن مكان نأخذ فيه فنجان قهوة ..

- سنعرج على مقهى الحرية .. لكنك لم تخبرنى .. شغلت بالى ..

- ماأتفه أن يشغل المرء باله بأحوال الناس .. (تفوه) على الدنيا ..

وأطبق البرمكى شفتيه ، وكأنه يسترجع أمور الحكاية من أولها فى خاطره ، حتى توقفت السيارة عند المقهى .

وعندما جلس الاثنان فى انتظار القهوة ، لم ينتظر المبروك تساؤل البرمكى وإنما أجابه :

- كان يحزم وسطه بعمامة ، وكان غبار الاسمنت يعلو وجهه ويخالط شعر رأسه ، وعندما تعثر بكيس الاسمنت وكاد يسقط معه صاح به أحد العمال "شد حيلك ياجدع ، الباين عليك متغدى فول ، كول الفراخ ، وانت تصير زى البغل "

- البغل !! .. البغل !!..

رددها البرمكى ، ثم تلفت حيث اعتاد أن يجلس الأساتذة الثلاثة ولكنه لم ير أحدا .. حتى رجب وعاشور ..

تمت

إقـــرأ

في العدد القادم

(زمـــن إينـــاور)

دراسة عن الزمن في رواية الدكتور علي فهمي خشيم (ايناور)

بقلم : فاطمة سالم الحاجي

قصة

هارب الى الفرار

محمد المغبوب

إعتدل في جلسته ، مد بصره الى الأمام كأنه كان يريد أن يراقب الافق ، ليخرج منه الذي يريده ، فلم يجده .

إلتفت الي .

• سأحدثك عن ليلى .

هي أجمل إمرأة قابلتها في حياتي ، إنها أجمل النساء في العالم ،تسكنها عفة ، وترتديها البراءة ، رائعة حد الدهشة .

في عينيها صفاء الماء وزرقة السماء

• ليلى يا استاذ .. آه ... ماذا أقول لك عنها .

يصمت قليلا ، كأنه تذكر شيئا ، ثم يكسر سكوته ، بآهة حارقة ويمد بصره الى الأفق الممتد عبر الصحراء .

أتركه لنفسه متشاغلا عنه برفع اناء الشاي الذي يكركر ، وينفث صوت غليانه ، وعندما يلاحظ مني ذلك يعود من صمته بسؤال يوجهه لي وانا اضع الابريق على الأرض .

• قل لي .. هل صحيح ان الارض كرة معلقة في السماء ؟

ويطلق ضحكة ممزوجة بكلمات لم أفهمها .

أقول في نفسي : –
– ما علاقة كروية الارض بامرأته أو فتاته ليلى ؟
وأسمعه يضيف : –
• لو فكر احد باللعب بها فلابد ان يكون عملاقا ، قدماه هنا ورأسه في آخر السماء ، هناك في البعيد البعيد .
ويرفع رأسه الى السماء .
• الله .. كم هي جميلة هذه السماء ، انها صافية جدا مثل عيني ليلى .
وكأنه يستدرك فيضيف .
• انا لم احدثك عنها .
سأحدثك عن ليلى
انها اجمل امرأة قابلتها في حياتي ، انها حقا اجمل نساء العالم تسكنها العفة ، وترتديها البراءة ، رائعة حد الدهشة في عينيها صفاء الماء وزرقة السماء .
ليلى يا استاذ .. آه .. ماذا اقول لك عنها.

لابد انه نسى انه قد حدثني عنها ، أو انه يريد ان يتحدث عن ليلى مرارا ، بنفس الكلمات البسيطة ، وعندما يحس بكمدة في الآهة التي تخرج من حشاشته ، يوقف دائرة الكلام عنها ويغيره الى نقطة أخرى.
لقد كرر معي هذا لاكثر من سبع مرات ، فقررت ان اهجم عليه بسؤال عنها .
سألته وأنا اصب الشاي من الابريق الذي برد قليلا في كوبين صغيرين واناوله احدهما
– أين قابلت ليلاك المدهشة يا عارف؟
وكأنه كان يريد هذا السؤال مني فيجيب : كنت عائدة صحبة والدها الذي اعمل معه في اصطياد السمك على شاطئ طرابلس قرب (ابوستة) ، وناداها ونحن نهم بالدخول الى الكوخ ، حيث كانت تجالس فتيات اخريات

في حي باب تاجوراء وجاءت الينا فسلمت عليها .
آه يا استاذ .. كانت يدها مثل الحرير وأرق من الهواء .
في الكوخ لم يكد احدا يعيش معها الا والدها فقط لأن والدتها .. يعود الى صمته ، ربما احس بأنه تحدث عن شئ لا ينبغي ان يقوله امام الاغراب .
يصب كوب الشاي دفعة واحدة ، ويسألني وهو يضع الكوب
• اصحيح يا استاذ ان الارض كرة معلقة في السماء ؟
وعلى الفور أجبته
- صحيح يا عارف ، العلم قد اكد على كروية الارض وما تعاقب الليل والنهار الا دليل قاطع على كرويتها ثم ان الفصول .
يقاطعني
• لابد من سقوطها يوما ما ، لابد انها ستتعب في لحظة ما من تعلقها في الهواء .
من يمكنه التعلق في الهواء ؟
وعندما تهوى ، سيسقط كل الذي عليها ، سيكون المشهد مرعبا .
واقاطعه لأضيف .
- لكل شئ لابد له من قرار يستقر عليه ، اننا نعيش رحلة فقط ننطلق من محطة الحياة الى يوم الحساب
ألحظه ينكفئ على نفسه ، كأنه يريد الاحتماء بها .
• انا لم افعل شيئا ليحاسبني ا لله عليه ، انه العليم بذات الصدور ،
أتركه واقوم بالتجوال قريبا من خيمته الصغيرة الممزقة التي تنتصب في وسط الصحراء ، وتبعد عن المدينة الصغيرة مسافة مائة كيلومترا تقريبا ، وافكر في امره وفي هذه الحالة التي يعيشها ، دون

ان اقبض على اية اجابات تذكر فأعود اليه اجده قد جهز اناء فيه دقيق وقليلا من الزيت صبه عليه ويدعوني اليه .

• هذا الطعام مفيد جدا ، اجلس ، وشاركني العشاء .

امد يدي الى الطعام ، والسكون يعمنا الا من صوت مدغه للُقم فأفتح باب الكلام معه .

– سأخذك معي الى طرابلس يا عارف.

• طرابلس بيني وبينها ثلاثة عقود ، اتخيلها كما كانت عليه لكن لسكان لابد وان زاد عددهم.

يعود الى صمته ، فيما يلاحظ عدم مداومة مد يدي الى الطعام لكنه لا يكرر دعوته لمشاركته ،فأنسحب من المكان وانا افكر في مسألة المبيت والعودة الى طرابلس ، فيلاحظ ارتباكي وانا على مسافة خطوات منه ، نأراه يقوم وهو يمسح شفتيه ، ويديه في اسفل قميصه وينادبني .

• أجهز الشاي ، تعالى الى جانبي واتـرك مســألة البقـــاء او المغـــادرة

واتقرفص جانبه ويبادر بالحديث

• انا لم أر ام ليلى ولم اتعرف عليها الا من خلال حديث ليلى عنهـا وكـانت جميلـة جـدا ، اجمـل امـرأة في حـي الاكـواخ ببـاب تـاجوراء ويبـدو انهـم استكثروا جمالها على والد ليلى فنصبوا لهـا فخـاً واصطادوهـا لليـاليهم الماجنـة واعجبتها حياة الترف ، فسقطت فيهـا ، وابتعدت عن زوجها وتركت ابنتهـا ليلى في حزام الفقر .

واقاطعه .

- وانت يا عارف اين كنت تقيم؟

• كنـت اقيـم في احـد الدكـاكين في المدينـة القديمـة مـع قريـب لي وكـأن الصـور تزاحمـت علـى ناظريـه ، أراه يمسك رأسه بيديه ويغمض عينيه ، ثـم يطلق آهة .

• نصب الشاي ونحتسيه

عارف هـذا مكتظـا بحوادث كثيرة ، مخزنة على صفائح داكرته الـتي لم تعد تستوعب المزيـد، ويمـارس الآن عمليـة المراوغة في ذات المكان .

رجل تجاوز العقد الخـامس ، ويشـرف بعمره على الستين عاما يعيش وحده ، اختارها في وسط الصحراء اقرب نقطة للحيـاة منـه بمسافة خمسين كيلومـترا ،يعيش على اقل الكفـاف ، لا يمـارس أي عمل سوى قتل الوقـت والحديـث عن الايام الخوالي في حالة هـروب تـام مع سـبق الاصـرار ، وترصـد الفـرار ،

يعد شخصية فريدة غريبة الاطوار تتراصف امام حالته آلاف اشارات الاستفهام .

ولكن هل علي ان اجيب على لسانه عن هذه الاستفهامات ، انها ليلة واحدة اقضيها معه وامضي مع اول خيط للشمس ثم ان مثله في اماكن اخرى يقطع علي حبل التفكير في امره ويقول:

• انت من طرابلس ؟

اجيبه عن السؤال

- نعم من طرابلس

• اذن حدثني عن طرابلس

وافكر في الحديث عن طرابلس ، عن أي شئ ابدأ به الحديث عنها .

ثم يضيف :

• حدثني عن بوسليم واكواخه ، وعن اناسه الذين جاءوا من المدن البعيدة ليحققوا حلمهم في طرابلس وعن شارع الاستقلال ، وتلك الايطاليات العاريات والخمارات التي تبيع [الدوخة] .

عن شارع الشط وتلك الامريكيات اللواتى يقدن السيارات الطويلة .

مرة رمت علي احداهن علبة خمر فارغة وانا اسير على الطريق ، فترصدت لها عند عودتها ورشقتها بحجرة كبيرة هشمت زجاج سيارتها ولذت بالفرار .

لو بقيت في مكاني لوجدت نفسي في السجن ، البوليس كان دائما الى جانب امريكان قاعدة الملاحة .

ويشرع في ضحكة طويلة حتى انني رأيته ينبطح ارضا ، ثم يعتدل في جلسته ويواصل

لقد سجنت مرة لمدة خمسة ايام ، لانني حاولت اغتصاب امرأة امريكية في منزلها وانا أقوم بالعمل في حديقة منزلها ، الحقيقة هي التي دفعتني الى

المحاولة ، فقد كانت تدخل الى منزلها في قرقارش وتخرج منه اثناء عملي وهي شبه عارية لقد اثارت غريزتي من ناحية ومن ناحية ثانية كنت اريد ان اثأر لكرامة وطني .

الملعونة ارخت نفسها لي ، وبعد ان فرغت من مطارحتها اتصلت بالبوليس متهمتني بالسرقة ، لكن الضابط في السجن افرج عني مقابل ان اعمل في بناء منزله لكنني ما ان خرجت من السجن وبعد ثلاثة ايام من العمل لديه لذت بالفرار ، ومنذ ذلك اليوم لم أره.

كان ضابطا كبيرا ، لابد وانه الآن وزيرا للبوليس .

وهنا لم أتمالك نفسى من الضحك .بما جعله يظن انني لم اصدقه ، فأخذ يقسم لي بكل اولياء الله الصالحين الذين يعرفهم او سمع بهم ، وعندما لاحظ تواصل ضحكتي ،وقف كالملسوع واقسم با لله العظيم .

• اقسم با لله العظيم انه لابد وان صار الضابط وزيرا ، لا يمكن ان يظل ضابطا فقط طوال هذه المدة ، الا اذا داهمته المنية . ويتركني لحالي وينكفي على ذاته ، يعود الى نفسه ، يغرق فيها وينتني الى ماضيه الذي يخصه ، هذا الماضي الذي قذفه الى هذا الخلاء ، هذه الصحراء ، هذا الجذب المتمادي في الافق عندها اجدني افكر فيه .

لا يعقل ان يكون هذا العارف يعيش الزمن الحاضر في الماضي ، يعتقد جازما بأن طرابلس لم يحدث فيها أي تغيير ، كيف يمكن ان يتصور رجل أي ما كان ، وهو محتفظ بقواه العقلية ، امكانية دوران الساعة في وقت واحد فقط لا يزيد ولا ينقص .

- ليبيا بأسرها قد تغيرت في كل شئ ، ليست طرابلس فقط هكذا اصرخ في وجهه مضيفا.

ألم تستمع الى المذياع ، او تشاهد التلفاز ، او تقرأ الصحف بل الم تذهب الى طرابلس .

وكأني اتلفظ بأسماء لم يسمع بها ، وهي بلغة اجنبية يسألني .

• ماذا كنت تقول .. اعد لي ما قلته

وأراني كمن يتحدث الى مجنون فتداهمني الحيرة وكأنه لاحظ ملامح حيرتي فيغير مجرى الحديث .

• دعنا من طرابلس ، انا على كل حال لم ارها منذ ثلاثين عاما و لم اسمع عنها أي شئ حتى عندما نزلت للمدينة القريبة من هنا لم اجد من يحدثني عن طرابلس الجميلة ، انا لم أسأل عنها ، كان ذلك منذ عشر سنوات ، لاني حلمت في نومي ان ليلى جاءت لتقابلني وعندما لم اجدها قفلت راجعا ، ومنذ ذلك العام لم تجئ ليلى في منامي و لم انزل الى المدينة .

ليلى يا استاذ ..

وكأنه يتذكر يصمت قليلا ثم يضيف

• انا لم احدثك عن ليلى

سأحدثك عنها

هي اجمل إمرأة قابلتها في حياتي ، إنها اجمل النساء في العالم تسكنها العفة ، وترتديها البراءة، رائعة حد الدهشة ، في عينيها صفاء الماء وزرقة السماء .

ليلى يا استاذ.. آه . ماذا اقول لك عنها .

يطلق آهاته ويحدق في الفضاء الممتد امامه الغارق في عتمة الليل ، ويصمت فيما تداهمني الحيرة فيه والتفكير في امره .

ماذا فعل العارف لينزوي الى هذا الركن ؟

ما الذي دفعه الى الولوج لحالة الهروب هذه ؟

كيف جاء الى هنا ؟

واسئلة كثيرة تمر على خاطري في صمتي ، ان ينعزل الانسان عن الناس ، ويصوم على الدنيا ويخلف كل شئ خلفه ، لابد وان يكون لامر عظيم .

هذا العارف يقبع خلفه سر كبير ، منذ اللحظة سأعمل على حله ، والوقوف على الحقيقة

ويقطع علي صمتي وتفكيري فيه بسؤال يهاجمني به

• مارأيك يا أستاذ في ان تعيش معي هنا في هذا المكان ؟

واقاطعه بسؤال

- ولماذا يا عارف اعيش معك في هذا الخلاء

أصمت لكي يجيبني لكنه يسكت عن الكلام فأضيف

• الدنيا وان طال عمرنا فيها فهو قصير جدا .

لن اترك متعة الحياة ومباهج الدنيا ، لأنكفي الى هذا الخواء المزدحم بالصمت .

أجمل ما في الدنيا ضجيجها ، انه نبض عروقها الذي يعلن تدفق الدم في شريانها .

الحياة يا عارف اعلان عن وجود حالة بقاء لاجل العيش وتحقيق الحلم .

علينا ان نكون دائما في وسط الناس أن نبكي ونضحك ، نفرح ونحزن ثم نسعد بكل حالات تغيرها .

الحياة مواجهة ، حركة ، اقدام ، سير الى الامام حتى منتهى الرحلة وهذه هي الشجاعة .

الجبن يا عارف ، هو التخلي عن الموقع في الحياة ، الركض الى الخلف .

العار كل العار عندما نمارس عملية الفرار وحالات الهروب .
أنت تهرب ، تفر ، تمارس عملية الانكفاء الى الذات ، خارج دائرة الفعل الحيوي
أنت تافه يا عارف .
كان يجهش بالبكاء ، ولم انتبه اليه ، فواصلت تافه ان لم ترافقني الى طرابلس وتهجر هذا العدم .
مسح دموعه بكفه .
• أنت تجيد الكلام ، كلامك يبدو جيدا ، مع انني لم افهمه بكامله .
• ولكن ماذا سأفعل في طرابلس .
طرابلس يا استاذ ليس لي فيها موقع قدم لي حتى كوخ الصفيح الذي تركه لي ابو ليلى وسكنت فيه لابد وانه قد استولى عليه احد ما ، لا يمكن ان يكون شاغرا طوال هذه المدة، فالناس في حالة تدفق من خارج المدينة الى سرّتها وربما حتى اطرافها ثم ان الحياة، اقاطعه بغضب خفي .
- الحياة في طرابلس تغيرت حتى الاكواخ بباب تاجوراء وبأبي سليم ،صارت الآن مباني عالية ، شققا في عمارات بالاسمنت المسلح ،
كل تلك الاكواخ اكلتها النيران ، وعلى انقاضها طلعت عليها حياة جديدة ، حياة القرن العشرين الذي تغيب انت عنه في هذا الخلاء السحيق ، تعيش فيه بموت معلق وحيدا ، متشردا كأنك الانسان الاول في الدنيا.
ينتفض في مكانه ويصرخ في وجهي .
• لا تعيد ذكر الموت على لسانك .
لا اريد ان اموت .
انا لم اقتله هو الذي
- من هو الذي قتلته يا عارف من ؟

واراه يركل الارض ويضربها ويبكي في آن واحد وكأن نوبة من الجنون قد داهمته فأتركه

قلت في نفسي .

ليفعل ما بدا له ان يفعل لعله يستيقظ من صدمة ربما الـمت به ، حتى يهدأ بنفسه

ركل الارض بقدميه

ضرب نفسه بيديه

بكا طويلا مثل طفل فقد امه

ثم اخذ يسكن الى نفسه رويدا رويدا.

وأجدني مشفقا عليه ، فأقدم له ابريق الماء واسقيه جرعة ، واجلس بجانبه .

• يا عارف

يا عارف قصدت ان اخرجك من هذه الحالة المليئة بالبؤس والتعاسة معا.

أرجوك ان تخبرني بكل شئ عنك أريد مساعدتك لاخراجك من هذه الظلمة ، من حالتك هذه التي تلتصق بك .

قل لي يا عارف

هل قتلت احدا من الناس ؟

وعلى الفور يجيبني

لم اقتل أحداً

لكنهم يتهمونني بالقتل

في نفسي اقول

– لماذا دون ان ادري اسأله هذا السؤال بالذات ، لماذا خمنت بأنه يهرب اى هذا الجهر؟ لأنه قتل أحداً ما

الناس تهرف من عدة امور لا علاقة لها بالقتل

تفر من الظلم ، وتهرب من البؤس ، وتركض امام الهوان ، والاضطهاد .

ليس القاتل وحده الذي يهرب .

لكن عارف يعيش هذا البؤس ، وهذا الظلم ، وهذا الهوان وهذا الاضطهاد .

انه يهرب اليه وليس منه ، لذلك جاء سؤالي له عفويا ، دون ان اقصد اتهامه. لكن احدا ما يتهمه بالقتل ، ووحده القتل الذي اوصله الى حالته هذه ..

انه لم يعد يرغب في شئ الا الآمان ، والهروب ممن يلاحقونه لاقترافه جريمة القتل .

يا إلهي ، ها انا في حضرة مجرم يفر من القصاص العادل غير ملامح وجهه وهيئته وذلك البكاء ، يلغي قدرته على اقتراف القتل ، و

– من هم الذين يتهمونك بالقتل ؟

اساله هكذا ، اريد ان اعرف من هو عارف هذا ؟

• حدثني عن طرابلس يا استاذ

هل يريد ان يغير الحديث الى مجرى طرابلس ، ام انه يجرني الى حديث آخر عبر الحديث عن طرابلس واقول له

– طرابلس اليوم لم تعد تلك المدينة البائسة التي بناها الاتراك والطليان من بعدهم بما توفر لهم الراحة كاملة .

طرابلس اليوم كبرت صارت فتاة يانعة الشباب لا تخلع زينتها وهي فرحة ضاحكة ، حالمة.

فيها مباني كبيرة وشوارع ومحلات عامة ، مصارف ومقاهي وفنادق وحدائق وشوارع فسيحة ، طرابلس عروس ، عروس يا عارف

ويرد علي

• ليلى ايضا كانت عروسا اجمل عروس في العالم

وسألته مقاطعا

– هل طفت كل ارجاء العالم ؟

• نعم طرابلس هى العالم الذي انا خارجه الآن ولعله تذكر فسألني

• كيف هن الايطاليات في شارع الاستقلال ؟

هل لازلن جميلات ؟
- يا عارف لقد خرج الطليان ، والامريكان والانجليز ، لم يعد في الدار الا اهلها .
هذا العارف جاهل بكل شئ
منذ ان قادتنى قدماي وآتي الى هذا العارف الذي اخبرني بوجوده كحالة غريبة ، احد الاصدقاء في المدينة المجاورة ، لم أكن اتصور غرابة هذا الرجل ، او اتخيل وجود مثل هذا الادمي في القرن العشرين .
ان فضولي اولا والبحث الذي اقوم به عن التنمية الاجتماعية في المناطق الصحراوية ، هما ما دفعاني الى عارف هذا .
عارف هذا اربك تفكيري في حالته ، وفشلت في ايجاد تعبير اصفه به .
يحدثني عن ليلاه ، ويطلق آهة حارقة تشق حشاشته ، وفي ذات اللحظة ، يسألني عن ما اذا كانت الارض كروية الشكل ام مربعة .
وينقلب الى الحديث عن طرابلس التي صورتها ترسخت في ذاكرته على هيئتها القديمة جدا وعندما يسهب في وصف حي الصفيح بباب تاجوراء يغتال الكلام عن أم ليلى .
هذا التناظر غير المعقول
هذا الحديث غير الكامل
هذه السردية المفككة
تكتظ في ذهنه ، وتزدحم المفردات على لسانه .
لذلك في تصوري ، يحتاج الى ولادة جديدة ومراحل عمر جديد ، يتأهل خلالها الى مرحلة تحشد في ذاكرته معرفية ، تمكنه من عيش الواقع ولتكون الحياة اكثر احتمالا له .
غير ان هذا من المستحيل

الممكن هو ان يواجه الواقع في طرابلس ، يرى التغيير الذي حدث ، التطورالذي طرأ على الحياة ليس على طرابلس فحسب بل على ليبيا بأسرها وعلى العالم بأكمله .
وفي هذه الحالة ، اما تصيبه صدمة تذهب به الى الجنون ربما ، واما ان ترجعه الى نفسه
تعيده الى الواقع
- سأخذك الى طرابلس منذ اول خيط لشمس الغد .
كان مستلقيا على الارض يتأمل القرص الذهبي الذي يتوسط السماء ويرسل ضوءه الخافت ببطء شديد .
هذا القمر الذي تغزل فيه الشعراء هو الآن ونيسنا الوحيد في هذا الجذب .
وكأن حية لسعته انتصبت قامته امامي
فأضفت وهو يقف امامي
قد تقابل ليلى هناك
فقفز في الهواء قفزة واخذ في الجري ، ووجدتني انتفض من مكاني واتبعه راكضا .
كان كالغزال الرشيق ، يشق عتمة الليل مخلفا وراءه غبارا .
لاحقته كثيرا مرسلا توسلاتي بأن يقف وارجوه العودة ، حتى جف ريقي ، وتقطعت انفاسي من اللحاق به .
ها هوذا عارف يواصل رحلته مع الفرار ويهرب الى الغروب .
الى اين يمضي هذا العارف ؟
الصحراء تيه متناه ، من يلجه لن يصل الا الى نهايته هو .
توقفت التقط انفاسي ، ثم عدت الى ادراجي
وأول وهج الشمس يرخي نفسه على المكان

فركبت عربتي عائدا الى طرابلس
تاركا عارفا الذي واصل هروبه الى
نهايته .
حتما سيتعب من المسير وسوف تلفح
وجهه شمس الصحراء ، ولسوف يجف
ريقه ، وينشف جسده من الماء ،
بعدها سيسقط جثة حامدة .
ستشهد عليها الغرابيب وتلتهمها
الذئاب الجائعة
ان عارفا قد قتل نفسه في الحياة ، ويفر
منها ويهرب من اتهام نفسه له
لقد دفن روحه في الحياة ، أو هو قد
اقبرها في الانزواء بعيدا عن الحياة ،
وعن صخبها الجميل ، ارتضى حالة
الفرار من مواجهة أي شئ في الحياة
لم يعانق الحياة فأرتمى في حفرة حقيرة
ربما اعطت الدنيا طهرها له
عديد الاحتمالات يمكن فرضها عليه ،
لكن النتيجة واحدة

لقد قتل نفسه ، ونفسه تتهمه ، وهو
يفر الى الهروب ، الى هذا الخواء المليئ
بالعدم
عارف خشى الموت في المواجهة
فسقط قتيلا ، مثلما يسقط الآن في
غياهب الصحراء
جائعا ، ضامئا ، شريدا ، وحيدا ،
منهك القوى دون ان يكون له
بصيص من الأمل في ان يكون له شئ
ما يعيش لاجله وربما يكون هذا الشئ
هو ليلى التي يراها اجمل امرأة
عفيفة ، بريئة ، رائعة
ربما ازمة عارف في انه عاش لاجل
ليلى فقط ، وعندما فارقته ، سقط ميتا
في الحياة ، مارس فيها حالة الفرار الى
الهروب وهي التي قتلته فعلا .

(..... مــــع وقــــــف

(٠)
هاجمه شوق إلى عينيها .. داهمته مضيئة ظلام حجرته الرطبة .. قفز إلى المرآة يحاول أن يصلح من أناقته ولسان حاله يقول : "وهل يصلح العطار .. ماأفسد الدهر ؟ "

بلع مرارة بشاعته وهو يتأمل انعكاس صورته .

همس : تريث أيها الشقى .. حين أحس به يدب بين ضلوعه ويخفق بعنف .

إلى الشارع انطلق مسرعا – فى نفس موعدها – ليراها وقلبه الدليل .

(1)
وقف تداعبه الريح .. تفسد ماأصلح ...

أطلت .. ارتجف ، روّع لجمالها الذى يتألق كل يوم !!

اشمأزت لرؤياه .. حاولت أن تقدر ماذا يريد ..

داهمتها العينان المشتاقتان .. بابتسامتهما المستسلمة

وبخته نظرتها القاسية ... ووصل إليه همسها (أعوذ بالله)

فانكسر ..

(٠)
تسلل عطر وردة إلى نعاسها المتقطع .. فوجئت به يلوح لها بها .. رفعت يدا ضارعه

اختفت الوردة .. وبقى وجه جميل مرتسما فى الظلام " ارتدت لها يدها ...

لاأراديا مسحت دمعه ... وأطبقت عيناها كى لاتراه .

التنفيـــــــــذ

(2)

فى الصباح ... تأكدت من أناقتها وجمالها ، رفعت رأسها .. واعتدلت فى مشيتها بدلال ... وهى تحمل إليه قهوة الصباح فى مكتبه ... تلعثمت وهى تلقى تحية ودودة عليه .. تذكرت أحلام ليلتها الماضية ... فقررت الانسحاب .

استغرب ! ترددها ، شحوبها .. ماذا بها ؟

لحق بها مسرعا ... أمسك بيدها ... تحسس أصابعها برفق .. تساءل :-

لابأس يابنتى !!!

أحس بردا فى أوصاله .. كسلا يتسرب إلى مفاصله ، يمنعه من مغادرة الفراش ، جذب إليه علبة سجائره .. سحب واحدة ، وضعها بين أسنانه بصعوبة . أطلق عليها النار .

(3)

فتح المذياع .. لم تفاجئه أخبار الصباح .. رعب فى كل مكان "فلسطينيون يبعدون عن وطنهم .. الاتحاد السوفيتى يتفتت .. يوغسلافيا تحترق .. ليبيا يهدد استقرارها .. انهيارات .. فيضانات .. ووو ...أقفله .

استغرب مذاق سيجارته ، مرارته .. رمى به فى الزاوية العارية ، مشتعلا

اندس تحت غطائه ... أحس بالدفء .. تمنى لو ينام إلى الأبد .. ولكن !! جرس الباب يقرع بعنف .

أم العز الفارسى

ديسمبر 1991م



ثلاث قصائد

شعر
علي صدقي عبدالقادر

1- زحــام الصمــت ... !!

*** خارج ثوبي**

أريد الانفلات من زحام السوق زحام الصمت والريع .

زحام أوراقي ، زحام أصابعي ، وأفكاري ايضا .

أريد أن أكون مع كأس لبن ، ووردة ،لاغير .

أنظر للكأس ، تنظر الي الوردة فقط ، بلا كلام .

أريد ان ارى كفي ، ولا أسأل ، عن سر خطوطها .

أريد أن أكون خارج ثوبي ، لأعرف من داخلي من أنا ؟!

لا أطلب سلطانا ، [وخاتم شبيك] أطلب الاختلاء بذاتي فقط

*الحلوى تمطر

حين يخبو آخر مصباح ببيوت مدينة [طرابلس] .

أدنى نجمة قليلا ، قليلا من نافذتي ، والناس نيام .

ألمس خدها ، تبتسم ، أقدم لها الشاي .

نجلس معا ، بطرف سريري ، والحلوى تمطر .

وجاء الصباح ، خفنا أن يرانا ، تحت غطاء واحد .

خبأت النجمة بقلبي ، تظاهرت أني نائم وحدي



* فاطمة تلعب

فاطمة ابنة جارتنا تلعب [النقيزة] وحدها .

ريع [شارع كوشة الصفار] ، ترفع ثوبها

هل أشاركك اللعب ؟!

هزت رأسها ، وابتسمت

بدأنا اللعب ، من يخطئ يلمس الاخر يده

وصرت أتعمد الخطأ ، لتلمس [فاطمة] يدي

آه !! يا أيام [فاطمة] و [النقيزة] أين ذهبت ؟؟؟!!!

2- اثنان ... زائد ... تفاحة ... !!!

* الريح تسرق

هبط الليل ، قالت النافذة : مكاني هو نفسه ليلا نهارا

قال الفل عطري لا ينقص ، مهما تسرق الريح .

ورقتي في الليل ، ملأتها خربشة الشعر ، المقروء ، والمشطوب

المدرسة بالليل موحشة ،لأن الطفل فضل النوم ليحلم .

صديقتي ، ضغطت على قلبي .

لم تخرج طلقة ، خرجت وردة لك .

* أمي تجرني

قالت لي المطر : عرفتك طفلا تلعب بقطراتي وترقص .

تغافل امك ، وتخرج حافيا ، لتبلل وجهك بمائي .

أمي تجرني من أذني ، تعاقبني ،خشية البرد

فأبكي ، ويبتل وجهي بدمعي ، فتحار أمي

إن حبستني ، بللت وجهي بدموعي

وان اطلقتني ، بللت ثيابي بالمطر

فتطلقني ، ولا تقوى على رؤية دمعي يبلل وجهي

* درس الحساب

هيا افتحوا دفاتركم ، اليوم ، درس الحساب

اثنان زائد تفاحة ، وخد فاطمة ، ووطن كم ؟؟؟!!!

عددت بأصابعي ، بأزرار قميصي ، بخفقة ستائري

مررت أصبعي بجبهتي ، نقرت بها المنضدة ، لم افهم

ذهبت لقبر أمي بكيت ، بكيت ، سألتها عن الحل ؟؟!!!

يا ولدي ، العد للخبز ، وليس للحب ، وفاطمة والوطن

3- من رأى قميص المطر ؟؟!!

* قميص المطر

منذ طفولتي ، والمطر عار ، يبحث عن قميصه
سأل الدرب ، سأل الظل ، عن قميصه ، صمتا والتفتا
وضع المطر أصبعه بفمه ، حائرا ، من يسأل ؟؟!!

* طفل مشاغب

هربت من المدرسة ، خاطت أمي قميصي ، والمطر عار
مر يوم الخميس والجمعة وبائع السمك المتجول والمطر عار
كان المطر طفلا مشاغبا ،أضاع قميصه في مشاجرة
لذاك يهطل ، ليطرق الأبواب ،يسأل عن قميصه
من رأى قميص المطر ، يبلغ الشرطة ، له مكافأة

* اضبطوا ساعاتكم

احذروا الملح !!! لبس بياض السكر ، متنكرا وجاء
اضبطوا ساعاتكم العرجاء على خبز أمي
فتشوا جيوبكم ، فمن لم يجد سبع سماوات ، سبع عيون
فليقبل النخلة سبعا ليجد السماوات والعيون

* الوردة أكبر

ملصق الشارع قال : الوردة اكبر من الربيع
وقع القاضي ، صاح الديك نادى الحاجب : محكمة محكمة !!
السنبلة تتبعثر ، الباب يصطفق ! طان ،طان
والشاي يغلي يلتفت يمينا وشمالا ثم يفيض
والاطفال تعلقوا بعربة الحصان ، وسوط الحودي يلاحقهم
الوردة اكبر من الربيع ، وبسمتنا واحدة بكل اللغات حتى في الشتاء

* مات الموت

انتبهوا الموت تسلل من ثقب قفل الباب ليلا
شهرت عليه الحب ، سقط ، صاح ابتت من قتل الناس !!
هرب محترقا بناره ، صار رمادا وسقط في البحر
مات الموت ، سنلتقي هنا بعد عشرة ملايين سنة

كأس الغائب

مفتاح العماري

كلما أسرج الخيال اليك
يضيق الهواء
وتخذلني مآثر فمي

وكلما ادنو منك
بعلو شفيف
يخونني الحذاء
وتخجلني تجارب يدي

: هذا الوشم يفضحني
يأخذ مني زهوي
وابدو كأني بعيدا عنك
وضئيلا أمامي

• فبعيدا

ولأمر ما
خسرت ثراء روحي
وفقدت أثاثي

• وبعيدا
اهملت آلاء ربي
فهدرت غنائم جسدي
وحطمت إنائي

• وغدوت كأني
اخشى ملاعب ريحي
ومباهج مائي

• أحبه
نزال بين حنيني وبيني

ونزال بين ارضك وسمائي

فعطرك ايتها النائية

مازال ينشر فتنته

واشياؤك تتنفس

كما هي .

• لامر ما احس

وبعض هذا الحنين

الي

فأنا متاهة نفسي

وهالك دمي

سأغلق بابي قليلا

وابكي وحيدا علي

واعترف أنني

بري مني

من هذا الوهم العنيد

وهذا القلب السخي

لربما اعالج اخطاء روحي

وذنوب يدي

لعلها ستدركني

التي لم تجدني

ولا تخطئني أمي

حين تراني

• لعل نديمي

يتون مساء لمجلسنا

فيأتي

ويحييني بكؤوس أعرف دورتها

: كأس له

وللغائبين كأسهم

وكأس لي

مفتاح العماري

مصراته 1996.3.10ف

تسكعات صبي .. في شارع الريح

...

شعر
علي محمد رحومة

-1-

صبيا ، أخرج .. علني ، ارتاح تحت القمر قليلا ..

علني .. استعيد بهجة الطريق ، تجري أمامي ..

صبيا ، أريد الخروج من منفى خطاي

أسند ظهري للريح ،

الربيع يمشي ، على أطراف الأصابع !

الربيع يمشي ، على أطراف الأصابع .

واحر قلباه ، ممن قلبه شبم! (1)

أعجب من سرعة نبضات مناي .

وأعجب النبض ، لما ينبض القلم

قلبي . لم يعد ، قلب العالم ! ..

-2-

صبيا .. ها أنذا .. خرجت على حين غرة

أتعرف ايها الشارع ميادين الأمواج في راحة المطر

أنا لا أقول ، رأيتك من قبل .. ولكن ..

هذا جرحك في ذراعي ..

وهذه ، وخطة الشيب ، على باب قلبي ..

حبك الامس انثنى ، حين صدحت ..

وعرجت في منتهاك على فرس للسماء ..

ناداني حارس الغيمة الأولى ..

كان صديقا بدائيا .. لا يعرف الزمان

وكانت لدي ثلاث علامات ، عرفتني بالمكان ..

بقعة خضراء من دمي . على صدق المساء

وجراب ملئ بدموع الأصدقاء ..

وريشة في الرقبة

هذه كل احتماءاتي ..

....

هذه كل احتماءاتي ..

فلتنتع البراقع الصفراء ، عن ناحيتي ..

أنا لست ممن يرتزق الجوعى به

" والثعلب العجوز

الملتحي بالورق الأصفر والرموز" (2) ..

لا يراني .. أبدا

فلست أنا ،

ممن تأكله النار .. أو رقعة الشطرنج

-3-

أمد يدي للنجمة العلياء ، لا أعرف ان النجوم

دالية لبيتنا القديم

ولا أعرف الزمان ، يستعيد ذكرياته

بكوكب خبأته ، في القلب !

أشتاق قليلا .. لحبة العنب ..

ولا أجد ضوءا أهتم به ، ولا مبرقا للحلم

ولا أجد المعري .. يلفني "بالجرد" (3) ..

ألتف حول كلامي المتعب ..

وأشكر الله ، على بقية النعم ..

لو فكرت ، ذات يوم في حبيبتي

كنت أنا المتنبي

وكانت هي - عفوكم - سيف الدولة المحترم .

....

يتكئ بي الجوع ، على جذوع الغيوم ..

ليتني كنت سرابا .. أخرج من فم العدم

. . . .

أأعود ابحث عن غزالتي في الصحراء

وأهتدي ، بنجمة وحيدة ، في السماء ..

إذن ،

كيف أعرف أنساب الليل ، وكيف أكشف عن الأشياء ؟

الهوامش

(1) من مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي في عتاب سيف الدولة الحمداني ، يقول :

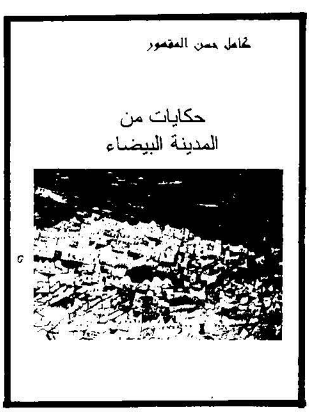
واحر قلباه ! ممن قلبه شبم

ومن بجسمي ، وحالي عنده سقم

(2) السطران الأولان من قصيدة "الموت" لعبد الوهاب البياتي ، من مجموعته الشعرية "الذي يأتي ولا يأتي" .

(3) "الجرد" رداء رجالي ، من الزي الشعبي الليبي مصنوع من الصوف .

صدر حديثاً



نمطية الأشياء

(1)

عندما تألف الامكنة ،

تصير الوجوه مرايا ..

والكلمات حجر .

(2)

صوتك الآن يعتريه الصدأ

ووجهك الذي ترتديه

حشد صور .

(3)

شفتاك ما عادتا تنبضان ..

والوجوه التي كنت تأوي اليها .،

تحنو عليها ..

صارت صدى .

شعر : عبدالله زاقوب

(4)

اليدان تخشبتا ، ..

عمودان من ثلج ، شاهدا قبر

جثة هامدة .

(5)

قدماك قاطرتان ، ضيعتا طريقهما

رزنامة الوقت ، مألوفة كاليدين

والأغنيات ما عاد فيها

ذاك المذاق الشهي

نمطية الأشياء ترهقني ، تهمشني

تحولني ، الى موت بطئ .